طيبُ البِنان
في جود البَنان

قدم له

نيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس

تأليف

الأب د. يوسف اسطيفان البناء

كاهن كاتدرائية مار أفرام للسريان الأرثوذكس في الموصل

٢٠٠٧م.

اســــم الكتـــــاب: طيبُ البِنان في جودِ البَنّان
المؤلـــــــــــــف: الأب الدكتور يوسف اسطيفان البناء.
كتـــب المقدمـــــة: نيافة مار غريغوريوس صليبا شمعون.
المراجعة اللغويـــة: الأستاذ داود سليمان الشماني.
التنسيق والإخراج: المهندس نادر بهجت.
الرسوم التخطيطية: المهندسة ريّا القس يوسف.
الناشــــــــــــــر:
المطبعــــــــــــة:
الطبعــــــــــــة: الأولى / /

إهداء الكتاب

إلى روح

محبوب المسيح .. الشهيد

الأب بولس اسكندر بهنام

يا من كنت
الشاهد الحق للرب المجيد
وللكنيسة المقدسة أسمى نشيد
ولخدمتي الكهنوتية خير عضيد
أخي وعزيزي ورفيقي الشهيد
لذكراك العطرة أقدم
هذا الوليد

...

يوسف

شكر وتقدير

واجب أخلاقيّ على عاتق كل من يكتب أن يذكر شاكراً من ساعدوه بأي شكل كان على إكمال العمل الذي قام به، وأجد نفسي في مأزق الآن، إذ يجب أن أذكر بالشكر، ولكن أية قائمة أذكر :

كل من كانت له معي أتعاب لأصل إلى ما أنا عليه اليوم في خدمة الكنيسة والمجتمع، وما هذا الكتاب الذي تقرأ إلاّ مفردة شهية واحدة لهذه الخدمة، بعضهم ترتسم أسماؤهم وصورهم وخدماتهم أمامي الآن، كالوالدين والإخوة وآباء الكنيسة والعاملين فيها والأساتذة خلال سنوات الدراسة وأفراد عائلتي، ومن وردت أسماؤهم وذكراهم في هذا الكتاب ... وهم كثيرون، وبعضهم الآخر خزنت أسماؤهم وصورهم ومآثرهم نحوي في اللاوعي وفوق مستوى الذاكرة، وهم أكثر، لكل هؤلاء واولئك أقدم جزيل شكري ومحبتي وصلواتي برضا الرب.

ولكن اسمحوا لي أيها الإخوة أن أذكر بشكل خاص شاكراً نخبة مباركة من أبناء الكنيسة السريانية في الموصل، هم شباب وشابات دورات الدراسات اللاهوتية في الأبرشية والذين أحمل لهم في دواخلي محبة مميّزة ومعطرة بالعرفان إذ كانوا خير مشجع على الكتابة والمتابعة من خلال مسؤوليتي تجاههم وتفاعلهم الأيماني معي في المحاضرات والندوات التي كنا نقيمها معاً.

ومن بين هؤلاء الأعزاء، يبرز شباب لابد أن أذكرهم بالأسم، إذ كان لهم الدور الأكبر والريادي في صدور مجلة صدى المحبة وديمومة عطائها وهم : **عمار غانم كيسو ونشأت بشير صوفيا وعمار حنا الأسود**، فلهم جزيل الشكر وخالص الإحترام والإمتنان بالموفقية، بارك الرب الجميع، آمين.

القس يوسف

تقديم

انه لشيء رائع حقاً، أن تخلّد خواطر وعواطف إنسانية تنبعث من أعماق مفكّر وهب نفسه لخدمة الله والإنسانية، بأشكالها المتعددة وتشعباتها في معظم جوانبها، لسيما إذا كان صاحب هذه الخواطر قد مرّ في حياته بتجارب متنوعة شخصية كانت أم غيرها، واكتسب منها الشيء الكثير، وهو يود إيصال هذه المكاسب إلى الآخرين، وهذه شيمة من حباهم الله بالفطنة والحكمة.

مصنف هذا الكتاب عاشق مميّز، للإيمان، للكنيسة، لنفثات السلف الصالح، للوطن وللقلم والقرطاس؛ يستوحى هذا من افتتاحية هذا الكتاب ومضامينه التي أودع بين طياتها خواطر جياشة تفصح عن مدى تجذّر محبته وصدقه في ما يقوله وينشره، لاسيما تلك الموجهة إلى قادة الكنيسة الأمناء، ولا ريبة في أن يكون قداسة سيدنا البطريرك مار إغناطيوس زكا الأول عيواص في طليعة من يبثّ لهم لواعج قلبه وخواطره المتأججة في ثنايا أعماقه، ثم لكل الذين يعملون بإخلاص وولاء لكنيسة الله المقدسة، من أجل تقدمها وازدهارها وتطورها وتثبيت دعائمها، معتصمين بإيمانها وعقائدها السمحاء.

طبيب بشري اختصاصي، أبى إلا أن يكون أيضاً طبيباً روحيّا اختصاصياً، فإذا بالدكتور يوسف اسطيفان البناء ينفذ ما كان يدور في خلده بالنسبة إلى خدمة الله والإنسان جنباً إلى جنب، فيقدم نفسه بكل تواضع ووداعة لخدمة هيكل الربّ في ميدان الكهنوت المقدس الشريف؛ وليس هذا بغريب عنه لطالما نشأ في أحضان عائلة مسيحية مؤمنة وملتزمة، وقد يكون الأمر غريباً نوعاً ما على الذين لم يدركوا تماماً كيف أن النشأة الروحية الكنسية تقود مثل هذا الإتجاه الروحي المرضي لدى الله والمؤمنين، ذلك لأن أذهانهم لا تهفو نحو الصحة الروحية وكونها أفضل من الصحة الجسدية كما أشار السيد المسيح حين فضّل مغفرة الخطايا (الصحة الروحية) على استقامة أطراف المخلّع (الصحة الجسدية).

كل باب يطرقه المؤلف، يسمع الجواب المنشود، وإن شدّت أنامله على القلم استسلم له صاغراً واستجابت الذاكرة طواعية لما يفكر به ويتوخاه، واضعاً نصب عينيه كل ما من شأنه أن يطفئ ظمأ نفوس عطشى إلى كلمة الله، تواقة إلى الحياة الأبدية؛ وإن كانت نفوسٌ ما قد جنحتهنا أو هناك، إذا بها تعود مطمئنة إلى حظيرة الله، إذا ما سمعته يعظ أو قرأت له خاطرة من خواطره الروحية العذبة المذاق، والتي منها ومن مثيلاتها تكوّن هذا المصنّف النفيس.

إنه شديد الإنتباه إلى أية شجرة معطاء، فيقطف منها ما يحلو له من الثمار اليانعات ليقدمها غذاء روحيا شهياً للذين يسمعون أو يقرأون، حرصاً منه على أن لا يُحرم أحد من بركات المناسبة الروحية والأعياد السيّدية، وفي هذا الصدد يفرز عدة عظات لحدث

ميلاد كلمة الله بالجسد، تفيض إيماناً وتقوى وتمجيداً لكلمة الله يسوع وميلاده المعجزي، وما يحمله هذا الحدث الفريد من نوعه في تاريخ البشرية، من معانٍ روحية رفيعة تسمو بالفكر البشري نحو العلاء كي يتأمل عمق محبة الله للبشر ونجاصة أولئك الذين تجري في شراييهم دماء الخير والصلاح، ولئن كان الشرّ لا يحتمل ذلك الحب، لأن إبليس لا يطيق الحرية والخلاص للإنسان، والرجل اللئيم ينبش الشرّ (أم١٦: ٢٧).

في كل مناسبة يعبّر المؤلف عن تألمه لما يعانيه الناس من شرّ الناس، وبخاصة أولئك الذين يرون أن الحياة الدنيا معركة، على كل فرد مؤمن أن يخوضها إلزاميّاً كان أم عن طيب خاطر، والذين يرون أن لا بد من التسلح بسلاح الله الكامل إن أرادوا حيازة النصر المبين؛ وكرجل مجتمع مسيحي، لا تفوته فرصة التطرق إلى ما ينبغي أن يكون عليه التعامل والتفاعل مع الآخرين ومع أبناء المجتمع الواحد الذين يربطهم العيش المشترك، ولا ينسى أن يشير إلى أهمية قبول الآخر، واحترام الغير تمشيّا مع السلوك المسيحي الملتزم بوصايا الله ونواهيه التي توجه إلى ضرورة استقامة الحياة ليستقيم المجتمع، واختبار رضا الله دون الناس في حالة التناقض بين ما يريده الله وما يريده الناس، ولكي يرضي الإنسان الله، استوجب طاعته أكثر من طاعة البشر، ويحذر من أن يأتي المؤمن أعمالاً ترضي البشر دون الله، لاسيما إذا جاءت بدافع المجاملة، وهنا يسجل المؤلف انتقاداً لاذعاً لمن يرضي الناس على حساب المبادئ السماوية السامية ويشدد على الإلتزام بهذه المبادئ لتكون بمثابة شهادة يؤديها المؤمن للسيد المسيح، ومن صنف الشهادات التي يتمخض عنها إعطاء المجد لله كقول السيد المسيح.

وكرجل علم، يرى لزاماً عليه ألاّ يترك جانباً ما يخص العلم والعلماء لاسيما بالنسبة إلى الأمور التي لها مساس بالدين، كالبحث في الإستنسال مثلاً الذي يأخذ اليوم مساحة واسعة في وسائل الإعلام نظراً للشوط البعيد الذي توصل إليه العلم في هذا الشأن، فيدلي بدلوه فيرى مثل هذه البحوث لا تقل خطراً على الإنسانية من تلك التي أدّت إلى اكتشاف المتفجرات والتي تطورت إلى مرحلة غير مرغوب فيها، ضاق الناس بها ذرعاً نظراً لسوء عواقبها، ومثل هذا يقوله أيضاً عن مرض الأيدز، محذراً بشدة ليس كرجل دين فحسب، بل كرجل علم أيضاً، فهو عنده، طوفان جارف إن طفح كأسه لا يبقي ولا يذر.

وفي الأخلاقيات له جولات بارعة موفقة وصولات، فهو يرى أن الإنسان المؤمن السوي الذي يريد للآخرين ما يريده لنفسه، هم من تحلى بخلة التواضع، هذه الخلة الحميدة التي تقود إلى تحاشي كل أنواع المشاحنات والخصومات وخلق المشكلات، وبخاصة بين أبناء الأسرة الواحدة أو المجتمع الواحد، لكون المتواضع الوديع يحمل قلباً طيباً ونقيّاً وصالحا لاستقرار المحبة فيه.

والأب يوسف يفقه تماماً معنى الأخوة والزمالة والخدمة المشتركة فيوليها ما تستحقه من الإهتمام والإعتزاز، فلم يقدر أن يخفي تألمه العميق بفراق زميله في خدمة الكنيسة الأب الشهيد بولس اسكندر، فخصّه بأكثر من خاطرة معبّراً عن عمق أغوار هذا التألم والحزن، وما إهداؤه هذا الكتاب له سوى خير دليل على قوة رابطة المحبة بينهما وعنق جذورها في قلبيهما.

كما أنه لا ينسى بعض الآباء الميامين الذين آثروا الكنيسة بمآثرهم الفكرية النفيسة، فخلدوا لها تراثاً قيّماً عربون حياتها الدائمة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، السعيد

الذكر الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام؛ هذا غيض من فيض محتويات هذا السفر القيّم.

ويطيب لنا أن نختم هذه الكلمات المتواضعة، بالإشارة إلى أن معظم هذه الخواطر الرائعة والنافعة، نشرت في نشرة " صدى المحبة " التي تصدرها أبرشية الموصل وتوابعها تحت إشراف المؤلف الكريم المباشر، ويقيناً أن هذا الكتاب وأمثاله ذات فوائد جمّة للقراء الكرام.

المطران صليبا – الموصل
ميلاد عام ٢٠٠٦م.

تمهيد

أشكر الربّ إلهي مع كل كلمة يسمح لي سبحانه بنطقها، ولأناملي الضعيفة بكتابتها، كي ينتشر نور يسوع في الربوع، ويتأجج نار الروح القدس في نفوس الجموع، فيتمجّد اسم الرب، وتشدّ الناس أواصر الحب، وتفعم القلوب بالعطف والحنان والخشوع.

منذ طفولتي، وأنا منهمك بشغفٍ، ولي ميل شديد نحو المطالعة العامة والقراءة الروحية، وخلال سنيّ حياتي المزدحمة باهتمامات الدراسة والتخصص الطبي والإلتزام العائلي، والمتزامنة مع ارتباطي الوثيق بالكنيسة، تجمع لدي كمّ كبير من دفاتر المسودات وقصاصات الأوراق والمذكرات التي تسطر أفكاراً وتأملات ومقتطفات وخلاصات وتحليل لشتى نواحي الحياة، والتي تخص كل إنسان مؤمن يواكب المتغييرات الإجتماعية والسياسية والأحداث والمكتشفات والمآسي والضيقات المتنوعة والمتصارعة والمتلاحقة التي يمر بها عالم اليوم.

وبسبب هذا الزخم الكبير الذي يتعرض له العقل البشري، كثيراً ما يتسارع الذهن ليغلب الأنامل التي تسطّر، فتتبعثر الأفكار والتأملات، وتتخلل التعابير فجوات، أو في أحيان أخرى قد تضيع الكلمات ، وهنا يأتي الدور المهم في التنسيق والتوثيق والإقران والإخراج، ليتكامل العمل، ما يحتاج وقتاً وجهداً مضاعفاً مؤيداً بعون الرب.

وبعد استقراري الوظيفي في الموصل سنة ١٩٩٢م. وجدت نفسي وبإرشاد الروح القدس مندمجاً وبشكل مكثّف في حقل الخدمة بأنشطته المختلفة في أبرشية الموصل التي أحبها من الأعماق، كشماس أولاً، ثم ككاهن يخدم المذبح والمؤمنين منذ تموز ١٩٩٤م. وهكذا بدأت ألملم وأجمع الأفكار معاً وأنسّق المبعثر منها وأملأ الفراغات، لتصبح مواعظ وأحاديث في لقاءات كنسية واجتماعية، ومداخلات ومقالات ورسائل وتراتيل روحية بعد صقلها وتهذيبها مقرونة بمؤثرات الأحداث والمناسبات الطقسية والمستجدات على الساحة الكنسية والإجتماعية والتطورات والمكتشفات العلمية الحديثة، خلال العقدين الأخيرين من عمر الزمن.

وكان لصدور مجلة صدى المحبة المتواضعة عن أبرشية الموصل السريانية في منتصف سنة ١٩٩٥م. أثر كبير وحافزٌ منشّط ومهم لديمومة الكتابة والتعبير عن ما يختلج في القلب وما يزدحم في العقل حيال مختلف مفردات الحياة التي نعيشها اليوم كمؤمنين مسيحيين.

وبعد الإتكال على الرب وبتشجيع الغيورين من أبناء الكنيسة عملت على جمع معظم افتتاحيات صدى المحبة وبعض المقالات والمداخلات الأخرى التي نشرت فيها وحتى العدد الأخير لسنة ٢٠٠٦م. في كتاب تجده بين يديك عزيزي القارئ، وقد قسمت المواضيع بشكل بسيط إلى مجموعات، ورتّبت أحيانا وفق التسلسل التاريخي لبعض المفردات كالشخصيات والأنشطة الكنسية، وأحيانا وفق الأبجدية للمواضيع الروحية والإجتماعية.

نسأل من الرب التوفيق في خدمة الكنيسة المقدسة، والخير والنجاح لأبناءها، آمين.

المؤلف

أبو الآباء
قداسة الحبر الأعظم

مار إغناطيوس زكا الأول عيواص

الرجل الحكيم ثابتٌ كالشمس
سيراخ٢٧: ١١

" زكا " وضعفي

لا أنسى ذلك الصباح من ربيع عام ١٩٦٣م، وكان يوم أحد مبارك، والأب المرحوم يعقوب الخوري يوسف يحتفل بالقداس الإلهي في كاتدرائية مار توما للسريان الأرثوذكس في الموصل، وكنت حينها الخادم الوحيد للكاهن أثناء القداس، مع عدد من كبار السن ينصتون بهدوء؛ وإذا براهبٍ شاب يدخل الكنيسة ووجهه يشعّ نشاطاً وحيوية، وتُظهر عيناه شموخاً وعنفواناً، وتعبّر تحركاته عن طاقاتٍ جبارة، يقف إلى جانب المذبح يتابع القداس الإلهي بكل خشوعٍ حتى النهاية؛ وعند انتهاء القداس دعاني بكلماتٍ هادئة سائلاً : ما اسمكَ ؟، أجبته بفرحٍ : يوسف ، فرمقني بنظرة محبة جذابة وابتسم وهو يقول لي : أنا الراهب زكا جئتُ مرشّحاً من قِبل سيدنا صاحب القداسة لأخدم كنيسة الموصل، اتبعني إلى دار المطرانية.

غمرتني سعادة عارمة وأنا أتبع الراهب زكا إلى باحة الكنيسة حيث تحدث مع الذين حضروا القداس، ثم أصعد معه بخطواتٍ يشدّها شعور بالنهوض والإنفراج بعد فترة عصيبة عانت خلالها الكنيسة في الموصل الأمرّين بسبب الظروف السياسية غير المستقرة والتي كانت السمة المميّزة لتلك السنوات الأربع التي مرّت على الموصل.

تبعتُ الأب الربّان زكا بشير عيواص، كما تبعه فيما بعد العشرات من الشباب والشابات، بل كل المؤمنين في أبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية، وببركة الله يدب النشاط من جديد ويعود إلى خدمة الكنيسة من كان قد ابتعد في تلك الظروف القاسية، لتزدحم كاتدرائية مار توما بالمؤمنين وكما كان عهدها قبل سنين، فتتأجج نار الغيرة والتفاني في سبيل المسيح، ويسطع وهج الشعلة التي أوقدها الأب الربان زكا لتنير دروب الموصل وتمنح الدفء الروحيّ لبيوتها.

ويبايع " زكاّ " مطراناً وراعياً لعروس أبرشيات المشرق، ويلتف حوله الجميع ، يحبونه بل يعشقونه عشقاً روحياً مقدساً آصرته الغيرة الوقادة والمحبة الصادقة للكنيسة ورجالها، وتمتد السواعد المؤمنة للعمل، وتصدح الحناجر المغردة بالتراتيل والصلوات، وتخطط العقول المدبّرة الحكيمة للبناء بتفانٍ وإخلاص، يتقدمهم ويرعاهم ويسهر على استقامة خطواتهم مار سيويريوس زكا عيواص، المطران الشاب الذي يمتلك مواهب مميّزة تؤهله فعلاً أن يكون قائداً روحياً ومن طرازٍ خاص في حقل المسيح.

ويسير المطران زكا بعون الله ورعايته، وبخطوات ثابتة رصينة، ليكتب صفحة ناصعة جديدة من تاريخ أبرشية الموصل السريانية الأنطاكية، يضيفها إلى صفحات الأمجاد التي سبقت، بأعلامها العُظام : خريسطوفورس وسيويريوس موسى بن كيفا وغريغوريوس إبن العبري وباسيليوس بهنام وغريغوريوس بولس بهنام ..

ويؤمن المطران زكاّ بتطلعات شعب الموصل المؤمن وكفاءاتهم ومواهبهم، وينهض بها موظفاً كل الطاقات والإمكانات لخدمة الكنيسة المقدسة ومحققاً الإنجازات المشرّفة، ومنطلقاً نحو الأمام بعزيمة لا تعرف الكلل وإيمانٍ عاملٍ لا يعتريه ملل؛ وتبقى تلك الصرخة العظيمة "اتبعني" تبقى تَخِزُ أعماق قلبي بما حملت من معانٍ وما صنعت من قدراتٍ، وكأني بالأب الربّان زكا يقول لكل مؤمن ومؤمنة في الكنيسة : اتبعني لنبدأ صفحة جديدة ناصعة من تاريخ هذه الأبرشية، اتبعني لننهض بهذه الأبرشية من سباتها فتعود إلى سابق عهدها ومجدها وعطائها الزاخر ومكانتها المميّزة في الشرق، اتبعني فلابد لكنيستنا أن تسمو وتسابق نحو الذرى، وهكذا كان بعون الرب الحنّان.

اتبعني، وتبعته لأجد نفسي اليوم خادماً صغيراً في حقل الكهنوت الشريف، وعبداً مطيعاً لكلمات يسوع الحبيب، كاهناً لهذه الأبرشية المحبوبة بالذات، والتي فيها دعاني الأب الربان زكا في الستينات من القرن العشرين لأتبع خطاه كغيري من المؤمنين الذين تبعوه، وكل بما منحه الله من إمكانات.

ويشق مار سيويريوس زكا عيواص طريق المجد والجهاد وحمل الصليب الأكبر، ويصل بتأييد الروح القدس واختيار أحبار المجمع المقدس إلى عرش أنطاكية العظيم، فيصبح الشخصية الأولى في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة في العالم، فيزداد عطاءً وبذلاً وتفانياً وحكمةً باتكاله على الرب الذي يسدّد الخطى ويشدّد العزيمة.

سيدي الحبر الأعظم :

لقد ناديتنا دوما بكلماتٍ مشجعة أبوية، فاستجبنا وتبعنا، وسقيتنا شراباً روحياً فشربنا وانتعشنا، كنت الفارس الذي أنهضنا من كبوة سنين عجاف، فشكرنا الله وحمدنا؛ واليوم أبرشية الموصل الحبيبة، تسمو بما زرعته يداك في حقل الرب في هذا المكان ، لتغدو جنينة كلها ورودٌ ورياحين، تبهج الناظر، وخليةَ نحلٍ تعمل بنشاطٍ دؤوب لتنتج شهداً روحياً، وسفينة مباركة تمخر عباب الأمواج مطمئنةً نحو ميناء الأمن والسلام، يرعاها الله ويقودها ربّان حكيم وحبرً جليلً هو مار غريغوريوس صليبا شمعون، أخٌ محبوبٌ لك ورفيق عزيزٌ لدربك في الخدمة، يعمل بغيرة معهودة وتضحية مثلى وتواضعٍ مميّز؛ وليتمجد اسم الرب.

زيارة سيدنا صاحب القداسة
إلى العراق ١٩٩٨م.

كان لزيارة سيدنا صاحب القداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص لأبرشيات العراق السريانية في نيسان ١٩٩٨م. أثرٌ بالغ في نفوس المؤمنين في هذا البلد الصامد رغم الظروف السياسية الصعبة التي نعيشها، فقد تحمل قداسته الأسفار الكثيرة، وأكمل برنامجاً حافلاً ومكتظّاً جداً بالحفلات الروحية والزيارات واللقاءات والإجتماعات والدعوات، وتقبّل كل ذلك بصدرٍ رحب، وتجاوب مع كل ما اشتاق إليه المؤمنون، وأجاب بحكمةٍ وصبرٍ وصراحةٍ على الأسئلة الكثيرة جداً والمتنوعة، والإستفسارات المتكررّة حول مواضيع الساعة ممّا يخص العائلة والكنيسة والمجتمع والوطن، بل والعالم أجمع، فأثلج ذلك صدورنا، وثبّت ايماننا ، وقوّى عزيمتنا على المضي قدماً في طريق النهضة الروحية للكنيسة والتمسك بالإيمان الأرثوذكسي الحق ومحبة الوطن والدفاع عن كرامته.

حقاً كانت زيارة سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص لأبرشيات العراق سوراً حصّن المؤمنين ضد التيارات الجارفة والمدسوسة والتي أخذت هذه الأيام تستخدم مسمياتٍ منمقة ووسائل ماكرةٍ في محاولة النيل من أبناء الكنيسة وبلبلة أفكارهم وجرفهم بعيداً عن الأيمان الحق والسبيل المستقيم الذي سلكه آباؤهم على مر العصور.

وقد تحدّث قداسته مطوّلاً خلال الندوات واللقاءات والإجتماعات عن كل ما يدور في ذهن المؤمن المسيحي في هذا الوطن الغالي وفي هذه الظروف الصعبة بالذات، وشمل ذلك مواضيع الأيمان والمعاناة الإجتماعية والإقتصادية ومضار الهجرة مركزاً على ما يخص الشباب بالذات، وموضوع الوحدة المسيحية وتوحيد الأعياد ودور الكاهن في العائلة والكنيسة والمجتمع وعلاقة الرئاسة الكنسية بالمؤمنين وبالكنائس الأخرى وغير ذلك من مواضيع، فأعطى الأجوبة الشافية الوافية لكل التساؤلات من خلال رؤية شمولية واضحة ، وكأنه في قلب كل مؤمنٍ.

وحتى اللقاءات العائلية التي حضرها قداسته والتي كان يفترض أن تكون فقرات راحة لقداسته، فقد تحوّلت إلى ما يشبه الندوات واللقاءات الرسمية من خلال الأسئلة الكثيرة والنقاشات التي دارت خلالها.

وما أسعدنا جميعاً، هو درجة الوعي التي بلغها المؤمنون في هذه الأبرشية العريقة، حيث في كل بيت تواجد فيه قداسته، كنت ترى عشرات المؤمنين من عوائل الأصدقاء والأقارب لذلك البيت وقد دعوا للجلوس في حضرة سيدنا صاحب القداسة، ليتحدثوا إليه بكل حرية وصراحة ولينالوا بركته الرسولية مباشرة، فظهر المؤمنون في أبرشية

الموصل كعائلة واحدة ملتفّة حول الرئاسة الكنسية بمحبة نابعة من الأعماق، حيث القاعدة والقِمّة مرتبطتان معاً بآصرة المحبّة والصراحة وتبادل وجهات النظر، والكل يعمل من أجل البنيان والنهوض بمسيرة الكنيسة دائماً نحو الأمام، والتمسك بالأيمان الأرثوذكسي الحق حتى آخر قطرة دم تجري في العروق.

لقاء سيدي الحبر الأعظم

يعجز اللسان عن الكلام، ولا تقوى الأنامل على التدوين، وتخذل الكلمات إن هي حاولت أن تعبّر بصدق عما شعرت به وأنا ألتقي سيدي صاحب القداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص في مكتبه في البطريركية الموقرة في باب توما، فور وصولي (ورغم ارتباطاته الكثيرة وكثافة الأنشطة والمهمات التي يضطلع بها على مدى الساعات الأربع والعشرين في اليوم) وفي أول زيارة لي إلى دمشق يوم الخميس ٢٠٠٢/٢/٢١م.؛ ولعل الدموع التي تنهمر الآن من مقلتي وأنا أسطر هذه الكلمات المتواضعة هي خير معبِّر وأصدق شاهد على ذلك.

دخلت باب المكتب لأجد نفسي أمام عظمة الكنيسة وأمجادها برسلها وآبائها ورعاتها وعلمائها وملافنتها وشهدائها ومعترفيها، ابتداءً بمار بطرس هامة الرسل، ووصولاً إلى سيدي صاحب القداسة البطريرك المعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص وهو يمد يديه الكريمتين بكل تواضع وحنان ليحتضنني ويطبع قبلة مقدسة على جبيني قائلاً بفرح : أهلاً أبونا يوسف، الحمد لله على السلامة، ويسألني مباشرة عن سيدنا المطران صليبا والآباء الكهنة وبقية الإكليروس والمؤمنين ذاكراً العديد منهم بالاسم.

وأنا أمام هذا المشهد الصادق الرهيب، أغمضت عيني للحظات وقد اغرورقتا بالدموع فرحاً، وأخذتني سحابة مشرقة من التأملات، تحكي قصة المحبة المسيحية التي شعرت بدفئها وصدقها بين يدي سيدي الحبر الأعظم، وتجسد قيم الرعاية الأبوية الحقة والفضائل المسيحية النابعة عن علاقة حية مع الله لمستها في شخص صاحب القداسة؛ وخلال تلك اللحظات الرهيبة استعرضت شريطاً طويلاً من الأحداث التي تربطني بسيدي الحبر الأعظم منذ أول مرة إلتقيته بها في عام ١٩٦٣م وأنا مرتل صغير في كاتدرائية مار توما في الموصل، يوم جاء الأب الربان زكا بشير عيواص ليصبح مطراناً لأبرشية الموصل المتعبة ويجمع خرافها المبددة وينهض بمؤمنيها ويبعث الفرح في القلوب والاندفاع في الخدمة والغيرة على الكنيسة بين صفوف الشباب والشابات، فيعيد لهذه الأبرشية مكانتها كعروس للأبرشيات، بل يسمو بها على سلم العصر الذهبي التي غدت تعيشه اليوم؛ وصولاً إلى هذه اللحظات التي أقف فيها كخادم لمذبح الرب أمام الجالس سعيداً على كرسي مار بطرس الرسول، بطريرك أنطاكية العظيم.

تلكما اليدان المباركتان، إنما احتضنتا بشخصي كل أبرشية الموصل براعيها وكهنتها وبقية اكليروسها وشعبها المؤمن؛ تلك اليدين المباركتين إنما احتضنت كل مؤمني العراق وبمختلف درجاتهم الخدمية في الكنيسة؛ تلك اليدين المباركتين امتدتا اقتداءً بالرب يسوع مخلصنا، يوم عبّر عن عمق محبته الإلهية للإنسان فامتدت ذراعاه

على الصليب ليحتضن كل البشرية الساقطة وينهضها ويفتديها؛ تلكما اليدان المباركتان امتدتا لتعبرا عن عمق المحبة التي يحملها قداسة الحبر الأعظم لكل مؤمن من أبناء الكنيسة أينما كان في العالم، والمعاناة والتضحيات التي يتحملها قداسته ليمسح الدمعة من العيون ويطعم الجوعان ويسقي العطشان ويكسي العريان ويتفقد المريض والمحتاج ويسهر على راحة المؤمن أينما كان، ويحافظ على وديعة الأيمان كما تسلمها عبر الأجيال من الآباء الميامين الذين سبقوا في الجهاد والعطاء؛ تلكما اليدان المباركتان امتدتا لتعبرا عن الروح الشبابية التي بعثها سيدي صاحب القداسة في نفوس العاملين الغيورين في حقل الخدمة، أصحاب النيافة الأجلاء المطارنة والأساقفة والآباء الرهبان والكهنة والراهبات والشمامسة والشماسات والخادمين والخادمات، والعلمانيين الغيورين المندفعين بهمة ونشاط، ليسابق بهم الزمن وينهض بالكنيسة مجسداً كل أمجاد الماضي في حاضرٍ ساطعٍ ومشرّف، متطلعاً إلى غد أشدّ إشراقاً وأكثر بهاءً وعطاءً، متطلعاً ومعبراً بتينِك اليدين الممدودتين إلى سموّ سريانيّ لا حدود له، وعطاء مسيحيّ لا سقف له، ولسان حاله يقول : أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقويني (في ٤: ١٣).

حقاً كانت لحظات تاريخية لا أنساها في حياتي، حفرت إنطباعاً رائعاً في أعماقي، زادني محبة وتعلقاً واحتراماً وتفانياً لكنيستي السريانية الأرثوذكسية الأنطاكية المقدسة بشخص قداسة الحبر الأعظم، فما كان مني بعد استئذان قداسته، إلاّ أن أعبّر بإسم كل مؤمن سريانيّ غيور ببعض ما جادت به القريحة في تلك اللحظة من كلمات تحكي محبتي وتقديري واحترامي لسيدي الحبر الأعظم، بصيغة شعرية – وأستميح الشعراء عذراً لأني لست شاعراً – فخرجت الكلمات منسابة تتسابق لتعبّر عن صدق المشاعر :

" زكا " يا كوكب الزمان وشمس الحبّ والإيمان
أغنيت بيعة السريان حتى جعلتها عنوان
بما حباك ربّنا من حكمة بها تزدان
راعياً أنت يجمع عزم وغيرة الشبّان
بخبرة الشيوخ، والعطاء فيك عنفوان
قدوتك الفادي الذي قرّب ذاته قربان
يحفظك رب السما رمزاً للمجد والبنيان

* * * * *

همة سيدنا صاحب القداسة

تشهد كنيستنا المقدسة اليوم ، نهضة فريدة من نوعها وعلى مختلف الأصعدة الروحية والمسكونية والاجتماعية، يقودها ويرعاها بحكمة مسيحية وغيرة بطرسية وهمة بولسية، قداسة إمام أحبارنا، البطريرك المعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، الجالس سعيدا على السدة البطرسية الأنطاكية المقدسة، والذي يعمل بهمة لا مثيل لها منذ تربعه على عرش أنطاكيا العظيم عام ١٩٨٠م، لتحقيق برنامج العمل الذي رسمه قداسته مع آباء المجمع الأنطاكي المقدس، ونهضت بواسطته الكنيسة أيما نهضة خلال العقدين الأخيرين، هذه الفترة التي نستطيع أن نسميها بكل فخر، العصر الذهبي للكنيسة خلال القرون العشر الأخيرة من حياتها الحافلة بالمنجزات الضخمة والعطاء الذي لا يعرف الكلل لسيدنا البطريرك المعظم وأحبار الكنيسة السريانية الأرثوذكسية الأجلاء.

ويبدو واضحا في هذا المجال ما نقرأه في فكر سيدنا صاحب القداسة من اهتمام ملحوظ بموضوع التبشير والأسرة المسيحية والفرد المؤمن، حيث ومن خلال استعراضنا لمنجزات قداسة البطريرك الأنطاكي، نشعر وبما لا يقبل الشك، انه يقتدي بخطى الرسول بولس في جولاته التبشيرية في العصر الرسولي، والتي كان لها بالغ الأثر في نشر بشرى الخلاص وتثبيت الايمان في أرجاء المعمورة؛ فها هو سيدنا صاحب القداسة يجول الأرض، متحملا الصعاب والمشقات متفقداً أبناءَه الروحيين حيثما وجدوا وأينما حلوا، مثبتا إيمانهم ومشجعا اياهم ومنظما حياتهم الروحية بحكمته الفريدة وتعاليمه السديدة، وهاهو يخطو خطى القديس السرياني الأرثوذكسي ماريعقوب البرادعي في الوصول إلى كل مدينة وقرية، مجتهدا في تهيئة وإعداد خدام للكلمة ورعاة للقطيع من أساقفة ورهبان وكهنة، يعملون بتوجيهاته الرسولية، ينشرهم في ارجاء المعمورة مستحدثا الأبرشيات ومفتتحا الكنائس الجديدة، وكل ذلك لخدمة المؤمن أينما وجد، كي يقدم له الغذاء الروحي اللازم لخلاصه في هذه الظروف الصعبة التي تعيشها البشرية في ابتعادها عن الله ، وها هم أحبار الكنيسة الأجلاء يعملون بغيرة وهمة لا تعرف الملل على خدمة الرعية وتوفير الخدام اللائقين لها، سائرين بذلك على خطى الرسل الأطهار في هذا المجال، وهكذا أصبحنا نسمع ونقرأ باستمرار وفي كل أبرشياتنا السريانية في العالم، وبسيل لا ينقطع من الأخبار عن رسامة مطارنة جدد، وكهنة جدد، وتوشيح الإسكيم الرهباني لرهبان جدد، وترقية كهنة إلى درجة الخورنة، ورسامة شمامسة إنجيليين، بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الكنيسة الحديث ما يجعل المتتبع الغيور لأخبار الكنيسة أن يشعر بالبهجة والإ طمئنان على مسيرة الكنيسة المقدسة ومستقبلها ، فيركع وهو يذرف دموع الفرح والإمتنان، ليصلي إلى الرب شاكراً عنايته

الإلهية بهذا القطيع الصغير المؤمن، حيث وفر له رعاة ميامين يخدمون بمحبة وعطاء وبذل مميز، يتقدمهم سيدنا صاحب القداسة، ربان السفينة الأكرم وقائد مسيرتها الإيمانية نحو الخلاص بالمسيح يسوع .

وختاما لا يسعنا إلاّ أن نرفع أكف الدعاء إلى الباري تعالى، كي يحفظ حياة سيدنا صاحب القداسة مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، ويسدد خطاه في مهمته الرسولية الصعبة للسير بالكنيسة دائما في طريق الحق نحو ميناء السلام، وأن يسند ويعضد كل أحبار الكنيسة الأجلاء لما فيه الخير والتقدم المستمر لمسيرة الكنيسة، إنه سميع الدعاء.

زكا و صليبا

حياة النسك والرهبانية في الكنيسة ايها الاحباء هي طريق فيها يكرس انسان الله ذاته للعبادة الحقة، ويعمل ان ينقل نور يسوع الى العالم كي يبهج العالم (نور الصديق يفرح ، أم١٣: ٩)، وان ينشر كلمة الخلاص في ارجاء المعمورة، ويقدم للمجتمع طريق الحياة الصحيحة (فم الصديق ينبوع حياة، أم ١٠: ١١)، يعمل على اماتة الجسد بالصوم والسهر والتعفف والوداعة واليقظة الروحية، ما يؤدي الى العشرة اليومية الدائمة مع الرب، وهذه الطريق ما هي الا موت حقيقي عن العالم ومغرياته، وطوبى لمن يقوى على سلوكها حقا.

وهذه الطريق تعبر عن محبة الله محبة صادقة والعيش بمخافة الرب (راس الحكمة مخافة الرب، مز ١١١: ١٠)، بعيدا عن كل غرور أو تعال أو تعاظم أو غاية دنيوية زائلة يبغيها الانسان من وراء سلوكه هذا، فهي تفاعل ايجابي مع الروح القدس العامل في داخل الانسان المؤمن لتحرير النفس البشرية كي تسمو فوق مستوى الارضيات وهذا لا يعني أبدا التهرب من العالم والانقطاع عنه بل على العكس الاجتهاد في العالم وفق المبادئ الايمانية الصادقة ومقاومة كل ما هو شر وخديعة ومكايد لإبليس التي في جملتها تحاول إبعاد الإنسان المؤمن عن السير في طريق الرب .

في السادس من شهر حزيران سنة ١٩٥٤م. أي قبل خمسين عاما تماما وامام المذبح المقدس في كنيسة الطاهرة الخارجية في الموصل، أفرز الروح القدس اثنين من خدام الرب ليكرسا حياتهما للعمل في حقل الخدمة الرهبانية في الكنيسة وقفا بانسحاق قلب صارخين: قلبا نقيا اخلق في يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعة مني (مز٥١: ١٠ و ١١) .

أجل، وقف وقبل خمسين عاماً تلميذان مبتدئان من المدرسة الاكليريكية الافرامية في الموصل امام الحبر الجليل الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام مطران الموصل، ليعلنا اتخاذ القرار الكبير في الحياة بالالتصاق بالرب (واما من التصق بالرب فهو روح واحد، ١كو٦: ١٧)، قدما ذاتيهما هدية ليسوع المسيح فالبسهما الملفان بولس بهنام الاسكيم الرهباني ليحل عليهما روح الرب ويَنطلِقا للخدمة في حقل الرب كما افرز الروح القدس برنابا وشاول في انطاكية، فصلى الاباء وصاموا ووضعوا عليهما الايادي ثم اطلقوهما للتبشير (أع١٣: ٣) .

وشمر الراهبان المفرزان زكا وصليبا عن ساعديهما مواظبين على خدمة الكلمة، في تعب وكد، في اسهار مرارا كثيرة، في جوع وعطش، في اصوام مرارا كثيرة، في برد وعري، كما يقول الرسول بولس ٢(كو ١١: ٢٧)؛ عملا بجد كغواصين في اعماق بحر هذا العالم المتلاطم الامواج بكل ثقة وايمان، يعضد خطواتهما الروح القدس

ليستخرجا اللالي الغالية الثمن من ثمار عمل الروح فيهما ويقدماها جواهر ترصع تاج الخدمة في كنيسة انطاكية السريانية الارثوذكسية المقدسة .

عمل الراهبان زكا وصليبا بجد وسهر واتعاب في المتاجرة بالوزنات التي اعطاهما الرب ليربحا ثلاثين وستين ومائة ضعف وهذا واضح من المكانة التي وصلا اليها في هرمية الخدمة:

فالراهب زكا المبتدئ قبل خمسين عاما هو اليوم راعي الرعاة بطريرك انطاكية وسائر المشرق والجالس سعيدا على السدة البطرسية والرئيس الاعلى للكنيسة السريانية الارثوذكسية في العالم ؛ والراهب المبتدئ صليبا قبل خمسين عاما هو اليوم الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون مطران هذه الابرشية العامرة.

ويضيق بنا الوقت ان تأملنا سيرة حياة كل منهما في خدمة الكنيسة وما قدماه من جهود ونتاج في مختلف نواحي العطاء والتي لا تخفى على كل متتبع غيور في الكنيسة المقدسة فقد عملا بمحبة نابعة من قلب صادق طاهر وضمير صالح وايمان خال من الرياء (١ تيمو ١: ٥)، وانسكبت محبة الله في قلبيهما بالروح القدس المعطى لهما (رو ٥: ٥)، ورغم كل الظروف الصعبة والمعاناة عملا ببهجة روحية وسعادة وايمان أكيد بان الرب راض عنهما وعن الخدمة التي يقدمانها، فهو اختارهما وعينهما في هذا المقام وهما جديران بثقته ورعايته وإرشاده .

نقدم الشكر للرب يسوع المسيح الذي يرعى دائما كنيسته ويهيء لها ويرشد الرعاة اللائقين الغيورين، نسأله أن يحفظ ويسدد خطى قداسة الحبر الاعظم مار اغناطيوس زكا الاول عيواص ونيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا، وندعوا لهما بطول العمر والسعادة والبهجة الدائمة، ودوام الخدمة المثمرة في حقل الرب، آمين .

اليوبيل البطريركي الفضيّ

احتفلت الكنيسة السريانية الارثوذكسية المقدسة في الرابع عشر من أيلول ٢٠٠٥م، بعيد اكتشاف الصليب المقدس على يد الملكة السريانية هيلانة، وتزامن هذا العيد العظيم هذه السنة مع احتفالات اليوبيل البطريركي الفضي لسيدنا قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، الجالس سعيداً على السدة الرسولية البطرسية الأنطاكية المقدسة، إذ أكمل بحفظ الله ورعايته ربع قرن (١٩٨٠ – ٢٠٠٥م) وهو يحمل أثقل صليب في الكنيسة بخدمته النشيطة وجهاده الإيماني على رأس الهرمية الكنسية.

والمجمع المقدس يوم قرر أن ينصب قداسته في عيد اكتشاف الصليب المقدس، إنما كان يعبر بذلك عن المهمة الصعبة والمسؤولية الشاقة التي سوف يتحملها قداسته بحمله صليباً عظيماً يتبع به خطى الرب الفادي يسوع، ناكرا ذاته كقول الرب (إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، مت١٦: ٢٤).

هكذا سلك وهكذا يسير سيدنا صاحب القداسة مقتديا بالرب ومتتبعاً خطاه، وهو يردد قول المرنم الإلهي داؤد (ووجعي مقابلي دائماً، مز٣٨: ١٧) وبخطوات ثابتة وراضية ومحبة، حاملاً هموم كل السريان في العالم، وكل معاناة أبناء الكنيسة، مخترقاً لجة بحر العالم الهائج، سائراً بالسفينة المقدسة بعون الرب إلى ميناء السلام والأمان.

يحمل قداسته صليباً ثقيلاً فيه هموم كل المؤمنين ومعاناة كل المظلومين من أبناء الكنيسة، تدوي في أذنيه صرخة كل مستغيث، ويتفطر قلبه وتتمزق دواخله حزناً لبكاء كل راحيل وهي تندب بنيها وأحباءَها؛ ويحمل قداسته في دواخله معاناة واوجاع كل الشعب السرياني في أقطار المسكونه، وكل همّه أن يخفف الأوجاع ويزيل العقبات ويعزي الحزينين ويمسح الدموع ويمد يد الحنان على هامة كل إنسان أتعبه الزمان، والوصول بالمؤمنين إلى شاطئ الأمان في حضرة الرب الحنّان.

يعمل قداسته وبكل ما بوسعه من أجل خلاص أنفس المؤمنين جميعاً، وفي ذلك همّ عظيم وصليب ثقيل كبير، يحمله قداسته برضا وصبر وفرح روحي، معبراً بذلك عن المعنى الحقيقي للخدمة الصادقة على رأس الهرمية الكنسية السريانية الأنطاكية المقدسة.

رعاك الله سيدي قداسة الحبر الأعظم، وسدد خطاك في طريق المسيح وأنت تقود الرعية بهمة ونشاط وأيمان ومحبة باذلة، وفقك الرب سيدي قداسة البطريرك المعظم في كل أعمالك ومشاريعك ومنجزاتك التي تنهض بها بأبناء الكنيسة السريانية المقدسة نحو الأمجاد، أدامك الرب سيدي راعياً للرعاة وأباً للآباء وقبطاناً حكيماً لسفينة المسيح المجاهدة، أدامك بالصحة والسعادة والأمن والسلام، وحفظ أبناء البيعة المقدسة بصلواتك المقبولة والمستجابة، إنه السميع المجيب، آمين.

لتطب نفسكم سيدي

سيدي قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص
الكلي الطوبى والجزيل الاحترام[1] :

تاريخ الكنيسة حافل بقوافل الشهداء الذين أهرقت دماؤهم الزكية، وقدّموا قرابين على مذبح الأيمان؛ والطقس السرياني المقدس يزدحم بذكرى الشهداء الأبرار وعلى مدار السنة الطقسية؛ وهكذا تتألق الجواهر في قلادة الشهادة الحية ليسوع المسيح عبر الأجيال، بين طفل رضيع (كأطفال بيت لحم ومار قرياقوس)، وأم مباركة (كالشهيدة شموني والشهيدة يوليطي)، وشابة مجاهدة (كالشهيدة بربارة والشهيدة سارة أخت مار بهنام)، وشاب مقدام شجاع (كالشهداء سركيس وباكوس ومار بهنام ورفاقه الأربعين)، وشيخ جليل وقور (كالرسل الأطهار ومار إغناطيوس النوراني ومار أحودامة)، وغيرهم المئات والألوف ممن مجدوا اسم الرب بأسمى معاني الشهادة، أي الشهادة بالدم، فكانت دماؤهم بذاراً للايمان على مر الأزمان.

وهكذا سارت وتسير الجحافل وصولاً إلى يومنا هذا، والعالم يشهد المأسي والضيقات، ما تقشعر له الأبدان، ولا تقوى على سماعه الآذان ويعجز عن وصفه اللسان، ولا يمكن أن يتحمله إلا بالايمان الإنسان، وترفض أن تسطره بالقلم البنان؛ وفي كل ذلك دروسٌ لنا، نحن من وصلت إلينا أواخر الأزمان، كيف يجب أن نعيش ونسلك، وكيف نربي أطفالنا ونرضعهم مع الحليب مقومات الثبات على الأيمان، لينشأوا في حرارة الروح، وينقّوا في بودقة المعتقد القويم، ما يجعلهم دائماً يفضلون الموت في سبيل المسيح، ويقبلون بفرح الجود بدمائهم الزكية شهادة ليسوع، محتقرين هذا العالم وملذاته، ولسان حالهم يصرخ مع الرسول بولس : لأن لي الحياةَ هي المسيح والموت هو ربحٌ (في١: ٢١).

وهكذا ترتوي تربة الكنيسة المقدسة بسماد روحي، لينمو الأيمان ويزدهر في قلوب المؤمنين وعلى مر العصور في انتظار مجيء الرب، وهكذا تتساقط الأوراق كل يوم من شجرة الحياة الباسقة، وتقطع الأغصان الخضراء اليانعة، وتسحق الورود الفواحة، وتطفأ الشموع المنيرة، وتسقَط الحمامات الوديعة عن أعشاشها، ومع كل ذلك تبقى الكنيسة شامخة بأبنائها وأيمانها، تحكي للأجيال قصة معاناة الانسان في علاقته مع الله، ويبقى أبناء الكنيسة يتسابقون للشهادة ليسوع أمام المتسلطين وأصحاب القرار والمتنفذين والمستغلين، وبكل صلابه وإصرار.

ونحن أبناؤكم سيدي صاحب القداسة، خدام للكنيسة، ترتفع أصواتنا في خضم هذا البحر الهائج، وننطق بالكلمة الحقة في كل مصاب ومعاناة، لتكون المعبّر مع الدموع

[1] فقرات مما تفوهنا به في حضرة سيدنا صاحب القداسة، وأثناء القداس والمحاضرة في دير مار أفرام السرياني في معرة صيدنايا في تموز ٢٠٠٥م.

عن صدق ايماننا، وبرهاناً حقاً لرجائنا، في تثبت المؤمنين وتعزية الحزينين، والشهادة ليسوع رغم كل الظروف، لا يهمنا ما قد يحدث لنا، ويمكن أن يحدث بكل بساطة، بسبب قيامنا بدفن شهيدٍ أو تأبين آخر؛ كما تمتد أيادينا لتمسح الدموع باسم يسوع، لتمتد يد الحنّان على هامة كل إنسان عانى ويعاني من تعب هذا الزمان، لا يهمنا أن نضطهد أو نهان، فما أحلى وأجمل أن نبلغ الشهادة ليسوع، بسفك الدم، لتختلط دماء أبناء الكنيسة في الألفية الثالثة مع دماء زكية سبق وسفكت في القرون السابقة ومنذ فجر المسيحية، لتفاخر الكنيسة اليوم أنها لا تزال على الدرب، تؤمن وتعترف وتشهد، بأسمى معاني الشهادة للرب.

سيدي الحبر الأعظم :

كلماتكم يوم أمس، حين تحدثتم عن عواطفكم النبيلة تجاه كنيسة العراق، أثلجت صدورنا، إذ كانت تنبع عن قلب كبير كله محبة وحنان، كانت خير معزٍّ لنا، بل أعطتنا جرعات منشطة وشحنات مقوية لعزيمتنا في الخدمة المضاعفة في حقل الرب، فلتطب نفسكم الوديعة، ولتطمئن سيدي، حيث كنيسة العراق تشهد اليوم بأبنائكم الذين ترعرعوا في أكنافكم، وتربوا بين أيديكم المقدسة، على التمسك بالايمان رغم كل المحن والضيقات، فأنتم علمتمونا معنى الخدمة الحقة والشهادة الحقة لفادي الأنام.

لتطب نفسكم المحبة سيدي، التي تمثل قلب الأم الفاضلة في سفر الأمثال، التي ألبست أبناءَها حللا ايمانية محصنة، هي سلاح الله الكامل، فلا تخاف عليهم من العواصف والأمطار.

لتطب نفسكم الحنونة، وهي تسهر الليل بساعاته تصلي وتتضرع إلى الرب كي يحرس أبناءَها ويصونهم في الضيقة التي يمرون بها، وهي تعاني تماما كالأم التي لا تعرف طعماً للنوم ما دام أبناؤها في سوح الوغى يجاهدون.

لتطب نفسكم المتواضعة سيدي، فكنيسة العراق التي بنيتموها في أحلك الظروف، تعلن في كل لحظة أنها لا تزال وستبقى كنيسة حية بقوة الروح القدس العامل فيها، تتحمل الضيقات وتقاوم الإضطهادات، وما أبناؤها إلاّ جنوداً أمناء في سفينة الكنيسة المقدسة التي تقودونها بكل حكمة، وهي تمخر عباب بحر متلاطم الأمواج، لتصل بعون الرب إلى ميناء السلام.

وأخيراً، اشملونا ببركتكم وصلواتكم، ليزداد أبناؤكم ايماناً كلما اشتدت العواصف حولهم، صارخين مع المرنم الإلهي : أيضاً إذا سرت في وادي ظلّ الموت، لا أخاف شراً لأنك أنت معي (مز٢٣: ٤)، وبارخمور.

تأملات
في الميلاد المجيد

وبالإجماع عظيم هو سرّ التقوى
الله ظهر في الجسد

١تيمو٣: ١٦

ميلاد الرب

أيها الأحباء :

قديماً على عهد نوح البار، انغمس العالم في بحر الخطية والشر والعار (تك٦: ٥)، فأغرقهم الله في طوفان كاسحٍ (تك٦: ١٣)، وتمثل سلام الله للمخلصين من البشر، بحمامة أطلقها نوح من كوة الفلك، لتحمل إليه غصن زيتون أخضر (تك٨: ١١)، شعار نجاةٍ وخلاصٍ وظفر، وفي ملء الزمان، تتجسد تلك الحمامة بشراً، بشخص مريم العذراء، التي تحمل النجاة والخلاص لكل البشر، تحمل النور والسلام إلى العالم المنغمس في الظلام، تحمل غصن البر (إر٢٣: ٥)، الذي نبت من جذع يسى (إش١١: ١) ليبني هيكل قدسه ويتسلط على كرسيه (زك٦: ١٢)، فهي الحمامة الوديعة التي حملت النسر عتيق الأيام.

أصبحت العذراء مريم، سفينة نوح الجديدة التي تحمل الخلاص بذاته، تحمل المخلص الحق بإرادته، تحمل الكلمة المتجسد بمحبته (يو١: ١٤)، من أنقذ المسكونة الغارقة في الظلام، تحمل الملك المنتصر؛ صارت مريم سفينة، حملت ربان المسكونة، طافت به جبال اليهودية، ووصلت به بيت لحم اليهودية، لتلده في مغارة على أطراف البرية، أنه الرب برنا (إر٢٣: ٦) ومحبته أحدرته من عليائه نحونا ، لينقذ البشرية.

وتسبحة الملائكة ليلة الميلاد، كانت استعلاناً للثالوث الأقدس، الإله الواحد خالق الكائنات، فالمجد لله الآب في الأعالي، وعلى الأرض حل الكلمة يسوع، رب السلام، والمسرة في دواخل المؤمنين، عمل الروح القدس وثماره المصطفاة، فلا مسرة في القلوب إلا بالروح الحق الحال في هياكل المؤمنين من العباد.

دخل كلمة الله إلى العالم كطفل صغير، ببساطة وتواضع؛ ولد من فتاة مغمورة وديعة كلها تواضع؛ واضطجع في مذود للحيوانات، متواضع؛ ليعلمنا أن الدخول إلى ملكوته يكون بذات الصورة، لا يتم إلا بالتواضع (لو١٨: ١٧)؛ فها قد ولد لنا اليوم مخلص، كله بساطة ومحبة ووداعة وتواضع (مت١١: ٢٩).

قبل أكثر من ألفي عام، تعلن البشرى للرعاة والمجوس، بولادة الكلمة الفادي القدوس، تعلن للبساطة واليقظة والسهر ، والحكمة والفطنة والصبر؛ تعلن ببساطة الكلام، وبنجم ساطع يُظهر سمو المقام، كي نتعلم : أن حياتنا مع المولود العجيب هي بساطة وأمانة وسلام، والسلوك بحكمة، رأسها مخافة رب الأنام (مز١١١: ١٠)؛ هكذا يريدنا الله، يقظة روحية متواضعة، وأمية سامية مرصعة بجهاد إيماني ومحبة باذلة ناصعة.

جاء إلى العالم ملك السلام، فاضطرم نار الحقد والحسد، في قلوب أعداء الحق ومحبي مغريات الجسد، تعجرفت الطينة، لتهتز المسكونة، لجريمة نكراء ملعونة، تمخض عنها ضمير هيرودس وأفكاره الصماء، مستخدماً ما توصل إليه مما اعتبره ذكاء، في استشارة كتبة وكهنة وعلماء، إذ مد ذراع الشر ليذبح أطفال بيت لحم،

يذبح الحمام عله يصل المرام، عله يذبح السلام، ويجتث جذور الحب والوئام، التي زرعت في مذود الأنعام بين الأنام !!.

راحيل تبكي على بنيها، راحيل كل أم اختطفت يد المنون رضيعاً من بين يديها، راحيل كل مؤمنة فقدت عزيزاً أوحبيباً من بنيها، راحيل كل فاضلة اصطلت بنار الحرب ووحشية مروجيها، راحيل كل متعبة على الأرض تصرخ اليوم : لماذا؟، لماذا الدماء؟ وما هو ذنب الأبرياء؟، لماذا الحقد الدفين في القلوب يا من تدعون أنكم رحماء ؟ ، أين سلام بيت لحم؟ أين المسرة التي تنشدها السماء؟.

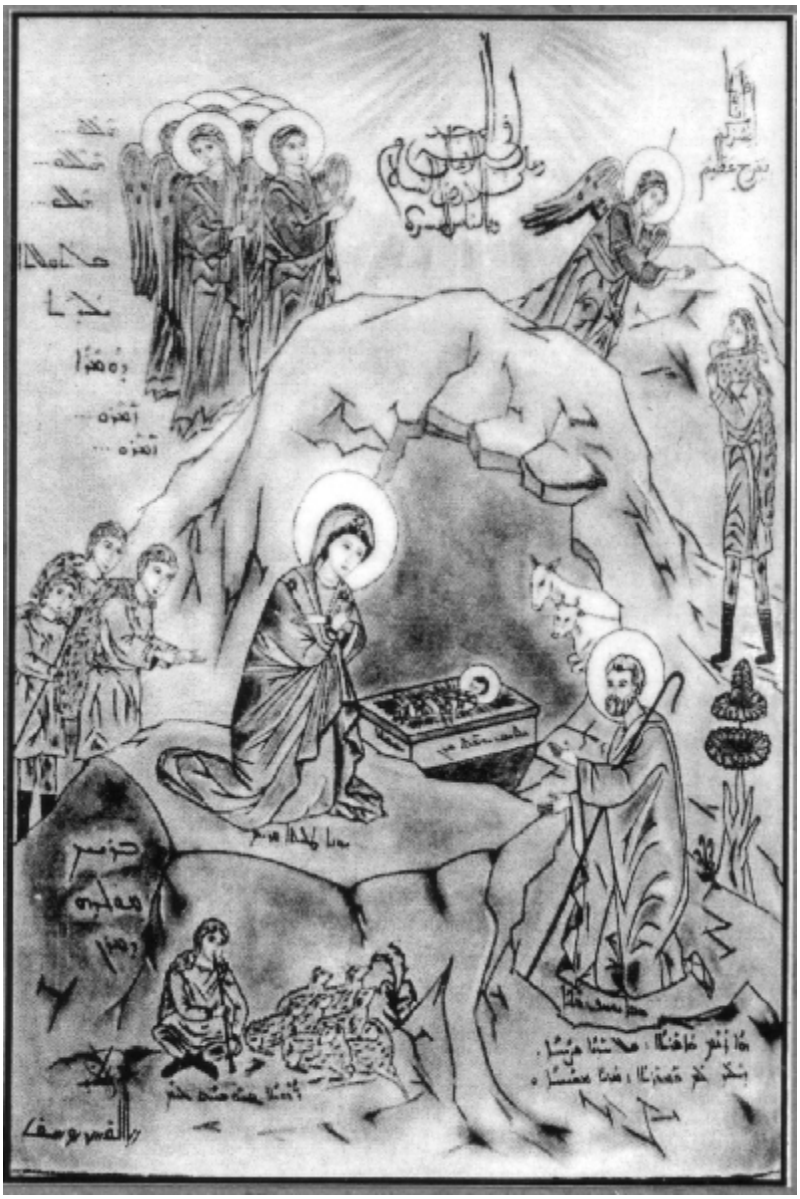

الميلاد عيد وشهادة

أيها المؤمنون المباركون :

الميلاد عيد، وأي عيد، إنه استعلان الله للبشر، عيد زوال الغموض عن السماويات والظهور الإلهي الأكيد، فالله ظهر في الجسد (١تي٣: ١٦)، وتحققت النبوة عن عمانوئيل (الله معنا)، الله الذي لم يره أحد قط، لكن الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر (يو١: ١٨)، والكلمة يسوع صار جسداً وحلّ بيننا (يو١: ١٤)، ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا (يو١: ١٦)، والسلام والمسرة به مُنحتا لنا، لأن الله التحم بمحبته بنا، وكلمته حلت بالأيمان في قلوبنا (إف٣: ١٧)، وروحه الأقدس حالٌّ في هياكلنا (١كو٦: ١٩)، وأعضاء في جسده الطاهر جعلنا (١كو١٢: ٢٧)، فميلاده بالجسد هو بالروح ميلادنا، وهو بدء أبدية حياتنا، إذ بتجسده وإكماله عمل الفداء، نحن إلى الأبد حيينا؛ هكذا يكون العيد، بل عيد الأعياد السعيد.

عيد الأعياد الذي فيه نجتمع معاً لنصليَ ونرتل ونسبح الله ونمجد، ونَنشد السلام والعيش الرغيد، نستذكر الألفين التي مضت من الأعوام، وما حلّ في ملء الزمان للأنام، يوم أُعلِنت البشرى وتحققت المواعيد، يوم أعطيت إشارة السماء، لتعلن الفرحة، لمجوس المشرق الحكماء، ولرعاة الأرض الساهرين البسطاء : أن مصالحة الإنسان المتعب قد أصبحت وشيكة مع الخالق الرحوم المعطاء، لتنتهي قطيعة طويلة صعبة ابتدأت بآدم، وعاشها الجنس البشري بشقاء.

تعالوا أيها الأحباء، نتأمل الميلاد، ونعيش الأحداث والمفردات، ونستذكر النبوات، تعالوا نتجه بالروح نحو مغارة بيت لحم، لننظر الأمر الواقع، ونقرن المعطيات بالمعطيات، ونتأمل :

عذراءَ وديعة مغمورة، أستودِعت كلمة الله في جسدها بعد أن قبلت الإختيار الإلهي، فنالت الطوبى وفائق الكرامات (لو١: ٤٨)، وشيخاً وَرِعاً باراً، يتصرّف برزانةٍ وحلمٍ بعد أن ازدحمت أفكاره بأقوال الأجداد (مت١: ١٨-٢٥)، ومذوداً بسيطاً متواضعاً وحيوانات، ورعاةً مبهوتين يتساءلون حائرين : ما هذا الأمر الواقع الذي يجري اليوم بين المخلوقات ؟، فها ملائك العلى تهتف لله مجداً، وتبشر الأرض سلاماً والقلوب مسرّات (لو١: ١٣-١٦).

ونتأمل نجماً ساطعاً في أعالي السموات، يرشد المجوس إلى حيث كان الصبي، وهم يحملون الهدايا ويحددون الدلالات (مت٢: ٩-١١) :

ذهباً، فهو ملك الملوك وسيد الأجناد (مت٢: ٢)؛ ولباناً، لأنه الكاهن الأعظم إلى الأبد والرب الجوّاد (عب٧: ٢١)؛ ومرّاً ، فالآلام تنتظره والأحزان ترافقه (إش٥٣: ١-٥)، ليكمل الفداء ويصنع للإنسان الأمجاد (غل٤: ٥).

افرحي أيتها البشرية المعذبة، تهللي، رددي الآيات، ترنمي يا ابنة صهيونَ، افرحي وابتهجي (صف٣: ١٤)، هوذا منقذك بمحبةٍ آتٍ، ملك الملوك قد وُلِد، وحل السلام أيها العباد، المسيّا ظهر، فالخلاص آتٍ، الخلاصُ بمحبتهِ آت (مت١: ٢١).

لكن الشرّ لا يحتمل تلك المحبة (أم٢١: ١٠)، وإبليس لا يطيق الحرية والخلاص للإنسان، والرجل اللئيم ينبشُ الشرّ (أم١٦: ٢٧)، وتتلطخ يداه بدماء بريئة (أم٦: ١٧)، وهكذا ترتفع ذراع اللذات والمتاهات، لتمتد بسيف الكراهية والمغريات، وتطال أطفالاً أبرياء يذبحون، وتسيل دماءٌ زكيةٌ طاهرة، فتولول الأمهات الحزينات، وفي قلوبهنَ حسرات، ويبدأ موكب الشهادة ليسوع المولود ومن هذه اللحظة بالذات، والقافلة الأولى فيه، أطفال بيت لحم، ويبدأ معه الألم والمعاناة، ما يرافق مسيرة المؤمن خلال كفاحه في معركة الجهاد والحياة.

الميلاد رسالة محبة وسلام

التاريخ الإنساني وكما يستعرضه الكتاب المقدس هو حركة علاقة بين الإنسان وخالقه، يدبّرها الله سبحانه وتعالى بدقة بالغة ووفق خطة محكمة، سخّر فيها الطبيعة كلها لخدمة الإنسان ليصنع منها تاريخه الحي الممتد عبر عصور الزمان، فيسلك في طريق الخير والمحبة والسلام، ما أراده الله له يوم خلقه على صورته.

وعلى مر العصور، كان الإنسان يتحدى مشيئة الخالق ويتجاهل قداسة الله ، فيسقط في متاهاتٍ يخسر معها علاقته المميّزة بالله، وتفقده مكانته الأولى والمميزة بين الخلائق؛ وخلال هذه المراحل كلها، كان الله تعالى اسمه، بحنان ومحبة إلهية يرسل من يبلّغ الإنسان الرسائل السماوية لينتشله من سقطته ويعيده إلى وعيه كي يسلك بمخافة الله ويعيش المحبة والسلام، ويعمل ما فيه الخير والسعادة لأبناء جلدته وإعطاء المجد لله الواحد الأحد.

وفي ملء الزمان، يرسل الله ابنه، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس (غل٤: ٤و٥)، فيظهر " كلمة الله" يسوع المسيح، رسول السلام والمحبة ، مولوداً بطريقة عجائبية من عذراء مغمورة، ببساطة وتواضع فائق التصور في مذود بيت لحم، كي يعلم الإنسان التواضع والبساطة في التعامل مع الآخرين؛ وفي يوم ولادته تهتف ملائكة السماء المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة، ليتعلم الإنسان كيف يمجد الله (مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله، ١كو ٦: ٢٠)، ويعيش بسلام مع الآخرين (طوبى لصانعي السلام، مت ٥: ٩)، لتسود السعادة الأرضَ.

هكذا ينظر المؤمن المسيحي لميلاد السيد المسيح له المجد، كحادث فريد عجيب أشارت إليه نبوات الأنبياء قديماً كما قال إشعيا : ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧: ١٤)، وعمانوئيل تعني أن الله حل بيننا كما صرخ الرسول بولس (عظيم هو سر التقوى : الله ظهربالجسد، ١تي٣: ١٦)، وهكذا يشعر المؤمن أن الله كلّمه في ملء الزمان بكلمته المقدسة، يسوع المسيح معلناً أن الحياة الحقة التي يريدها الله للناس هي أن يعيشوا بمحبة وسلام ، لتسود بينهم السعادة، وهكذا يكون الخير يعم الجميع، لأن المحبة التي يريدها الله تتأنى وترفق، ولا تحسد ولا تحتد ولا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تطلب ما لنفسها ولا تفرح بالإثم، إنها المحبّة التي لا تسقط أبداً كما وصفها الرسول بولس (١كو ١٣: ٤ – ٨).

للميلاد إذن دلالات روحية عميقة، تشمل علاقة الإنسان بخالقه في العبادة الحقة والصوم والصلوات، فالمؤمن يصوم قبل عيد الميلاد كي يسمو بإخضاعه الجسد ليقترب إلى ربه ويعي جيداً ما يعنيه الميلاد له.

أما من الناحية الإجتماعية، فالميلاد خير معبّر عن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان مهما كان لونه أو شكله أو دينه أو ثقافته أو قوميته، يتعامل معه بالمحبة الفائقة التي تصل إلى حد البذل ومنتهى العطاء، لتعيش البشرية بسلام، ومن هنا جاءت الرموز والدلالات المادية والإجتماعية التي ترافق عيد الميلاد كالإحتفالات المبهجة والكرنفالات والهدايا المتبادلة التي تعبر فيها الشعوب - وكل على طريقته الخاصة - عن رغبتها بالعيش بسلام مع بعضها؛ فشجرة الميلاد تمثل الخصب والعطاء السخي، ومصدر البركة في حياة الإنسان، والنار تمثل تواجد الله بين شعبه وتشير إلى تمحيص النفوس المؤمنة لتكون نقية خالية من الشوائب التي تحاول زرع الشر بين الناس لتبعدهم عن بعضهم وتثنيهم عن عزمهم العيش بسلام.

وختاماً نقول لمن يدق طبول الحرب اليوم ويهدد ويتوعد شعوب العالم الأبرياء، نقول له: تعقل يا هذا وخف الله، فإن الله هو إله سلام (١كو ١٤: ٣٣)، والله محبة (١يو ٤: ٨)، وعليك أن تسلك بالسلام والمحبة ، وتتعامل مع بني جنسك من شعوب الأرض بعيداً عن الشر والعنجهيّة الباطلة الزائلة، يا هذا تصرف بحكمة مسيحية تعي ما يعنيه الميلاد من دلالات سامية يريدها الله للجميع، ليعم الخير الجميع.

الميلاد والهرطقات

قبل ألفي عام تواردت رسل السماء إلى أرضنا المتعبة تحت وطأة اللعنة (تك ٣: ١٧) لتعلن للبشرية أن ملء الزمان قد بلغ (غل ٤: ٤) وحل العهد الذي فيه يكلم الله الإنسان وجهاً لوجه في ابنه يسوع المسيح (عب ١: ٢)، حل العهد الجديد والفجر الجديد للإنسان الرازح تحت وطأة الخطية والموت ، ليعيش حياة سلام ومسرة ، ويعيش الملكوت معطياً المجد لله ومنشداً السلام على الأرض والمسرة بين الناس.

وتسير كنيسة المسيح حتى اليوم بإيمان أرثوذكسي ثابت يعلن بكل وضوح وبساطة سر التقوى العظيم : الله ظهر في الجسد (١ تيمو ٣: ١٦)، فمولود المغارة، ابن العذراء مريم ، هو عمّانوئيل (إش ٧: ١٤)، يسوع المسيح، الإله المتجسد، أي الله معنا، الذي هو الأول والآخر، ولا إله غيره (إش ٤٤: ٦)، وابن الله الحي (مت ١٦: ١٦) الذي شاء أن يتجسد في أحشاء العذراء ليظهر بين الناس ويفتدي البشرية بعمله الكفاري على الصليب.

ومنذ ألفي عام أيضاً، تتوارد الهرطقات والبدع التي تتفتّق عنها عقول البشر بإرشاد إبليس، محاولة أن تمس هذه الحقيقة الإيمانية العظيمة والراسخة في شخص المسيح يسوع، مستخدمة كل الوسائل والفلسفات التي توصلت إليها البشرية، ويتباهى بها رجال العلم والمعرفة الدنيوية، والتي بالنتيجة تعلن بوضوح قصور العقل الإنساني مهما وصل إليه من تقدم ورقي، ومهما بلغ من سمو دنيوي؛ فالملاك جبرائيل بكلمات بسيطة واضحة يبشر السيدة العذراء بالحبل الإلهي بقوة الروح القدس (لو ١: ٣٠- ٣٥) وعقل الإنسان يحاول أن ينكر على العذراء هذا الحبل العجيب متسائلاً من جديد : كيف يمكن أن يحل الله في أحشاء فتاة بتول ؟، متناسياً ما قاله الملاك : أن لا شيء غير مستطاع لدى الله (لو ١: ٣٧) .

والملاك جبرائيل يعلن للسيدة العذراء بوضوح تام حقيقة السيد المسيح الناصعة قائلاً : فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١: ٣٥)، والقداسة صفة موقوفة على الله (إش ٤٣: ٥)، ما يعني أن الملاك يعلن أن مولود بيت لحم هو الله الذي ظهر بالجسد بصورة طفل رضيع بريء، بينما الإنسان يحاول إنكار ذلك، ويرفض أن يقدم السجود له، بل يحاول أن يقبله كمجرد إنسانٍ عادي متناسياً أن رموز الحكمة في ذلك الزمان، أي المجوس الوثنيين، قد سجدوا له (مت ٢: ١١) إذ نظروا فيه تلك الحقيقة الناصعة أنه القدوس ابن الله ،اله الكون المتجسد والملك العظيم.

وأليصابات البارة، حين تزورها السيدة العذراء بعد بشارة الملاك لها، تمتلئ من الروح القدس ويرتكض الجنين في بطنها فرحاً واعترافاً، فتصرخ قائلة : من أين لي أن تأتي أم ربي إليّ (لو ١ :٤١- ٤٣)، تعلن أليصابات أن الجنين الذي في أحشاء العذراء

هو الرب، مذكرة بنبوة إشعيا (أنا الرب وليس غيري مخلص، إش ٤٣: ١١)، وتجيبها السيدة العذراء بترنيمة خالدة قائلة : تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي (لو ١: ٤٦)، وكأنها تصرخ مع النبي داؤد : باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس (مز ١٠٣ :١)، وتردد مع إشعياء : وأنت تبتهج بالرب، بقدوس إسرائيل تفتخر (إش ٤١: ١٦)، وذلك اعتراف صريح وواضح وبالهام الروح القدس أن مولود بيت لحم هو الرب القدوس المخلـــص، بينما الإنسان يحاول أن ينال من هذه الحقيقة بأشكال ومسميات مختلفة، فهذا يشك بألوهة السيد المسيح، وذاك يشكك في أنه اتخذ جسداً على الأرض، وآخر يقسم السيد المسيح إلى إثنين، فيفصل عمل اللاهوت (المعجزات والأمور الخارقة) عن عمل الناسوت (ملقى الاهانات)، وغيره يحاول أن يجعل من السيد المسيح مجرد إنسان فائق القدرات خصّه الله بمكانة أو ميزات فريدة .....الخ من هرطقات وبدع، وما غايتها إلاّ محاولة الطعن بحقيقة ناصعة هي أن السيد المسيح له المجد هو الإله الكامل والإنسان الكامل، هو الإله المتجسد الذي شاء أن يولد طفلاً من العذراء مريمَ بالجسد، ويموت على الصليب فداءً للبشر ويقوم من القبر ويصعد الى السماء.

رب الكون يولد في مذود متواضع، ليعلن أنه رب التواضع ومحب المتواضعين، ويمنح الطوبى للمساكين بالروح والودعاء والرحماء وأنقياء القلب وصانعي السلام (مت ٥: ٣- ٩)، ويطلب منا أن نتعلم منه لأنه وديع ومتواضع القلب ، وأما الإنسان فيحاول أن ينكر على الرب كل ذلك، فيرفض التواضع والبساطة ويتحدث بكبرياءٍ وتعالٍ معتقداً أنه فهم معطيـــات التدبير الإلهي بطريقة أسمى من الآخرين وكما اعتقدت " الغنوصية" في القرون المسيحية الأولى، فيصور الأمور بما يمليه عليه عقله وما وصل إليه من حكمة وثقافة ورقيّ و " تطوّر" دنيوي، يبقى ناقصاً وقاصراً مهما بلغ (١كو١٣: ٩) .

عجيب أمرك أيها الإنسان الضعيف، كيف تسمح لإبليس أن يشوش أفكارك ويحاول إبعادك عن بساطة الحقيقة الناصعة، فالملاك دعاه مخلصاً ومسيح الرب (لو ٢: ١١) وأليصابات دعت مريم العذراء : أم ربي (لو ١: ٣٤)، ويوحنا المعمدان شهد أنه ابن الله (يو١: ٣٤)، والروح القدس على لسان بطرس الرسول يعلن أنه هو المسيح ابن الله الحي (مت ١٦: ١٦) وتوما ناداه قائلا : ربي والهي (لو ٤: ٤١)، وحتى الأرواح الشريرة اعترفت به أنه قدوس الله (مر ١: ٢٤)؛ وأما أنت أيها الإنسان، فلا زلت ترفض وتشوه وتبلبل الأفكار محاولاً الإلتفاف على هذه الحقيقة الناصعة والتي بنى عليها السيد المسيح الكنيسة (مت ١٦: ١٦) والتي لا تحتاج إلى فلسفات ولا تقبل فحصاً واستنتاجات ولا تسبر غورَها كتبٌ منمقة وإصدارات، فهي واضحة جلية في الإنجيل المقدس، كتاب الحياة .

ولكن مهلا ايها الاحبـــاء، فحتى الكتاب المقدس أيضاً، يريد الإنسان أن يقرأه ويكتبه بطريقة أخرى وكما يشتهي عقله القاصر، ليشوه الحقائق والدلالات ويصورها بصيغ يعتقدها صحيحة ومتجددة، وما هي إلاّ هرطقات .

جولة مع طقس الميلاد

أجاد آباء الكنيسة وعلماؤها وأبدعوا، مستنيرين بوحي الكتاب المقدس وإلهام الروح القدس، في ترتيب مراحل الطقس السرياني الأنطاكي المقدس على مدار السنة الطقسية الكنسية، والذي جاء روعة في التسلسل والمعاني والمدلولات، حيث يرتفع بجبلتنا المتواضعة فينهض بالمؤمن المتابع، من مستوى الأرضيات إلى مستوى السماويات في الفهم والإستنارة.

ومع بداية السنة الطقسية الكنسية، تصاحب الكنيسة المؤمن في رحلة ميلادية روحية رائعة ومقدسة، ويُهيأ للسمو بأفكاره وحواسه الجسدية إلى مستوى إلهي، بل إلى قمة السمو في التدبير الإلهي للميلاد، ألا وهو استعلانُ الله وظهورُه بالجسد، متمثلاً بولادة كلمة الله يسوع من العذراء مريم في مغارة بيت لحم وبكل بساطة، واستعلان سرّ الخلاص القائم والمعلن بتجسد ابن الله، أي اتحاد الله بالإنسان.

وهكذا تبدأ السنة الطقسية الكنسية[٢] بيوم الأحد (أحد تجديد البيعة)، والذي يعني تجديد هياكل نفوسنا بطرح أدران هذا العالم وخلع الإنسان العتيق، ولبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله بالبر والطهر، ليمتلك المؤمن عندها قلباً جديداً طاهراً، وضميراً صالحاً، وايماناً بلا رياء (قلباً نقياً أخلق فيّ يا أله، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي، مز٥١: ١٢).

وفي الأحد التالي (أحد تقديس البيعة)، تكون غاية المتجددين هي أن يقفوا أطهاراً في حضرة الله، ممتلئين من الروح القدس، مقدّسين بدم الحمل السماوي الذي سفك على خشبة الصليب، وهنا يقطع المؤمن كل صلة بالخطية، ويطهّر ذاته من كل نجاسة تتنافى وقداسة الله، عملاً بوصية الرب : (تكونون قديسين لأني قدوسٌ الرب إلهكم، لا١٩: ٢).

وحين يتجدد المؤمن ويسلك في القداسة، يشعر بصلة روحية مع الله وانتماءٍ إلى السماء، فينتهي الخوف والقنوط عن قلبه، ويحس يقيناً باستجابة الرب لصلواته وطلباته، تماماً كما قال الملاك لزكريا الكاهن داخل المذبح في (أحد بشارة زكريا) : لا تخف يا زكريا، فأن طِلبتك قد سمعت، لو١: ١٣)، ويؤمن بأن كل ما يطلبه بانسحاق قلبٍ وايمان صادقٍ، يناله من الرب في الوقت والشكل الذي يراه التدبير الإلهي مناسباً، وكما حدث لزكريا وأليصابات.

(لا تخف، آمن فقط، مر٥: ٣٦)، فأنت مؤمن متجدد وتسلك طريق القداسة، ويجب أن تكون واثقاً أنك بالأيمان تحيا وتسلك، وتحظى بالمحبة الإلهية، وتمتليء من النعم السماوية، والتي عبّر عنها الملاك في (أحد بشارة السيدة العذراء)، حين منحها السلام قائلاً : لا تخافي يا مريم، لأنك قد وجدت نعمة عند الله (لو١: ٣٠).

---

[٢] بحسب الطقس الكنسي السرياني الشرقي، نبدأ السنة الطقسية بأحد تجديد البيعة ويليه أحد تقديس البيعة.

وحين يمتلئ المؤمن من النعم الإلهية، يستطيع عندها أن يكتشف معنى سر التجسد الإلهي، ويُسرَّ ويفرحَ كما فعل يوحنا المعمدان وهو جنين في بطن أمه، يوم ارتكض ابتهاجاً واحتراماً وهو يستقبل كلمة الله الحال في أحشاء السيدة العذراء عند زيارتها لنسيبتها إليصابات (لو١: ٤٤)، ما تُذكِّرُ به الكنيسة في " أحد زيارة السيدة العذراء لنسيبتها أليصابات ".

ويفرح المؤمن ويبتهج، وتغمره السعادة، كما صار فرح عظيم بولادة يوحنا، ما تعيد له الكنيسة في " أحد ولادة يوحنا "، لأن إلهنا يهدي خُطانا في طريق السلام، كما أرسل يوحنا ليكون الساعي الذي يتقدم الرب ويعد الطريق أمامه (لو١: ٧٦)، ويهيء الضمائر والقلوب لاستقبال المسيا المخلص والمنقذ الذي محا صَكَّ الخطية عن كاهل البشرية (مت١: ٢١)، كما أعلن الملاك ليوسف في الحُلم والذي تستذكره الكنيسة في " أحد وحي يوسف " .

وفي نهاية هذه الجولة المقدسة، ومع صيام الميلاد المقدس والذي فرضته الكنيسة، يخضع الجسد لسمو الروح، فيصل المؤمن إلى تمام النبوة عن " عمانوئيل " أي الله معنا (مت١: ٢٣)، حيث يسرّ بولادة الفادي وحلوله بيننا، فيبصر مجده ويشكر الرب ويمجّده على نعمه التي وهبها لنا، لا باستحقاق منا، بل بالرحمة والمحبة والحنان التي أولانا اياها، والمجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة.

سلام بيت لحم

قبل الفي عام جاء مخلص الأنام وملك السلام، رب المجد يسوع المسيح إلى العالم، حاملا مفهوم الملكوت الجديد، ملكوت الله ، ليبدد ما سيطر على عقول البشر من ظلام، واستودع هذا الملكوت في كيان البشرية قائلا : (ها ملكوت الله داخلكم ، لو ١٧: ٢١)، وهذا ما أفصحت عنه ملائكة السماء حين رددت ترنيمتها العذبة : المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة (لو ٢ : ١٤)، معلنة ما يريده الخالق في أن تُعطي الجبلة المجد لخالقها، فتكرم الله وتشهد بعظمته ورفعته على كل البشر، وتقر بقدراته الفائقة التي ترفع طبعنا البشري إلى ما هو أسمى دائما، إلى السماويات، وأن يحل السلام والاطمئنان بين الناس من خلال المصالحة بين الله والإنسان من جهة، وبين الإنسان وأخيه الإنسان من جهة أخرى؛ سلام لا يعرف الغش ولا الإضطهاد ولا الغدر، سلام المحبة الباذلة الذي يرتبط بالإيمان الصادق بالمسيح؛ كي يعيش الإنسان حياة بهجة ومسرة قوامها آصرة الاخوة الصادقة التي تجمع كل البشر دون تعالٍ ولا تمايز ولا فوارق بين هذا وذاك، ولا تناحر ولا حروب ولا تجبر وتعاظم على الآخرين .

لكن أبناء هذا العالم ومنذ تجسد كلمة الله يسوع وولادته في مذود بيت لحم وحتى اليوم ، يرفضون السير وفق هذه المبادئ السامية، ويصدون عن الانخراط تحت رعاية هذا الملكوت، إذ يرفض الإنسان الاعتراف بمجد الله، حين يرفض أن يسمو فوق الدنيويات القاتلة، ويرفض أن يسلك في طريق المحبة الباذلة، وحين يتمسك بالتفاخر والتعجرف وحب الذات والتعالي على الآخرين والشعور بالزهو والسمو الدنيوي الزائل بما وصل إليه من تكنولوجيا وآلة حرب؛ فقد اصبح هم الإنسان مُنصَبّاً حول غلبة الآخرين والتسلط على بني جنسه وإخوته وأقربائه من بني البشر .

وهكذا يثبت الإنسان فشله الذريع حين يتصرف وفق ما يعتقد انه يمتلك من حكمة ودهاء متناسيا الحكمة الإلهية السامية والتي رأسها مخافة الرب (مز ١١١ : ١٠) ، وبسبب هذا التمادي الخطير في الابتعاد عن الله ، فان العالم يتمزق اليوم ، والحرب والدمار اصبحا الطريق المحبب لصانعي القرار في العالم الصاخب بدل اللجوء إلى السلام والمحبة والتفاهم بالطرق السلمية المشروعة.

في الأمس اضطرب هيرودس واستشاط غضبا وزمجر ليرتكب جريمة شنعاء نكراء، حين مدّ ذراع الشر، ليذبح أطفال بيت لحم الأبرياء ، علّه يذبح ملك السلام ويجتثّ جذور المحبة من بين الأنام؛ واستشهاد أطفال بيت لحم الأبرياء يذكرنا والبشرية اجمع، باستشهاد كل الأبرياء في العالم من كل جنس ولون ودين ابتداءً بهابيل، ووصولا إلى استشهاد أطفال العراق وشبابه ونسائه وشيوخه الذين تطالهم اليوم ذراع تكنولوجيا الشر لهيرودس الحقد والنجاسة والمغالطات والعنجهيّة الزائفة في العصر الحديث .

لماذا الدماء ؟ لماذا يذبح الأبرياء ؟ يا من تدّعون الحكمة وتشعرون أنكم فقهاء ؟، ألم تسمعوا بمسيح السلام؟ أين سلام طفل المذود ؟ أين المسرة التي تريدها السماء؟ فقد أطلقتم آلة الحرب الفتاكة قبل أيام معدودة فقط من عيد الميلاد بالذات ، وفي فترة الصيام المقدس قبل العيد، والأولى بكم أن توجهوا في هذه الفترة المباركة ليس أسلحَتكم الفتاكة لقتل الأبرياء، بل ضمائرَكم وأفكارَكم نحو السماء، وتعملوا من اجل سلام العالم ومسرة الناس، تتصرفوا بحكمة الإنجيل لقتل العداوة لا الأبرياء ، وكسر شوكة الشر والكراهية بين البشر، لا التخريب والدمار والدماء ، فنحن هكذا نفهم الميلاد، وسوف نبقى مهما فعلتم ، نردد المجد لله في الأعالي وعلى الأرض نصنع السلام ونزرع في الناس المسرة، وسوف نبقى نصلي لأجلكم، كي يصلح الله أفكاركم وعقولكم فترددوا معنا انتم أيضا ذات الأنشودة الخالدة.

نحن والميلاد

لما بلغ ملء الزمان (غل٤:٤) ليصالح الله الانسان (٢كو٥: ١٨) ويعيده إلى حضيرته من جديد، نشطت ملائك العلاء لتعلن الحدث، وتهتف لله مجداً وتبشر الأرض سلاماً والقلوب مسرات (لو٢: ١٤).

أما نحن أيها الأحباء، فكيف ننشد ترتيلة الميلاد الخالدة في هذا العيد المجيد؟ كيف نستطيع أن ننشد وكل منا يعزف منفرداً على هواه، دون تناغم ولا انسجام؟ فقد مزقنا أوتار قيثاراتنا، وجعلناها أجزاء مبعثرة بسبب محبة الذات والأنا، وأصبحنا مشرذمين في الأرض، ومبتعدين عن روح وحدتنا، التي أرادها فادينا لنا (يو١٧: ١١)، ولم نعد نصلح لترتيل متناغم يرفع المجد ليسوع وينشد حقاً الوحدة والسلام في الربوع.

علينا أيها الأحباء وبهذه المناسبة المباركة، أن نعود أدراجنا ولنصحُ، كي نحس يقيناً بانتمائنا لمولود المذود في بيت لحم، علينا أن نعي رسالة الميلاد الخالدة في اتحاد الله بنا بمحبة وبساطة أيمانية وتواضع، علينا العودة إلى روحية مغارة بيت لحم والجلوس بين الحيوانات الوديعة، مبتعدين عن منازل بيت لحم الفخمة، والتي كانت مكتضة بألوف الناس وأشكال الترف والمغريات، ولم يكن فيها مكان ليسوع يوم ولد، وإن سكنّاها سوف لن نلتقي به، بل شراً نجد؛ فنحن نلتقي بيسوع فقط حين يصبح لا مكان لنا في المنزل، ونحن نرى مجد يسوع فقط في فقرنا الدنيوي وعوزنا في هذا العالم الزائل (يع٢: ٥)، مثله تماماً يوم ولد، هكذا أيها الأحباء نبلغ غايتنا ونشعر أننا واقفون بالروح حول عرش ربنا، مرتلين قدوس قدوس قدوس، مجده ملء كل الأرض (إش٦: ٣)، فهو برنا .

وبهذا نجعل من أجسادنا مغارة بسيطة ملؤها المحبة والسلام، ومن قلوبنا مذوداً متواضعاً ملؤه الوداعة والحنان، يتسع ليسوع، وعندها نستطيع إصلاح كناراتنا، وإطلاق حناجرنا، مرتلين بنفس واحدة المجد لفادينا (أع١: ١٤)، وطالبين في صلواتنا، الأمن والسلام لربوعنا والمحبة والوئام لكل إخوتنا.

هكذا نرتل المجد لله في الأعالي، ونطلب لدواخلنا السكينة والسلام، ولقلوبنا البهجة والمسرة والوئام، لنعيش الفرح السماوي مع أجناد السماء، ولنحيا الحب المسيحي مع القديسين الكرماء، متيقنين أننا نعيش الميلاد، نعيش الحياة الحقة مع خالق العباد، وهكذا نبتهج بهذا اليوم المبارك ونفرح، فالميلاد بهجة وفرح.

هدايا الميلاد

ونحن نعيش فترة مقدسة من السنة الطقسية السريانية الأنطاكية، ألا وهي أيام صوم الميلاد المقدس، نتهيأ كمؤمنين مسيحيين بالصوم والصلاة والصدقات لنستقبل الحدث الإلهي العجيب، الذي فيه تنازل كلمة الله يسوع المسيح، وقبلَ كل ضعف الإنسان ليظهر بالجسد في مغارة بيت لحم، مبتدئاً عمل الخلاص للبشريةِ الساقطة، والذي أكمله على الصليب، ومانحاً الإنسان كل العظمة إذ أنهضه من سقطته ورفعه نحو السماويات وصالحه مع الله؛ هكذا نتفهم معاني الميلاد ودلالاته الروحية، وهكذا نعي معنى اتحاد الله بالإنسان، الذي هو لقاءٌ بين ضعف المخلوق وعظمة الخالق، إذ أن الصومَ يمنح المؤمن قوة إيمانية عظيمة ومقدرة على إدراك المغزى الروحي لكل التدابير الإلهية التي رافقت هذه الولادة العجيبة.

يسمو المؤمن بالروح خلال فترة الصيام المقدس، مخضعاً الجسد ورغباته، ومقترباً من خالقه ليصبح في وضعٍ مناسب للإشتراك في الإحتفال بولادة الكلمة، ولادة المحبة، ويكون عندها أهلاً للانضمام إلى طغمات النورانيين وهم يهتفون : المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرّة (لو٢: ١٤)، والوقوف الى جانب الرعاة ليسجد لمولود بيت لحم بأيمان صادقٍ فتغمره فرحة عارمة، ويقدم مع المجوس الهدايا لملك الملوك المولود في المذود، ذهباً ولباناً ومرّاً.

الذهب الذي يقدمه المؤمن للرب يسوع هو الصدقات والمساعدات التي يقدّمها للمحتاجين في هذه الأيام المباركة (مت٦: ٤)؛ أما اللبان، فهو السلوك المسيحي الحسن في المجتمع، وحياة البر والتقوى والمحبة التي يعيشها المؤمن وينشر بواسطتها عبق الأيمان ورائحة المسيح الزكية في العالم؛ فيضيء النور قدام الناس ويمجّدوا الآب السماوي (مت٥: ١٦)؛ وأما المر الذي نقدمه للرب، فهو الضيقات والمعاناة والأوجاع التي يتحملها المؤمن من أجل اسم يسوع البار، ويتحملها بصبرٍ وطول أناة وفرح (مت٥: ١١)، لأن غاية المؤمن العظمى هي الغلبة مع السيّد المسيح والسمو فوق كل التيّارات الجارفة في بحر هذا العالم المتلاطم الأمواج.

وحين يقدم االمؤمن هداياه هذه للرب يسوع، يكون قد وصل إلى ميناء السلام والطمأنينة روحياً، ليعيش حياة تواضع ووداعة ومحبة مع الرب وإلى الأبد، وحينها يقف المؤمن بين جموع المحتشدين للإحتفال بعيد الميلاد، فيعّيد للحلول الإلهي في وسط الكنيسة، ويشعر بوجود الرب يسوع حقاً مع جماعة المؤمنين، إذ قد ظهر الله في الجسد (١تي٣: ١٦) وحلّ الكلمة بيننا، واتحد بنا، وأعطى الكنيسة أن تتنعم دائماً به من خلال سر القربان المقدس، وهكذا يعيش المؤمن المسرة الحقة، ولا يخاف شراً كقول صاحب المزامير: إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً، لأنك أنت معي (مز٢٣: ٤).

شذرات
روحية وعلمية واجتماعية
في الحياة المسيحية

الكلامُ الذي أكلمكم به هو روح وحياة
يو٦: ٦٣

ألق الولادة[٣]

باسم الثالوث الأقدس نبدأ وبه نستعين

أيها الأحباء:

تقترن الولادة دائماً بمفرداتٍ تلازمها، فتكمل رونقها ومعناها؛ وهذه المفردات تعبّر عن إحساساتٍ إنسانية تمتد ما بين الضيق والمعاناة من جهة، والفرح والإنشراح من جهة أخرى، ومهما تكن فهي تعبّر بالنتيجة عن حب صادقٍ وعطاءٍ سخيّ نابعين عن إيمانٍ وإصرارٍ ثابتين لديمومة الحياة ومسيرة البناء في المجتمع.

وكل عملٍ جديدٍ هو ولادة تحمل معها المفردات والمعاني ذاتها، وتعبّر عن رغبةٍ أكيدةٍ في العمل المثمر والبناء المتكامل الشامخ.

وبعون من الرب وبمباركة سيدنا صاحب النيافة مار غريغوريوس صليبا شمعون ، راعي أبرشية الموصل العامرة، تجدون بين أيديكم أيها الإخوة الأحباء، هذه النشرة المتواضعة والتي اتخذت اسم (صدى المحبة)، وتصدرها دورة الدراسات اللاهوتية التابعة لمركز التربية الدينية في الأبرشية، وتشترك في إصدارها مختلف أنشطة الكنيسة.

ومع بساطتها، فإنها تحمل بين طياتها ما هو مفيد ونافعٌ لكل المؤمنين المتعطشين لكلمة الحياة، إضافة إلى كونها منبراً حراً لكل من يريد أن يعبّر عن آرائه أو وجهة نظره في مواضيع الحياة المختلفة، إذ أردناها نشرة دينية ثقافية اجتماعية غايتها نشر الوعي في مختلف المجالات، وخدمة الشباب وتشجيعهم على اكتشاف مواهبهم وتحرير طاقاتهم وإمكاناتهم في مجال التثقيف الديني والبناء الإجتماعي من خلال ما يكتبون ويقرأون.

ولا نقصد بالشباب هنا فئة عمرية محددة كما قد يظن البعض، بل نعني بهم كل من يمتلك في دواخله طاقة مفعمة بالحياة تصرخ مع الرسول بولس : (أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني، في٤: ١٣)، والله الموفق.

القس د. يوسف اسطيفان البنّاء

[٣] افتتاحية العدد الأول لصدى المحبة – نيسان ١٩٩٥م.

إرضاء الآخرين

يشغل موضوع إرضاء الآخرين في المجتمع حيّزاً كبيراً من تفكير الإنسان، ويؤثر بشكل ملحوظ على طريقة تعامله وتصرفاته خلال الحياة اليومية، ما قد يبلغ أحياناً حداً يصبح معه الإنسان مقيّداً في أدائه ومبتعداً عن المبادئ السامية التي يحملها والطريق السوي الذي يجب أن يسلكه في مسيرة الحياة الدنيا، ما يجعله يرتكب الأخطاء الجسيمة كما فعل بيلاطس البنطي يوم أراد أن يرضي الجموع الهائجة، فأطلق بحسب رغبتهم المجرم باراباس، وأسلم يسوع البريء ليصلب (مر١٥: ١٥).

وهذا التصرف غير مقبول لدى المؤمنين بالرب يسوع، لأنهم يحرصون بالدرجة الأولى في تصرفاتهم التي يعيشونها حياةً، أن يكون الله راضياً عنهم (٢كو٥: ٩)، قدوتهم في ذلك الرب يسوع الذي كان خلال وجوده على الأرض يفعل ما يرضي الآب السماوي (يو٨: ٢٩)، ويعملون في نفس الوقت على إرضاء القريب بما هو للخير ولأجل البنيان فقط (رو١٥: ٢).

والكتاب المقدس يعطي المؤمن المسيحي في هذا المجال قواعد ذهبية عامة يسلك بموجبها لتنظيم علاقته بالآخرين بما يرضي الله والقريب، ويبقى معها الإنسان سالكاً في الطريق الصحيح، ووفق الحق الإنجيلي، وغير مفرّطٍ بمبادئه الإيمانية، وخلاصتها ما يلي :

١- ينبغي دائماً أن يطاع الله أكثر من الناس : إذ لا يجوز للمؤمن أن يبتعد عن طاعة الله بسبب حرصه ومبالغته في إرضاء الناس (أع٥: ٢٩)، والرسول بولس أوضح ذلك قائلاً : (بل إننا نتكلم كمن تبيّن من اختبار الله لهم أنهم أهلٌ لأن يؤتمنوا على الإنجيل، لنرضي لا الناس بل الله الذي يختبر قلوبنا، ١تس٢: ٤).

٢- لا يتصرف المؤمن المسيحي في المجتمع كمن يريد إرضاء الآخرين على حساب رضا الله، بل ينبع تصرفه دائماً عن مبدأ العمل بمشيئة الله، وهذا العمل تحركه إرادة قوية تنبع من القلب، ونية حسنة من الأعماق (غير عاملين بجدّ فقط حين تكون عيونهم عليكم، كمن يحاول إرضاء الناس، بل انطلاقاً من كونكم عبيداً للمسيح، عاملين بمشيئة الله من القلب، خادمين بنية حسنة كما للرب، لا للناس، إف٦: ٦).

٣- لا يجامل المؤمن المسيحي على حساب المبادئ الإيمانية السامية، فلا يجوز عزيزي المؤمن أن تحب أياً كان أكثر من محبّتك للمسيح (مت١٠: ٣٧)، ولا يجوز أن تخضع للآخرين إذا كان ذلك يؤثر سلباً على التمسك بمبادئ الإنجيل، (فلم نخضع لهم مستسلمين ولو لساعة واحدة، ليبقى حق الإنجيل ثابتاً عندكم، غل٢: ٥).

٤- لا تنسَ أيها المؤمن أن من أهدافك السامية في المجتمع، خلاص الآخرين، حيث يجب أن تعمل بكل جدّ في حياتك على إرضائهم وفي اتجاه خلاصهم وسيرهم على

ضوء الإنجيل والمبادئ السماوية السامية، وهكذا تكون تفضّل مصلحة الآخرين على مصلحتك الشخصية في هذا الاتجاه، (فهكذا أنا أيضاً أسعى لإرضاء الجميع في كل شيء، ولا أهتم بمصلحتي الخاصّة، بل بمصلحة الكثيرين لكي يخلصوا، ١كو١٠: ٣٣).

٥- لا تتهاون أخي المؤمن في توجيه الآخرين كي يسلكوا الطريق السوي، وحاول بهدوء أن تبعدهم عن كل ما هو غير لائق في تصرفاتهم (أن توبخ وتنذر وتشجع بكل صبرٍ في التعليم، ٢تيمو٤: ٢)، وهنا عليك أن تحمل صليباً لتتبع يسوع، لأنك قد تُجابَه من قبل البعض، وقد تلاقي ما يزعجك، وتذكّر قول الرب : (ولكنه يبغضني أنا، لأني أشهد عليه أن أعماله شريّرة، يو٧: ٧).

وأخيراً لنتذكّر، أن الإنسان ومهما عمل من صلاحٍ في المجتمع، قد يبقى يلتقى من لا يرضى عليه، كقصة بيدبا الحكيم عن الرجل المسافر وابنه وحماره، والتي كنا نقرأها عن كتاب كليلة ودمنة في دراستنا الابتدائية؛ ومع كل ذلك يبقى المؤمن الحق يسلك في النور (فإن ثمر النور يكون في كل صلاحٍ واستقامةٍ وحقٍ، هكذا تختبرون الأمور التي ترضي الله، إف٥: ٩).

الاستنسال

قرأت عن العالم نيوتن أنه قال يوماً: ان الانسان يشبه طفلاً يلعب على ساحل بحر واسع، وان كل ما عمله حتى الان هو إلتقاط بعض الحصى والأصداف؛ وقرأت عن أينشتاين انه قال في آخر مقابلة إذاعية معه : ان موقف الانسان من المجاهيل التي تزخر بها الحياة والكون ، يشبه طفلاً دخل مكتبة كبيرة فيها آلاف الكتب والمجلدات الضخمة المكتوبة بلغات مختلفة يجهلها ، وان كل ما عمله هو أنّه تصفح كتابا واحدا منها.

أقول هذا للتعبير عن موقف الانسان أمام ألغاز الكون وألغاز الحياة، وكما يقول ابن سيراخ في الكتاب العزيز: لا الانسان القديم أتقن الحكمة، ولا الأخير يقدر على إدراكها، لأنها أوسع من البحر وأعمق من الغمر (سيراخ ٢٤ : ٢٨و٢٩).

ولا أجمل وأعظم من قول الكتاب العزيز: رأس الحكمة مخافة الرب (مز ١١١ : ١٠)، هذه الحكمة تجعل المعرفة تدفق كالفرات، والعلم طافحاً كالنيل، (سيراخ ٢٤ : ٢٦و٢٧)، وهذا أجمل تعبير عن ما وصل اليه العلم اليوم من تقدم سريع وواسع الاتجاهات، حتى أن الانسان أصبح يجد نفسه في لجة بحر متلاطم الأمواج من المخترعات والاكتشافات والمستجدات العلمية التي يعجز عن مواكبتها؛ ومع ذلك فهناك الكثير الكثير الذي لايعرفه الانسان من أسرار الحياة والكون، إلاّ ما سمح الله به أن يعرف؛ ولا يبقى للانسان عندها إلا أن يصرخ مع الرسول بولس قائلاً: لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ (١كو ١٣ : ٩).

في شباط ١٩٩٥م إستطاعت مجموعة من العلماء في معهد روزالين في اسكتلندا يتقدمهم العالم البيولوجي كيث كامبل، المتخصص في علم الخلايا، إستطاعوا التوصل الى طريقة تحث الخلية الناضجة البدنية على أن تعود وتصبح خلية جنسية لها القدرة أن تنمو إذا ما توفرت لها متطلبات النمو، لتصبح جنيناً ثم حيواناً كاملاً؛ وأعلم العالم البيطري ويلموت الذي يعمل في نفس المعهد بهذا الاكتشاف وسارت البحوث بشكل سري حتى أعلن في تموز ١٩٩٦م عن ولادة أول نعجة مستنسلة بهذه الطريقة أي عن طريق التلاعب بخلية حيوان لتغدو حيواناً كاملاً يفترض أن يكون مطابقاً للحيوان الأصل الذي أخذت منه الخلية.

وتعتبر ولادة النعجة دوللي واحدة من أعظم ثلاث إنجازات علمية توصل اليها العلم في القرن العشرين وهي:

١-إكتشاف القنبلة الذرية.

٢-إستنسال دوللي.

٣-إكتشاف الخريطة الوراثية الكاملة للانسان.

وقد أحدث هذا الانجاز العلمي الكبير أي إستنسال دوللي، ثورة في العلم، وضجة كبيرة في المجتمع ، وقلقاً متزايداً لدى رجال الدين والقانون في العالم.

علمياً : نشط العلماء والباحثون في مجال الاستنسال والهندسة الوراثية والمعالجة الطبية بالموروثات (الجينات)، والصناعة النباتية والحيوانية، كما نشطوا في تطوير بحوثهم ودراساتهم نحو اكتشافات علمية أوسع في هذا المجال ، غايتها خدمة الانسانية وتأمين الغذاء الكافي والاصلح للبشرية، والتخفيف عن كاهل المريض ومعاناته، ومحاولة إصلاح العطل الموجود في خلاياه وأنسجة جسمه المسببة للمرض، إضافة الى محاولات تحسين أنواع النباتات والحيوانات التي تخدم الانسان، وكل ذلك غايته الحياة الأفضل على الكرة الأرضية.

إجتماعياً : تداخلت الآراء والأفكار والتصريحات بين مؤيد ومعارض، ومتطرف وعقلاني حيال هذا الانجاز العلمي الكبير، فهناك من تخوف وتساءل : هل سيأتي دور إستنسال البشر؟، وهناك من أيد وتطرف، إذ برزت أسماء لامعة مطلوب إستنسالها مثل هتلر ولينين وغيرهم، ولا نستغرب إن ذكرت أسماء لشخصيات دينية أو علمية أو فنية ، إذ فعلاً تأسست في جزر الباهاما شركة للاستنسال البشري لقاء مبالغ باهضة جداً.

من جانب آخر نشطت طائفة في سويسرا تدعى الطائفة الرائيلية نسبة الى مؤسسها رائيل، تعتقد هذه الطائفة بأن إستنسال دوللي يؤكد أن الحياة على هذه الأرض هي من صنع أخصائيين بعلم الوراثة جاءوا من عالم آخر، بمعنى أن المخلوقات الموجودة على الآرض اليوم قامت بفعل حضارة علمية لسكان الكواكب الأخرى، وهي مخلوقات جاءت من الفضاء الخارجي سموها (ألوهيم) وخلقت علمياً إنطلاقاً من مواد هامدة، وأنزلت على الآرض لتعيش هنا؛ وهكذا فانه من الممكن باعتقادهم أن يخلق الانسان بالطرق العلمية، وتريد هذه الطائفة فتح سفارة لسكان الفضاء في برن في سويسرا ! لأن خالقي الحياة هؤلاء سوف يسيطرون على الأرض سنة ٢٠٢٥م كما يعتقدون !.

ولا أريد التحدث عن طائفة مزعومة تحاول أو تؤجج رغبتها في إستنسال السيد المسيح له المجد مع استحالة ذلك (لاحظوا الجهل والرعونة في بلدان متقدمة جداً علميا لكن أفكار البعض من مواطنيها بهذه الدرجة من الانحطاط والمتاهة). ولا نريد الدخول في هذا الموضوع الذي يظهر جلياً محاولات أعداء الله في تشويه القيم الدينية والمعطيات الايمانية.

أما من الجانب الديني والفكري الانساني، فإن المخاوف مشروعة أن تتكرر تجربة اكتشاف المتفجرات التي سار بها العلم نحو اكتشاف الأسلحة المتطورة التي تفتك بآلاف البشر يومياً، إذ من الممكن أن يسير تيار علمي مخالف للغايات العلمية النبيلة في هذا المجال، في إتجاه متطرف ويقوم باستنسال الانسان مشوهاً بذلك المعطيات الدينية والأخلاقية والاجتماعية وما ينتج عن ذلك من إجرام في حق مئات الاجنة التي سوف تقتل يومياً للوصول الى مآربهم الدنيئة، ومن تدخل سافر في عمل الخلق المقدس والذي حدده الله منذ خلق آدم وهو أن يكون التناسل عن طريق الزواج الشرعي بين الذكر والأنثى ، كقول الرب يسوع : أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وانثى؟ (مت١٩ : ٤) وفي سفر التكوين نقرأ : فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله

خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض. (تك١ : ٢٧و٢٨).

وأخيراً : وأنت في قمة إنتصاراتك العلمية ومجدك الدنيوي الزائل، تذكر أيها الانسان ، تذكر الله الخالق، تذكر أنه عز وجل هو الذي منحك العقل، وأن مجده وجلاله يغمران الخليقة كلها، وهو الذي خلق الانسان وسخر الطبيعة كلها لخدمته.

في أسمى أعمالك الابداعية، مجّد الرب، وتذكر أنه المبدع الأول والأعظم، ورأس الحكمة مخافة الرب (مز ١١١ : ١٠)، فالكتاب العزيز يقول لك : لأنهم وإن كانوا من العلم على قدرٍ كافٍ لمعرفة طبيعة الكون ذاته (حكمة ١٣: ٩) ففي أعماله من الخفايا ما هو أعظم بكثير من هذا القليل الذي نعرفه (سيراخ ٤٣ : ٣٢)، الرب صنع كل شيء، وهو الذي وهب أتقياءه الحكمة (سيراخ ٤٣ : ٣٣)، الرب مهيب وعظيم جداً، وقدرته تثير العجب، مهما بذلتم من جهدٍ في تمجيده، فهو يبقى فوق كل تمجيد، ومهما بالغتم في إظهار عظمته، وتعبتم في ذلك، فلن تصلوا الى حدّه (سيراخ ٤٣: ٢٩-٣٠)، وكل ما عمل الأنسان، يعمله بذراع الرب.

الأطفال بذور الحياة

الرب يسوع له المجد تكلم بأمثالٍ من واقع الحياة التي يعيشها الإنسان على الأرض، لا خيال فيها ولا هزل، متحدثاً بأمور واضحة عادية من واقع الحياة ومعهودة للناس، ليعلّم البشرية من خلال ذلك ويقرّب إلى الأذهان المعاني الروحية والتطبيقات السماوية لما يريد الله من الإنسان المستنير بالروح القدس أن يسلك بمقتضاه، ليعي المؤمن مفهوم ملكوت السموات.

ومن تلك الأمثال الرائعة التي ضربها يسوع له المجد، مثل الزارع الذي خرج ليزرع (مت ١٣: ١-٩)، حيث البذور كلها من نوع واحد، وجيدة وصالحة للزرع، لكن الإختلاف كان في الأرض التي سقطت عليها تلك البذور، أي التربة التي احتضنت البذور، وهل كانت صالحة للزراعة ونمو البذور أم لا.

والرب يسوع له المجد قد شرح هذا المثل لتلاميذه وكما ورد في الكتاب المقدس، ولكن تعالوا اليوم أيها الأحباء نتأمل هذا المثل بشكل تطبيقي بسيط على حياتنا، ونعتبر أن البذور هي الأطفال الذين يولدون حديثاً في العالم، وأن الحقل الذي بذرت فيه هذه البذور هو العوائل التي تحتضن هؤلاء الأطفال وتربيهم.

فالأطفال الذين يولدون في العالم، وأينما ولدوا، متشابهون من حيث أن الله خلقهم جميعاً، والله يحبهم جميعاً، وقد منحهم نعمه المجانية، وفتح لهم باب الخلاص بسفك دم ابنه الأقدس على صليب العار، فهو يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١تيمو٢: ٤)، وهم جميعاً عند ولادتهم خامة بكر وصفحات بيضاء ناصعة، تنتظر ما يكتب عليها الآخرون (من والديهم وإخوتهم ومربيهم ومن يتعاملون معهم في المجتمع)، ويصبح دستوراً يسلكون بمقتضاه حين يكبرون، ويعتمد عليه تعاملهم وعطاؤهم ونتاجهم في المجتمع، سلباً أو إيجاباً.

فالبذرة هذه (أي الطفل) هل ستجد الأرض الخصبة التي تسقط عليها فتنمو وتنتعش وتؤتي ثماراً مضاعفة، أم ستلقى في أرض غير صالحة فيتعثر نموها وتموت؟، إن هذا يعتمد على العائلة التي ستحتضن هذه البذرة (أي الطفل) والمجتمع الذي سوف ينمو فيه فيترعرع متغذياً من المعطيات والثقافة والسلوكيات التي تشكل أساس تلك العائلة وذلك المجتمع.

إذا ولد الطفل في بيت هامشي بعيداً جداً عن الأيمان، فسيكون كالبذرة التي تسقط على الطريق، يسحق بالأقدام ويؤكل، لا ينمو روحيّا، إذ لا تستطيع احتضانه روحيّا تلك العائلة، فهي أصلاً مداسة وصلبة وغير صالحة للتربية ولا تمتلك ما تقدمه من غذاء روحي لهذا الطفل؛ هذه العائلة تترك الطفل معرضاً للسحق والإلتهام من قبل " كواسر العالم" وتياراته الجارفة، ولا تستطيع حمايته بأي شكل من الأشكال.

وإذا ولد الطفل في عائلة مسيحية بالأسم، لكنها لا تمتلك أساساً إيمانيا رصيناً، فهي تعيش بمبدأ " حشر مع الناس عيد "، وأفرادها قد يترددون على الكنيسة، ويتسمّون باسم المسيح، لكن هكذا عائلة تنهار عند أول تجربة صعبة أو ضيقة تمر بها، فتبتعد عن الأيمان وتخسر أفرادها وأطفالها الذين لم تستطع أن تديم تغذيتهم إيمانياً، إذ لا أصل راسخ لها، وهي تشبه في ذلك الأرض الصخرية التي تحتضن البذور التي تسقط عليها إلى حين بمفعول التربة السطحية التي تغطي الصخور، ثم ما تلبث أن تحرق النبتات بسبب الحرارة المنبعثة من الصخور وعدم توفر الرطوبة اللازمة لديمومة الحياة.

وإذا ولد الطفل في عائلة مسيحية بالأسم، ومقتربة إلى حد ما من الكنيسة، لكنها منغمسة بملذات الحياة ونزواتها ومشتهياتها بما تملك من إمكانات مادية ودنيوية لا تعرف كيف تسخرها للنمو الأيماني لأفرادها، فإن هذا الطفل ينمو إلى حين كما تنمو البذرة الساقطة بين الأشواك، ليختنق بهذه الأشواك (أي النزوات والمشتهيات الدنيوية والمال والجاه الأرضي ...إلخ) التي تمنعه من النمو روحيّاً وتنحدر به إلى متاهات بعيدة جداً عن طريق الملكوت.

أما الطفل الذي يولد ويترعرع في أحضان عائلة مسيحية مؤمنة حقاً، تعيش كلمات الرب يسوع وتعاليمه الإلهية حياةً، وتسلك كما يحق لإنجيل المسيح في هذه الحياة، وتشترك بأفرادها كأعضاء نافعين في جسد يسوع الأقدس أي الكنيسة، فهو كالبذرة التي تسقط في الأرض الخصبة، فتحتضنها هذه الأرض وتمدها بكل مقومات النمو الصحية من رطوبة وغذاء، لتنمو نبتة جيّدة تؤتي ثماراً حسنة وبأضعافٍ مضاعفةٍ.

وهذا ما تطمح إليه الكنيسة وتسهر على أن يكون، فهي تعمل أن تكون كل العوائل مؤمنة مباركة، تعيش المسيحية حياةً، وتربي أفرادها التربية المسيحية الحقة، وتسلك بهم نحو ملكوت السموات في رحاب الرب.

أعضاء جسد المسيح

ما أعظم تلك الكلمات التي صدرت عن السماء في الطريق إلى دمشق مؤنبة شاول الطرسوسي الذي كان في طريقه لاضطهاد المؤمنين المسيحيين هناك (شاول شاول لماذا تضطهدني، اع ٩ : ٤) ومعلنة حقيقة لاهوتية عظيمة وهي أن المؤمنين جميعا أعضاء في جسد مقدس هو الكنيسة والرأس فيه يسوع ؛ فشاول كان يضطهد المسيحيين بقساوة، ويقول له الرب : أنا يسوع الذي تضطهده أنت (أع ٢٦: ١٥)، معلناً بذلك المكانة السامية التي رفع المخلّص إليها المؤمنين به، ومؤكدا العقيدة العظيمة الفريدة في المسيحية، ألا وهي اتحاد المؤمنين بالله، (من التصق بالرب فهو روح واحد، ١كو ٦ : ١٧).

يسوع المسيح له المجد هو معك أيها المؤمن حين تتحمل الضيقات وتقتبل الآلام من أجل اسمه، يحسّ بآلامك حين تضطهد، ويشعر بعوزك ويستجيب لحاجتك ويهب مدافعا عنك بوجه كل من يحاول ايذائك (المسكين يدعو فيسمع الرب ويخلصه من جميع ضيقاته ، مز ٣٤ : ٧)، لان أنين الأعضاء يصل إلى الرأس الذي (في كل ضيقهم تضايق ، إش ٦٣ : ٩)، ويسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣ : ٨)، كان ولا يزال يحس بمعاناة المؤمنين، وكم من " شاول" حاول ويحاول أن يقضي على الكنيسة، ويسوع واقف له بالمرصاد يقول : شاول شاول لماذا تضطهدني ، ويلتفت نحو المؤمنين مشجعا قائلا : لا تخف أيها القطيع الصغير (لو ١٢ : ٣٢)، ومعلناً حقيقة ساطعة : ها أنا معكم طول الأيام إلى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ٢٠).

وإن كان شاول في الأمس قد عمل على إيذاء الكنيسة، وله أقران في العالم اليوم من خارج الكنيسة، إلاّ أننا أصبحنا نرى " شاولَ من نوع آخر" من داخل جسد الكنيسة، من أعضاء هذا الجسد، أعضاءً يدب فيها الفساد فتؤلم الجسد كله بما فيه الرأس يسوع، واصبح يسوع له المجد يتألم ويحزن حين ينجرف أحد أبناء الكنيسة في هرطقات عصرية مبتعداً عن الإيمان الحق، وأصبح يسوع يحزن ويقاسي حين يقع أحد أعضاء الجسد المقدس فريسة لمغريات ومتاهات دنيوية باطلة، واصبح يسوع يعاني حين ترتد مؤمنة عن الحظيرة وتنكر فاديها وتخسر عضويتها في جسد المسيح الطاهر؛ أصبح الرب يسوع يشعر بالإضطهاد الداخلي هذا كلما ازدرى مؤمن بروح النعمة التي وهبت له، ورفض دم العهد الذي سفك لأجله على الصليب، واستهان بعضويته المقدسة لهذا الجسد الطاهر.

يسوع هو هو، يُسمِع كل هؤلاء ذلك الصوت المرعب : شاول شاول لماذا تضطهدني، وإن لم يعودوا عن غيّهم، فسينالون يوم الدينونة الرهيب الحكم العادل الصادر بحقهم : اذهبوا عني يا فاعلي الإثم (مت ٧ : ٢٣)، والرب يسوع هو هو

بـالأمس واليـوم والـى الأبـد، يحـس بـأمراض نفوسـنا، ويـشعر بتـسوس ضـمائرنا، ويتـألم للنخر الذي يدب في بعض أعضاء هذا الجسد المقدس، وهو لا يريد أن يبتر هذا العضو ليلقـى فـي النـار، بـل يريـده أن يـستعيد عافيتـه ويـشعر بانتمائـه ويعمـل ليـؤتى بثمـار، ويكون عضوا نافعا في جسد الكنيسة المقدسة وغصنا مثمرا في الكرمة الإلهية التي تـؤتي عـصيراً منعـشا للنفوس، يـسوع المـسيح هوهـو واقـف بالمرصـاد لـشاول الحـسد والكراهية والتعالي والكبرياء ومحبة الذات والحقد الذي يدب في نفوس بعض الأعضاء، يسوع هو هو يؤنب كل تائه ومنجرف في أعمال الشر ومفاتن العالم الزائلة، يقول لكل واحد من هؤلاء : صعب عليك أن ترفس مناخس[4] (أع ٩ : ٥)، فتعقل يا هذا صعب عليك أن تقاوم خالقك ومخلصك.

[4] مناخس : جمع منخس، وهوحديدة مدببةفي كعب الفارس لينخس بها الحصان.

الله مع الكنيسة

" يا شماس وليم، اقرع ناقوس الكنيسة مرتين كل يوم، صباحاً وعصراً "

مقولة مؤثرة وعميقة المعاني، صدرت عن رجلٍ سريانيّ أرثوذكسيّ غيور، هو المرحوم المعماري الفذ عبوّدي الطنبورجي، والتي يطلب فيها من أخينا الأفدياقون الغيور المحروس بشفاعة أمنا العذراء مريم، وليم مجيد الأحول، أن يقوم بقرع ناقوس كنيسة الطاهرة الداخلية (كنيسة القلعة) مرتين في اليوم، رغم عدم وجود كاهن للقيام بالخدمات الكنسية في تلك الفترة، وذلك للتعبير عن وجودنا وكياننا وتمسكنا بالأيمان القويم.

بهذه المقولة المعبرة أيها الأحباء، أبدأ الحديث عن الظروف الصعبة جداً والتي مرّت بها أبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية، للفترة بين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٣م. وشعر الكثيرون من المؤمنين حينها، أن أبناء الكنيسة في الموصل قد غدو أغناماً بلا راعٍ ولا مدبّر، وأنها لا محالة متشردة ومتبددة.

لكن الراعي الأعظم والمدبّر الإلهي الأكرم، فادينا ومخلصنا يسوع المسيح كوعده، كان مع الكنيسة كما هو في كل الأيام وحتى انقضاء الدهر (مت٢٨: ٢٠)، ورغم كل الظروف القاهرة والمعاناة التي مرّ بها المؤمنون في تلك الأيام العصيبة، إلاّ أنهم ازدادوا تمسكاً بإيمانهم والتصاقاً بكنيستهم ورجاءً بمخلصهم، وكانوا واثقين كل الثقة أن الربّ سوف لن يتخلى عنهم أبداً كما جاء في النبوة العظيمة : (ولكن لا يكون ظلامٌ للتي عليها ضيقٌ، إش٩: ١)؛ فكنت ترى في تلك الفترة الصعبة كاهنين كهلين بارّين يخدمان كاتدرائية مار توما الرسول، حمل كل منهما صليباً ثقيلاً وتبعا يسوع في خدمة الرعية المتعبة، هما المرحومان : الأب بشارة نعمان والأب يعقوب الخوري يوسف، اللذين كانا يتنقلان من زقاقٍ إلى آخر لزيارة بيوت المؤمنين وتفقد أحوالهم وتثبيت إيمانهم والصلاة في بيوتهم وتعزية المنكوبين منهم، متحملين بسبب ذلك الإهانات والرمي بالحجارة والقذف ببذيء الكلام بكل صبر وفرح روحي لشعورهم أنهم إنما يقتدون في ذلك بخطوات رب المجد يسوع.

وإلى جانب الآباء الكهنة، نجد نفراً من الشباب المؤمن ، هيأهم الرب لديمومة مسيرة الخدمة في الكنيسة، متطوعين للعمل بغيرة واندفاع شديدين رغم المخاطر؛ فالشماس وليم مجيد الأحول، كان قد اتخذ على عاتقه خدمة كنيسة الطاهرة الداخلية والتي كانت تفتقر حينها إلى كاهن، إضافة إلى قيامه بتدريس التعليم المسيحي لطلاب المرحلتين المتوسطة والإعدادية من المؤمنين أبناء الطائفة في مدارس الموصل، وكان ذلك يتم في الغرفة التي لا تزال قائمة في باحة كنيسة الطاهرة الداخلية في منطقة القلعة، وكنت أحد أولئك الطلاب يومها.

ورغم تلك الظروف الصعبة ، تبدأ أول ندوة دينية جامعية في مدينة الموصل سنة ١٩٦٠م، ضمّت كل الطلبة المسيحيين الجامعيين بمختلف طوائفهم، بهمة وإشراف الشماس متي اسطيفان البناء، والذي كان يومها طالباً في كلية طب الموصل[٥]، وذلك في غرفة المرحومة "قدوّسة " في الباحة الخلفية لكاتدرائية مار توما الرسول.

ومن أجمل أوقات الأسبوع، كانت تلك الفترة الروحية الرائعة، والتي فيها يزدحم المؤمنون (ومعظمهم من النساء والأطفال) في كنيسة الطاهرة الخارجية لحضور" صلاة الرمش وزياح بيت القديسين " عصر كل يوم سبت، بهمة الراهب عبد المسيح شيرو الذي انتدب من دير مار متى لخدمة كنيسة الموصل، والشماس سركيس (الراهب بولس في دير مار متى حالياً) مع مجموعة مباركة من الشمامسة والمرتلين، يقضون خلالها فترة روحية مباركة في حضرة الرب، وتنطلق حناجرهم بقلوب منكسرة نادبة السيدة العذراء أم الأحزان، طالبة شفاعتها لتزول الغمّة ويحلّ النور، لأنها أم النور، وهم يصرخون بصوتٍ خشوعيّ واحد : " عينينا في عصر العسر، على مصائب الدهر ..".

حين نتذكر تلك الأيام، لا يسعنا إلاّ أن نرفع أكف الدعاء نحو السماء، شاكرين رب المجد يسوع، الذي كان دائماً وسيبقى مع الكنيسة، ينتشلها من ضيقاتها وسقطاتها التي تمر بها، ويعينها على تجاوز كل الصعاب، مرددين مع المرنم الإلهي : (أيضاً إذا سرت في وادي ظل الموت، لا أخاف شرّاً لأنك أنت معي، مز٢٣: ٤).

[٥] أول كلية فتحت في الموصل كانت كلية الطب التابعة لجامعة بغداد، في سنة ١٩٥٩م.

الإنسان الحق

تأملت كثيرا محاولاً استنباط المفردات التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية على الأرض ، وراجعت تاريخ الحضارات وتطور الفكر الإنساني، والتطور العلمي والتقني الذي وصلت إليه البشرية في نهاية القرن العشرين، وقرأت عن مواطن الضعف والقوة لدى الإنسان سيد هذه الأرض وعن قاعدة قيل أنها ذهبية في وصف الإنسان كونه (ضعيف بجسمه قوي بتفكيره)، وان الشيء الوحيد الذي يمتاز به عن الحيوان هو عقله وقوة تفكيره، فهالني ما بدا واضحا وجليا من حقيقة مرة، وهي أن الإنسان مهما بلغ من رقي، ومهما ارتفع في سلم المعرفة، ومهما تطور عقله وحصل على معطيات وإمكانات، يبقى يتصرف وفي كثير من الأحيان تماما كبقية الكائنات الحية على الأرض والتي لا تعرف التطور ولا تمتلك التكنلوجيا.

وها نحن نجد الإنسان يستغل الإمكانات المتاحة لديه والتكنلوجيا المتطورة التي توصل إليها ليمعن إيذاءً بأخيه الإنسان على هذه البسيطة، وبشكل بشع اكثر بكثير مما يفعله الحيوان تجاه بني جنسه أو غيره من الكائنات، فالعالم اليوم ورغم الكم الهائل من الإنجازات العلمية والتقنية التي توصل إليها، يسير في اتجاه فوضى شاملة وخراب، وهذه آلآف الأطنان من المتفجرات والمواد الكيماوية والنووية القاتلة تلقى على الإنسان في هذا البلد الآمن المستضعف أو ذاك، تلقى من قبل الإنسان الذي في حوزته هذه الإمكانات العلمية، والتي يسخرها لتطوير آلته الحربية، ويستخدمها في الإمعان في القتل والدمار والفتك بالأبرياء من سكان الأرض، وبكل كبرياء وتباهٍ، دون خجل ولا اكتراث لما يجلبه ذلك من ويلات على البشرية، بدل أن يوظف كل ذلك التقدم العلمي والتكنولوجي لخدمة أخيه الإنسان وخير البشرية أجمع.

من جانب آخر، نرى الإنسان في بعض المناطق من العالم، مهتماً بتقديم وجبات شهية من الطعام لحيواناته " الأليفة " التي يسعد بتربيتها والعناية بها، وصولا إلى قيام جمعيات خاصة للرفق بالحيوان، واعتبار ذلك رقيا اجتماعيا تنفق عليه الأموال الطائلة، بينما يحجب الطعام والدواء عن بني البشر في مناطق أخرى من العالم، ليعاني الإنسان بل يموت بسبب ذلك وأمام أنظار العالم وبمبررات يستحدثها عقل الإنسان " المتطور" ذاته.

في كل ذلك إذن لا يمكن أن يميز الإنسان عن الحيوان بامتلاكه عقلا متطوراً، لأنه يتصرف في النهاية ورغم امتلاكه هذا العقل المتطور تماما كما تمليه عليه شريعة الغاب التي يسلكها الحيوان، بل أسوأ بكثير، لأنه يستغل ذلك لقهر الآخرين وسلب خيراتهم.

وهكذا نستنتج أيها الأحباء، أن شيئاً واحداً فقط هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، ألا وهو مخافة الرب، فمخافة الرب جنة مباركة ومجدها فوق كل مجد (سيراخ٤٠: ٢٧)،

ومخافة الرب هي حكمة (أي ٢٨ : ٢٨)، حيث الحيوان لا يعرف الله، ولن يتوصل إلى ذلك، أمّا الإنسان فقد توصل إلى معرفة الله وعظمته، لكنه يتجاهل الله في الكثير من الأحيان، إذ يبقى السؤال هنا : هل يخاف الإنسان الله بعد أن عرفه؟، بمعنى هل أن الإنسان يستخدم عقله بحكمة، ويسير في الحياة بما يمليه عليه التدبير الإلهي؟، وهل يعمل الإنسان بموجب الوصايا الإلهية في تعامله مع بني جنسه ليكون مميزا في سلوكه في المجتمع؟

ويقيناً نقول : إن الإنسان الذي يستحق لقب إنسان هو الذي يفعل ذلك متخذا الفضائل الإلهية منهجا خلال حياته على الأرض، موجها كل قواه العقلية بحكمة ومخافة الرب لخدمة أخيه الانسان (إتق الله واحفظ وصاياه، فهذا فرض على كل إنسان ، جا ١٢ : ١٣)، وهو حين يفعل ذلك لا يمكن أن يؤذي الآخرين أو يعتدي على حقوقهم أو يسلب خيراتهم أو يجترح المؤامرات لإذلالهم واستغلالهم، وهذا الرسول بولس ينادي من يعتبره " إنسان الله " أي إنساناً حقا ويقول : وأما أنت يا إنسان الله، فاهرب من هذه الأمور، واسع في اثر البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة (١تي٦: ١١)؛ وهكذا يكون الإنسان مميزا فريدا جوادا يخدم البشرية ويستحق لقب " إنسان ".

إنها حقيقة على بساطتها، وعميقة في سموها، ومتسامية عن إدراك العقل البشري لها ، تنم عن حكمة حقيقية، ورأس الحكمة مخافة الرب (أم ١ : ٧)، بها ميز الله الإنسان، هذا المخلوق، عن بقية الكائنات الحية على الأرض، وهي تظهر محبة الله للإنسان، حين يبقى الله يفتش عن الإنسان ويريده أن يكون، بل يجعله إذا ما سلك في الطريق السوي بمخافة الله، إنساناً حقا، إنسان الله، وليعلم الإنسان أن نجاحه كإنسان حقيقي يتمحور حول (مخافة الرب)، والتي يجب أن تكون مركز اهتمام الإنسان وحياته، لأن مخافة الرب هي القوة الوحيدة التي تسير بالإنسان نحو السمو عن بقية الحيوانات التي تعيش على الأرض ، والحياة تكون ذات معنى فعلا عندما ترتبط بالله، وبالله فقط، وعلى الإنسان أن يعمل من خلال مخافة الرب في أن يكون كل شيء على الأرض حسناً، وكما أراده الله عند خلقه الكون (تك١ : ٣١).

وأخيرا نقول: لا يمكن للإنسان أن يكون مميزاً عن الخلائق الأخرى بدون الله والسلوك بمخافته .

الأيدز

أيها الأحباء : خلق الله الإنسان على صورته (تك١: ٢٧) وأراده أن يعيش في القداسة والبر (تكونون قديسين لأني قدوس الرب إلهكم، لا١٩: ١)، أي أراده أن يبني المجتمع النقي الطاهر البعيد عن كل ما هو رجسٌ ونجس؛ وهكذا فرسالة الكنيسة لا تقتصر فقط على الجوانب الدينية الروحية من العبادة، بل تمتد لتشمل كل نواحي الحياة الإجتماعية للفرد المؤمن بما فيها المخاطر والتحديات المعاصرة التي يواجهها المجتمع المسيحي، والتعامل معها بالطرق والوسائل الممكنة والمقبولة، وتثقيف المؤمنين وتوعيتهم كي يتجنبوا السقوط في تلك المهالك، ويتعاملوا بأيمان مع التحديات، كي يبقى المجتمع المسيحي نقياً وطاهراً ورصيناً، يسلك في طريق القداسة التي أرادها الله، بعيداً عن الكوارث التي تنتج عن هكذا انجراف.

لقد آن الأوان أيها الإخوة كي نكسر بل نزيل حاجز الصمت، ويجب أن نثقف مجتمعنا المسيحي جنسياً، فالتثقيف الجنسي ليس خطيئة، ولا عيباً، بل هو ظاهرة حضارية صحية ومهمة جدا لديمومة مسيرة الكنيسة وسلامة خطوات أبنائها، إلى جانب التعامل بحكمة وأيمان وحشمة مع كل التحديات الأخرى لضمان ذلك.

لنعمل معاً أيها الأحباء كي يبقى مجتمعنا المسيحي نقياً مبتعداً عن النجاسات والإنحراف الجنسي والكوارث التي تتبع ذلك في ما يسمى بعصر الإنفتاح بل التسيّب؛ نعمل معاً في اتجاه مخافة الله ومشيئة الله، التي هي هذه : قداستكم، وذلك بأن تمتنعوا عن الزنى، وأن يعرف كل واحد منكم كيف يحفظ جسده في الطهارة والكرامة (١تس٤: ٣و٤).

من هذا المنطلق، عمل منتدى العلم والدين في كنيسة الموصل على إقامة هذه الندوة في موضوع خطير جداً هو مرض الأيدز (متلازمة نقص المناعة المكتسبة)، يوم الجمعة ٣/ ١٠/ ٢٠٠٣م. وعلى قاعة كاتدرائية مار أفرام للسريان الأرثوذكس، والغاية الأساسية في ذلك هو التوعية والتثقيف والتحذير، وهذه الأسلحة الثلاثة هي وقائية ومهمة في معركة الإنسانية مع هذا الوباء الخطير، وللكنيسة دور مهم ومركزي فيها.

وعلى مر العصور في العهد القديم، نقرأ عن كوارث حلت بالبشرية نتيجة الإنجراف بعيداً عن مخافة الرب (قض١٧: ٦) واستهتاراً بالإنسانية الحقة التي أرادها الله في خلق الإنسان ذكراً وأنثى (تك١: ٢٧) كي يتكاثروا عن طريق الإتصال الجنسي السليم بين الرجل والمرأة المتزوجان، ويتجنبوا الشذوذ الجنسي وإساءة استخدام الجنس وما يسببه ذلك من مضاعفات ومعانات؛ وفي كل مرة كان يتمرغ فيها الإنسان في وحل الخطية والنجاسات ، كانت تحل الكوارث، كما في الطوفان (تك٦: ٥ – ٨) وسدوم وعمورة (تك١٩: ٢٤ و٢٥)، وكما في عهد القضاة حيث تتابع ذلك إثنتا عشرة مرة (قض١: ١

وحتى ٢: ٥)، وفي شرق الأردن قبالة أريحا في شطيم حيث زنى الشعب فاحتدم غضب الله عليهم وأصيبوا بالوباء، ومات منهم أربعة وعشرون ألفاً (عدد٢٥: ١ – ٩)؛ وهل كان ذلك الوباء الأيدز أو ما يشبه !!؛ واليوم وبسبب النجاسات عينها، والشذوذ الجنسي والزنا، تحل الكارثة لتصيب مختلف مجتمعات العالم، إنه طوفان الأيدز القاتل والمدمر، الذي يحصد الألوف بل الملايين من البشر سنوياً وبمختلف الأعمار، بل مجتمعات بالكامل سوف تندثر من على الخريطة الجغرافية في بقاع مختلفة من العالم.

وهكذا رأينا أيها الأحباء أن نستعرض أهم المعلومات المفيدة التي يحتاجها المؤمن للتعرف على هذا المرض الخطير ومضاعفاته، كي نكون على بينة من مخاطِرهِ ونبتعد عن السقوط بين براثنه القاتلة، كما نعرض نتائج الأستبيان الطبي الذي قمنا به في منتدى العلم والدين لنتعرّف عن كثب على مدى الوعي الذي يمتلكه مجتمعنا المسيحي حول هذا المرض، ونقاط الضعف والقوة التي نتميز بها تجاهه؛ شاكراً كل الإخوة الأطباء والأساتذة الذين شاركوا في هذه الندوة الخاصة عن مرض الأيدز، هذه الخدمة المميزة والمفيدة جداً للكنيسة المسيحية وبالذات في هذه الظروف التي نعيشها، وشكراً.

الأيمان غلبة وانتصار

خلق الله الانسان على صورته كمثاله " تك ١: ٢٦ " ، ليعيش بسلام ومحبة وعمل الخير ، فالله أب ابدي ورئيس السلام (إش ٩ : ٦) ويريدنا أن نعيش بسلام " اتبعوا السلام مع الجميع والقداسة التي بدونها لن يرى احد الرب " عب ١٢: ١٤ " ؛ وسلام الله – ان سلك بموجبه الإنسان – يجعل الأرض موطنا حقيقيا للتعايش السلمي والتآخي بين البشر، وهو لا يحتاج قوة الأسلحة الفتاكة كما يفهمها الاشرار ، بل قوة إيمان ويقين صادق في القلوب المؤمنة التي تعيش بمخافة الرب، وبإقرار إيماني واضح مفاده أن كل إنسانٍ على وجه البسيطة ، ومهما كان لونه أو جنسه أو معتقده أو انتماؤه هو أخ وقريب يجب احترامه ومحبته كما أوصى تعالى : تحب قريبك كنفسك (مت ٢٢ : ٣٨).

ولكن ومنذ فجر البشرية، الانسان يشوه صورة الله، إذ يسيطر الشر على عقول البشر بسبب ابتعادهم عن الله وتجاهلهم الإرادة الربانية، ويتصرف الإنسان بعنجهية وكبرياء وتباهٍ بما توصل إليه العقل البشري من قدرات وطاقات وإمكانات يستخدمها لمصالح دنيونة زائلة يؤذي بها أخاه الإنسان، وينشر الخراب والدمار في أرجاء المعمورة، بدل أن يوظفها لخير البشرية وفائدتها وسعادتها؛ وهكذا أصبح الناس ينهشون بأسنانهم وينادون سلام (ميخا ٣ : ٥)، وأصبحت البشرية تعيش بعيدا عن السلام، ابتداء بقايين الذي قتل أخاه هابيل فلعنه الله (تك ٤ : ١١ و ١٢)، ومرورا بكل متجبر عات عبر التاريخ الإنساني عصى الله وتكبر وتباهى بقدراته التدميرية ، وتصرف ومع الأسف وفق شريعة الغاب، حيث القوي يأكل الضعيف والمتنفذ يحاول أن يمرر ما يريد على من لا حول له ولا قوة في مفهوم البشر، والمتسلط يتفنن في إخضاع المستضعف، ومن يمتلك التكنلوجيا والتطور يوظفها لإرهاب وتمزيق الآخرين، لا لخير الإنسانية وفائدة سكان المعمورة، وصولا إلى يومنا هذا الذي فيه تحيط بنا ومن كل جانب تيارات متلاطمة لقوى الشر والدمار وبأقسى ما عرفه التاريخ البشري عبر عصوره المتلاحقة وحضاراته المتتابعة.

ونتسائل بل نسأل كل متجبر صانع قرار في العالم : أين ملوك بابل وآشور؟، أين فراعنة مصر وملوك الفرس؟، اين أباطرة الرومان؟، أين المغول وهولاكو؟، أين قادة الحروب ومروجوها في القرن العشرين؟، بل أين تجار تلك الحروب وشاعلو فتيلها ؟، أين من صال وجال في الأرض سطوا وإرهابا ؟... لقد انتهى بهم الأمر جميعا إلى تراب، كلهم عادوا الى تراب تلاحقهم فعلاتهم الشنيعة الشريرة ، وما خلفوه من قتل ودمار وتشريد ومآسٍ؛ لم يأخذوا معهم إلا أياديَ ملطخة بدم الأبرياء من إخوانهم في العالم الذين خلقهم الله كما خلق أولئك؛ كلهم سقطوا وعلى مر التاريخ (أما الشرير فيسقط في شره، أم ١١ : ٥) ، إذ سلكوا بالكبرياء فأذلهم الله (دا ٤ : ٣٤) .

ويبقى الله جل جلاله وحده الأزلي السرمدي، خالق الكل وله القدرة والعظمة، ويبقى المؤمن بالله الذي لا يسلك في مشورة الأشرار بل يعيش على هذه البسيطة كما يليق بالحق الإلهي في حياة إيمانية بالمحبة والسلام والتواضع والتآخي ورضا الله .

لا ترتبك أيها المؤمن ولا تهَب إذا ما اكفهر الجو وتلاطمت الأمواج حولك ، ابق شجاعا بالإيمان، يقظا وصابرا ومطيعا لكلام الله وحتى انطلاقك إلى الحياة الأسمى وانتهاء غربتك عن الرب (احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبرا، يع ١ : ٢- ٣)، فالصبر على الشدائد يعمل عمله في المؤمن لكي يكتمل نضوجه ويتحول في داخله إلى قوة إيمانية عظيمة قادرة على مواجهة كل الامتحانات الصعبة التي يمر بها، ليستمتع بالسلام الداخلي الإيماني والبهجة الروحية، والصبر امتحان لنا أيها الأحباء كمؤمنين، يؤهلنا للغلبة على الضيقات التي نمر بها، ويقوي شخصيتنا الإيمانية ويعمق وحدتنا بالله واتكالنا عليه، ويمنحنا كل الثقة بما يحمله لنا المستقبل (رو ٥ : ٣-٥)، ويسمو بالؤمن فوق كل المعاناة ليصرخ بكل يقين مع إخوته : فان كان الله معنا فمن علينا (رو ٨ : ٣١) .

وفي خضم امواج الشر المتلاطمة حولنا ونحن نشعر بضعفنا تجاه آلة الحرب وتقنياتها المتطورة، نتذكر ونتعزى بقوله تعالى : تكفيك نعمتي لان قوتي في الضعف تكمل (٢ كو ١٢ : ٩)، فنحن أقوياء في الروح لان ضعف الله أقوى من الناس (١ كو ١ : ٢٥)، وبكل سرور نفتخر بضعفاتنا لكي تحل علينا قوة المسيح (٢ كو ٩ : ١٢)، وفي ضعفنا هذا ، لا نريد أن نمتلك سلاحا دنيويا زائلا يراه أبناء هذا العالم جبارا، لكننا نمتلك بالحري قوة وقدرة عظيمة ، هي قوة الصلاة، فما أعظم قوة صلاة البار، حيث طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلتها (يع ٥ : ١٦)، وتاج كل التدابير المتقنة الحسنة هو الصلاة : وكل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه (مت ٢١ : ٢٢).

فلنصلِّ إلى الرب بيقين صادق وانسحاق قلب، تشجعنا كلمات الله لعبده دانيال : لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلام لك، تشدد، تقوَّ (دا ١٠ : ١٩)، فتمسك بالرب أيها المؤمن ولا تخف، ومتى ما التقيت أخاك المؤمن، وحيثما اجتمعت بالآخرين، فلتكن الصلاة منهجكم والتراتيل والتأملات الروحية حديثكم، ملتصقين بالرب الذي يعين ويسند ويعضد خائفيه ونادبيه، وهو وحده يمنح الغلبة من يشاء ، فالنُصرَة من الربّ (أم ٢١ : ٣١)، وهو وحده عزنا وترسنا وعليه نتكل فننتصر (مز ٢٨ : ٧) .

الأيمان والثقافات المحيطة

منذ وجد الإنسان العاقل على الأرض، وهو يعمل جاهداً نحو المعرفة وسبر غور كنه الكون الذي يعيش فيه، ومع تطور العقل البشري والفكر الإنساني، ازدادت أفق المعرفة في المجالات المختلفة، وسبّب ذلك ما ظهر أنه تباعد بين طالب الحقائق العلمية من جهة، وطالب الحقائق الروحية من جهة أخرى، وازدادت الهوة بينهما اتساعاً بسبب النعرة العدائية بين بعض رجال الجانبين إن صح التعبير، وتزمت كل جانب بتطرف واضح بعيداً جداً عن الواقع والحقائق.

مثلاً من جانب : يتجنى بعض رجال الكنيسة في القرن السابع عشر الميلادي على غاليلو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) العالم المؤمن بالله والذي توصل إلى اثبات أن الشمس هي مركز المجموعة الشمسية وليست الأرض كما كان يعتقد، وكلفه ذلك أن يسجن ويجبر على إعلان إقرار بأن الأرض هي مركز المجموعة الشمسية، مع أنه تمتم عندها قائلاً : (لكن الحقيقة أن الشمس هي المركز)، ويموت في السجن، ومن جانب آخر يتطرف العالم هيجل (١٧٧٠ – ١٨٣١م) في القرن التاسع عشر ليقول : أعطني مواد كيمياوية ووقتاً وأنا أصنع لك إنساناً !! وهو مخطيء إذ لا يستطيع ذلك.

ويوري غاغارين رجل الفضاء الروسي بعد عودته من أول جولة فضائية يقوم بها إنسان حول الأرض في نيسان ١٩٦١م. يقول : فتشت ولم أرَ الله !! بينما رجل الفضاء نيل ارمسترونج حين حطت قدماه ولأول مرة على سطح القمر في تموز ١٩٦٢م. ردد أية من المزامير تقول: أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي خلاصي، معونتي من عند الرب، صانع السموات والأرض (مز ١٢١: ١).

في خضم هذه الصراعات، واجهت الكنيسة تحديات عنيفة جدا، وخاصة في القرنين الأخيرين، حيث استجدّت مواضيع ساخنة من تلك التحديات التي برزت وبما يشبه الطفرات بل الإنفجارات في المسيرة العلمية، وعلى الكنيسة استيعابها وتفهم وجهة النظر الايمانية تجاهها، إذ لا يمكن ولا يجوز تجاهلها، لأنها أصبحت من صميم حياة المؤمن في المجتمع، وعليه أن يتعامل معها بحكمة ايمانية إن هو أراد مواكبة مسيرة العالم بنجاح، والسير قدماً إلى الأمام متحدياً ومنتصراً وفي نفس الوقت محافظاً على قيمه ومبادئه الايمانية وكيانه المسيحي.

وهنا لابد للمؤمن أن يستفيد من أمثلة حية لكيفية تعامل الكنيسة الأولى مع الثقافات والفلسفات المعاصرة لها، وتوظيفها للسمو بالمعطيات الأيمانية والنجاح بالشهادة ليسوع في المجتمع، أي بمعنى آخر : (استغلال العولمة لخدمة كلمة الإنجيل)، ومن هذه الأمثلة الإنجيلية نذكر :-

١- يستغل الإنجيلي يوحنا اللاهوتي الثقافة اليونانية في زمانه وما توصلت إليه من فكر ومعرفة، حيث يجعل مفهوم " الكلمة " LOGOS الواسعة بمعناها والمرموقة والسامية بمقامها في الفكر الفلسفي اليوناني، مدخلاً لإنجيله الذي كتبه لليونانيين، واستعملها هنا في معنى خاص وسامٍ جداً ليشير بها إلى يسوع المسيح، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس فيقول :- في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله (يو١: ١ و ٢).

وينتقل الإنجيلي يوحنا مباشرة إلى الثقافة المصرية الفرعونية، حيث على هرم في هيكل أيزيس (وهي إلهة مصرية زوجة الإله أيزيريس، وكانت عبادتها منتشرة في مصر واليونان وروما مع نشأة المسيحية) في منطقة صالحجر قرب كفر الزيات الحالية في مصر، هناك نقش قديم يتضمن الكلمات :- أنا كل شيء كان، وكل شيء كائن، وكل شيء سيكون، ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذي تنقب به من لا يفنى؛ اللاهوتي يوحنا يستغل هذه الثقافة المصرية السامية فيكتب مكملاً بدء إنجيله :- كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه (يو ١ : ٣ – ٥).

إذن، تعامل الإنجيلي واللاهوتي الكبير، الرسول يوحنا مع الفكر اليوناني والفكرالفرعوني الوثني، فحول مفرداته الجامدة إلى تعريف بالله الحي، وقرّب بذلك المعتقدات الإيمانية المسيحية إلى عقول الأمم الوثنية ليكسبهم للمسيح.

٢- وهكذا أيضاً تصرف الرسول بولس يوم احتدت روحه فيه في أثينا خلال رحلاته التبشيرية وخاطب فلاسفة أثينا من الأبيقوريين والرواقيين في وسط أريوس باغوس وقال :- أيها الرجال الأثينيّون، أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً، لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم، وجدت مذبحاً مكتوباً عليه : " الإله المجهول" . فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه، هذا أنا أنادي لكم به. الإله الذي خلق العالم وما فيه (أع : ١٧: ٢٢ – ٢٤).

الرسول بولس هنا استغل الفلسفة الدينية اليونانية بعد أن تعرف على مفرداتها من خلال المعابد المنتشرة في أثينا، ووظفها لينادي بالمسيح يسوع بين الأمم، ويكسبهم للمسيح، وفعلاً نجح في ذلك إذ التصقت به مجموعة منهم وآمنوا، منهم ديونيسيوس الأريوباغي رئيس المحفل الذي أصبح فيما بعد متقدماً في خدمة الكنيسة.

باب الحياة الحقة

حين نتأمل المنشور البطريركي السامي الذي أصدره قداسة سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص لمناسبة إنعقاد المجمع المقدس لكنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية المقدسة في الصرح البطريركي العامر في معرة صيدنايا – دمشق – سوريا، في أيلول ٢٠٠٢م، تبرز أمامنا نقاط مضيئة ومهمة تعبّر عن روحانية سامية لنمط الحياة التي يريدها رعاة الكنيسة أعضاء المجمع المقدس للمؤمنين كافة، والتي تعبر عن عمق الأيمان الأرثوذكسي والحكمة المسيحية والوعي التام لما يجب أن تكون عليه مسيرة الكنيسة ونحن في مطلع الألفية الثالثة للميلاد.

يبدأ المنشور البطريركي بآية عظيمة من الكتاب المقدس اعتبرها الرب يسوع خلاصة التعليم الكتابي بقوله له المجد (فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء. مت ٧: ١٢). وقد أجمع علماء الكتاب المقدس على أن هذه الآية العظيمة هي القاعدة الذهبية للسلوك المسيحي في المجتمع، إذ تعبر عن أسمى معاني المحبة التي يجب أن يتحلى بها المؤمن، بل قمة البذل والعطاء الذي يجب أن يعيشه كل فرد مسيحي في هذه الحياة، وقد وضعها الرب يسوع كأمر واجب التنفيذ لأتباعه المؤمنين باسمه، وصاغها بمفهوم إيجابي يصل بقوته أبعد الحدود وأسمى الغايات.

كثير من فلسفات العالم في معالجتها لموضوع العلاقة بين الأفراد في المجتمع، تضع قاعدة سهلة التطبيق وسلبية الجوانب مفادها: " من لا يريد أن يسيء إليه الآخرون فعليه هو أن لا يسيء إليهم " ، كالمثل المعروف القائل : " إذا كان بيتك من زجاج فلا تضرب الناس بالحجارة"، لأنك إذا فعلت ذلك فسوف يضربون هم أيضاً بيتك ويهشمونه، وهذا المبدأ سلبي وسهل التطبيق؛ لكن ما أراده الرب يسوع في التعامل مع المجتمع من خلال الآية الذهبية موضوع حديثنا، يختلف كثيراً عن المفهوم السلبي ويبدو صعباً جداً لضعيفي الأيمان، فهو فعلاً الباب الضيق الذي قال عنه الرب له المجد : (اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيّق. لو ١٣: ٢٤)، وهو يعني أن تأخذ المبادرة أنت أيها المؤمن في تنفيذ كل ما هو صالح وحسن ومفيد تجاه الآخرين، أي عليك أن تنفذ كل ما هو حسن وبمجرد رغبتك بأن يفعل الآخرون هكذا تجاهك حتى وإن لم يفعلوا، وهذا يعني أنك تبقى تعمل الحسن تجاه الآخرين في كل لحظة تعيشها على الأرض، لأنك حتماً تتعامل وتطبق الأفكار المفيدة والحسنة التي تتمنى أن يقوم بها الآخرون تجاهك.

أيّة آية عظيمة هذه أيها الأحباء، وأيّة قاعدة ذهبية فريدة صاغها له المجد، وكم تبدو صعبة التطبيق لضعيفي الأيمان، لكنها الباب إلى الحياة المسيحية الحقة، وهي الدستور

للمسيرة الظافرة للكنيسة المقدسة عبر الأجيال، بها استطاع المؤمنون أن يغلبوا في جهادهم ويكونوا نوراً للعالم معلنين نور المسيح بين الأمم.

وحين يسلك المؤمن المسيحي بهذا الأيمان وحسب هذه القاعدة في المجتمع الذي يعيش فيه اليوم، يكون فعلاً مواطناً صالحاً من الدرجة الأولى بل يرفض أن يكون هناك من هو أكثر مواطنة منه وأسمى محبة للوطن، ودون اكتراث لمواقف الآخرين تجاهه، إذ يعمل هو كمؤمن غيور كل ما هو صالح وحسن ومفيد تجاه أبناء وطنه ويبذل الغالي والنفيس في سبيل الوطن بأيمان صادق ومحبة لا حدود لها مقتدياً بالرب يسوع الذي طبق هذه الآية الذهبية وهذا المبدأ السامي أولاً، فهو يريدنا أن نعيش التواضع والمحبة والبذل تجاه بعضنا البعض، إذ ظهر في العالم بتواضع شديد، وعاش المحبة والبذل بأقصى صورها، لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦).

بيت المؤمن كنيسة

خلال زياراتي الروحية لبيوت المؤمنين، دخلت يوما بيتا مسيحيا مباركا، وكم سرني ما رأيت : عائلة مؤمنة مجتهدة تعمل على تثقيف أبنائها وسيرهم في الاتجاه الصحيح، وتستضيف أفراد من عوائل أخرى مؤمنة، يتبادلون المعرفة ويقدمون ما يمتلكون من خبرات الواحد للآخر.

في غرفة الاستقبال يجلس الضيف وقد التفّ حوله أولاد البيت وهو يعلمهم أصول لعبة الشطرنج ومبادئها وهم ينصتون بشغفٍ وشوق شديد، وفي الغرفة الأخرى تجلس ابنة البيت الكبرى وهي تعلم ابنة الضيف أصول العزف على آلةٍ موسيقية صغيرة تمتلكها، وفي غرفة الصالون مجموعة من الشابات النشيطات بينهن ابنة البيت الصغرى وهن ينصتن باهتمام حول مدرس فاضل يلقي عليهنّ محاضرة في مادة الكيمياء المطلوبة وحسب المنهج المقرر للصف السادس الإعدادي، وفي المطبخ أم البيت تقرا كتابا روحيا وهي تهئ الشاي للضيوف، أما الوالد فقد غادر البيت على عجل حيث استدعي ليقدم خدمة لأحد أفراد عائلة مؤمنة أخرى؛ كل ذلك يجري في هذا البيت في جو صيفي متعب ودون توفر وسائل التبريد بسبب انقطاع التيار الكهربائي عن المنطقة في تلك الفترة.

أسعدني ذلك حقا لما فيه من دلالات روحية لمن يتأمل، محصلتها أن المؤمنين بخير ماداموا مع الله ويعملون للبنيان رغم كل الظروف الصعبة التي تحيط بهم، ويلتزمون بالعلم والمعرفة ويهتمون بالتثقيف الديني والعلمي لأولادهم، مؤمنين أن ذلك هو القطار الأمين الذي يسير بهم كشهود ليسوع في عالم مضطرب متلاطم الأمواج، ويخدمون بعضهم بعضا بفرح وبذل فائق، قدوتهم في كل ذلك هو الرب يسوع ، فهذا الضيف العزيز يستقطع من وقته الثمين ساعة أو اثنتين ليقدم خلالها خدمة لأبناء هذا البيت، يعلمهم أصول لعبة الشطرنج المفيدة جدا في المفهوم الروحي لحياة الإنسان على هذه البسيطة، حيث في لعبة الشطرنج يتعلم المؤمن كيف يحارب بكل المبادئ التي تعلمها كي يغلب المعركة، وهذا يذكر المؤمن دائما بحربنا الروحية مع إبليس وكل قوى الشر في العالم، وكيف يجب أن نستخدم المبادئ الإيمانية ونلبس سلاح الله الكامل (اف ٦ : ١١) كي نغلب دائما ونبقى منتصرين مع المسيح (٢كو ٢ : ١٤)؛ وبالمقابل هذه الفتاة المؤمنة تستقطع من وقت راحتها أيضا لتعلم ابنة الضيف العزف على الآلة الموسيقية وما في ذلك من فوائد روحية ، حيث الموسيقى هي غذاء للروح، وتدخل في الصلوات والتراتيل التي بها نسبح اسم الرب (مز ١٥٠ : ٣-٥)؛ وهذا الأستاذ الفاضل يتصبب عرقا ويعمل بكل امكاناته العلمية جاهدا أن تستوعب طالباته المادة بشكل واضح ومميز، لأن المؤمن المسيحي يجب أن يكون متفوقا دائما ومميزا وواضحا في حياته

العلمية في المجتمع، كي يكون شاهدا حقا لاسم يسوع ؛ وأم البيت تثقف نفسها روحيا مع انشغالها في مسؤوليات الأسرة لتمتلك ذخيرة تقدم بواسطتها غذاءً روحيا لأفراد العائلة وضيوفهم ومعارفهم ولكل مؤمن في الكنيسة، إضافة إلى اهتمامها بالغذاء الدنيوي ومتطلبات العائلة التي تؤديها أيضا بإتقان وحكمة؛ والوالد لا يتوانى ولا يتأخر في تقديم الخدمة لغيره ممن يحتاجون إلى إمكاناته بحسب المواهب التي منحها الله له، وهو بذلك إنما يعلم أفراد عائلته كيف يكونون مستعدين دائما لخدمة الآخرين حين يحتاجون إليهم ودون تردد، بل يعلمهم كيف يكون البذل والمحبة في المسيحية وكيف يسلكون كأعضاء نافعين في جسد يسوع الطاهر، أعني الكنيسة.

هكذا يكون البيت المسيحي أيها الأحباء، وهكذا يعمل المؤمنون، وهكذا علمنا الإيمان أن نخدم بعضنا بعضا مبنيين كحجارة روحية بيتا روحيا (١بط ٢ : ٥)، وهيكلا مقدسا في الرب (اف ٢ : ٢١)، نتعلم المحبة المسيحية والاقتداء بالرب يسوع، ذاك الذي وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي أن نضع نفوسنا لأجل الاخوة (١يو ٣ : ١٦)، وهكذا يجب أن يعمل الجميع متنافسين بالمواهب وكل بحسب الإمكانات المتاحة، رباطهم هو المحبة، الطريق الافضل دائما (١كو ١٢ : ٣١).

وهكذا نشعر أننا جميعا أعضاء في عائلة الرب (اف ٢ : ١٩)، مبنيين معا مسكنا بوجود الروح (اف ٢ : ٢٢) الذي يقوينا ويعزينا، وهو مصدر سعادتنا، وهكذا يكون بيتنا كنيسة.

التواضع طريق الكرامة

حين نتأمل مجريات الأحداث في عالم اليوم وعلى مستوى دقائق الأمور اليومية في المجتمع، نصل إلى حقيقة واضحة وهي أن الخلل المسبب لعدم بلوغنا الحياة السعيدة والكرامة في المجتمع الذي نعيش فيه يكمن فينا نحن وليس في الآخرين، فالعالم صاخب وهائج لا يعرف سكينة، وعلى مر العصور والأزمان وفي كل بقعة من العالم هناك مشاكل وضيقات وشقاق وطبقية وفقر وقتل وماسٍ، وقد يعتقد البعض أن سبب ذلك كله هو التباين في المستويات الثقافية والأحوال الاجتماعية ودرجات رقي المجتمعات المختلفة، لكن ذلك كله ليس السبب الحقيقي لعدم تمتع الإنسان بالسعادة والكرامة، إذ هناك الكثير ممن هم في مستوى ثقافي أو اجتماعي واحد وبينهم من المشاكل والمشاحنات ما يندى له الجبين، وابسط مثال على ذلك القول الشعبي (عداوة كار)، أي حالة العداء بين أفراد الشريحة الواحدة والصنف الواحد من الناس، لا بل وصلت الأمور في عالم اليوم إلى حد المشاحنات العنيفة بين أفراد العائلة الواحدة ولأتفه الأسباب؛ ويقيناً فان بؤرة المشاكل تكمن في عدم قبولنا البساطة والتواضع كحجر أساس لبناء حياة اجتماعية سعيدة ونيل كرامة واحترام متبادل (طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض ، مت ٥: ٥).

تأملوا أيها الأحباء الفرق الشاسع بين الغني المتواضع والغني المتعجرف المتكابر في تعاملهما مع الآخرين، وفي اختلاف نظرة المجتمع لكل منهما، وتأملوا الاختلاف الواضح بين رجل علم متواضع وآخر متكابر، وكيف يرتاح المتابع للأول وينفر عن الأخير، وتأملوا نظرة الناس لمن يمتلك جاها أو منصبا مميزا ويحافظ عليه ويحترمه بتواضع، ونظرتهم لمن يسيء إلى مكانته بتعاليه وكبريائه (فمن يرفع نفسه يتّضع ومن يضع نفسه يرتفع ، مت ٢٣: ١٢)، وكم من غني يملك ما لا يحصى من أموال، لكنه لا يعرف معنى للسعادة ولا يتذوق طعما للهناء، وكم من مثقف امتلك حظا وافرا من العلم، لكنه غارق في بحر التعقيدات ولا يعرف طعماً للراحة، وكم من متنفّذ على أعلى درجات الجاه ، لكنه لم يتذوق يوما طعما لمحبة الآخرين، وكم من مؤمن نسي قول القديس يعقوب : (اتضعوا قدام الرب فيرفعكم ، يع ٤ : ١٠) .

أيها الأحباء : إن الميزة الحقيقية للفرد في المجتمع هي كيف يستطيع أن يتعامل ببساطة وتواضع مع الآخرين المحيطين به ، ليكسب احترامهم ومحبتهم ورضاهم، فينعم بالسعادة ويحصل على الكرامة والمكانة اللائقة، ومن يرغب في أن يكون محترماً مكرماً سعيداً، عليه أن يعرف كيف يسلك بتواضع ووداعة مع الآخرين وبمختلف طبقاتهم الإجتماعية والثقافية والأدبية ، فالآصرة الوحيدة التي تربط كل تلك الاختلافات والتباين في الحياة هي فضيلة التواضع، كيف لا والرب يسوع نفسه وديع ومتواضع

القلب (مت ١١ : ٦)، فلنوظّف إذن كل ما وصلنا إليه وما حصلنا عليه من غنى وثقافة وجاه لخدمة الآخرين بتواضع، وهكذا فقط نستطيع أن نعيش على هذه البسيطة حياةً سعيدةً كريمةً ، لأن طريق الكرامة هو التواضع (أم ١٥ : ٣٣).

التعليم المسيحي للأطفال

(أن تلقين طفل صغير الصلاة الربانية أفضل بكثير من وضع كتابٍ في اللاهوت)

إنها واحدة من الأقوال المأثورة لسيدنا صاحب القداسة، الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، وما أعظمها من حكمة، وما أسماها من كلمات، فيها من العمق الروحي ما يحملنا على التأمل وصولاً إلى قول الرب (دعوا الأطفال يأتون إليّ ولا تمنعوهم، فأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات ، مت١٩: ١٤)، ما يعبّر عن المكانة العظيمة التي للأطفال في الحياة المسيحية، ويَخِز الضمير وينبه إلى ضرورة بل حتمية الإهتمام بتعليم أطفالنا وتوجيههم التوجيه الصحيح منذ نعومة أظفارهم، ما يقرّبهم إلى الربّ يسوع.

إنها أمانةٌ في أعناقنا أيها الأحباء، وقد لا يدرك الوالدون خطورتها، فأطفالنا صفحات بيضاء، إن لم نكتب عليها نحن ما ينفع وما يبني من تعليم صحيح، فأن تلك الصفحات سوف تملأ بما يكتبه الآخرون عليها مما قد لا تحمد عقباه.

والأطفال بصفاء أذهانهم، سريعو التعلم في هذه السن المبكرة من العمر، إذ نشعر كلنا بضعف القابلية على التعلم مع التقدم بالعمر، ونتحسر على ما فاتنا من وقتٍ لم نستغله في أيام طفولتنا وشبابنا، فمعظم ما نعرفه الآن وما تعلمناه وحفظناه جيداً كان لتلك الفترة من حياتنا.

وما علينا الآن إلاّ أن نستغل كل دقيقة ممكنة من الوقت لنجعل أطفالنا قريبين من يسوع له المجد، وبعيدين عن وسائل اللهو غير النافع، والتي أصبحت كثيرة ومؤثرة في المجتمع، والنعمة مع الجميع.

جمال المؤمنة حشمتها

تتسابق وتتمادى بعض الفتيات في تقليدٍ أعمى لآخر " الصيحات" كما يسمونها في عالم الأزياء والتسريحات والمكياج، يتفاخرن فرحات بمظهرهنّ وباعتقادهنّ أنهنّ غدَينَ جميلات، متناسيات في نفس الوقت أنهنّ بذلك أصبحن مستعبدات لشهوات ونزوات أبناء هذا العالم، ومبتعدات بالمقابل عن التعليم المسيحي الصحيح والمقدّس.

أيتها الأخوات المؤمنات العزيزات :

إنّ الإسراف بالتظاهر بالجمال الدنيوي، هو آفة تنخر بهيكل المجتمع، وتبعدنا كثيراً عن مبادئ المسيحية الحقة، بل هو عبودية للآخرين من أبناء العالم، في تصرفات تفقدنا هويتنا المسيحية المميّزة، وتنسينا الثمن الغالي الذي افتدينا به، ألا وهو دم يسوع القدوس الذي سفك على قمّة الجلجثة لأجل خلاصنا، فنصبح بذلك عبيداً للمغريات والنزوات الفانية بكل ما تعنيه العبودية، وهذا ما حذّرنا منه الرسول بولس بصرخته المدوية : قد اشتريتم بثمنٍ فلا تصيروا عبيداً للناس (١كو٧: ٢٣).

والحياة المسيحية أيها الإخوة والأخوات هي ليست أزياء غريبة وملابس أو تسريحات مثيرة نجاري بها نزوات أبناء العالم، ونقلّد عاداتهم وميولهم، فنستعبد لهم، لأن من يبتدع تلك الأزياء والتسريحات المثيرة هم الذين يريدون أن يفتخروا بأجسادكم (غل٦: ١٣)، والمؤمنة المسيحية لا ترضى أبداً أن تكون أداة بيد الآخرين، ليشبعوا شهواتهم ونزواتهم بما تلبس وكيف تظهر؛ المؤمنة المسيحية لا ترضى هذا أبداً، لأن الله خلقنا على صورته (تك٩: ٦)، وعلينا أن لا نشوّه صورة الله الطاهرة، والله خلقنا كما نحن، ويريدنا أن نكون ونظهر ونعمل كما نحن، وزينتنا هي ليست الأصباغ والأزياء الصارخة والمجوهرات المعدنية البرّاقة التي يتباهى بها من لا رجاء لهم من أبناء العالم، فالجمال في المسيحية له معنى أسمى بكثير من المفهوم السطحي للجمال والمتداول بين الناس.

جمالك عزيزتي المؤمنة هو أخلاقك العالية وأعمالك الجليلة وخدمتك المميّزة في البيت والكنيسة والمجتمع؛ جمالك يا أختي المؤمنة هو تشبهك بعفاف ووداعة وبساطة وهدوء ونقاء أمّنا العذراء مريم أم الفادي يسوع؛ جمالك هو تقوى الرب الذي قال عنه سفر الأمثال : المرأة المتقية الرب، هي تمدح (أم٣١: ٣٠)، وهو الحكمة التي قال عنها أيضاً : حكمة المرأة تبني بيتها (أم١٤: ١)، فالأصباغ والأزياء الصارخة الغريبة لا تبني البيت أبداً.

زينتك أيتها الأخت المباركة وكما يعلمنا الكتاب المقدس هي لباس الحشمة مع الورع والتعقل (١تيمو٢: ٩ و ١٠)، فلباس الحشمة والتسريحة البسيطة والميكياج الهادئ، تُظهرُ كعمقٍ أخلاقي، عقليّة واعية وتفكيراً سليماً تستحق معه صاحبته أن تدعى "

مؤمنة مسيحية " وبكل ما يعنيه ذلك من سموّ ايماني وأخلاقي، وتصلح معه صاحبته أن تكون أم بيت مثالية وامرأة فاضلة يفوق ثمنها اللآلئ (أم٣١: ١٠).

إنه نداء محبة، أن تظهر كل فتاة وامرأة مسيحية في المجتمع متزينة ومتسربلة بتقوى الرب وحكمة الكتاب المقدس، لتعطي انطباعاً لائقاً عن مفهوم المسيحية، وبالشكل الذي يُظهر الرب يسوع بكل عظمته في المجتمع، وتعكس بذلك صورة مقدسة زاهية لأخلاقياتنا المسيحية العالية، وما أكثر هذه النماذج والصور الزاهية بين المؤمنات في كنيستنا السريانية المقدّسة.

حفظ اللسان

اهتم العقل البشري بالعلم والحكمة والمعرفة منذ نشوء التفكير لدى الإنسان، وصولاً إلى ما بلغ إليه اليوم من تطور ورقي يُكسب الإنسان قوة في ديمومة السمو الأخلاقي والعلمي، ليبقى المجتمع رصيناً حصيناً؛ وسعى العلماء والحكماء قديماً إلى أن يمنحوا الرشاد لبني قومهم، والهداية لأبناء جنسهم وأوطانهم، والمشورة لصانعي القرار في أزمنتهم، مؤكدين فيما ذهبوا إليه على ركيزة أساسية في المنطق والتعامل مع الآخرين، ألا وهي صيانة اللسان، معتبرين ذلك من الأمور المهمة جداً لاحتفاظ الإنسان بمستوى أخلاقي لائق ومقبول بين أقرانه والمحيطين به في المجتمع، ولسير الحياة الإنسانية بمعانيها السامية ودلالاتها الرصينة في الإتجاه الصحيح والإيجابي نحو السمو والرقي دائماً، وبمختلف نواحي الحياة.

وهذا أحيقار الحكيم في القرن السابع قبل الميلاد يؤكد قائلاً : (إحفظ لسانك مراقباً، ولا تدعه أن يدمرك، أعظم ما تراقب راقب فمك، ليكن فمك مصوناً وشفتاك مراقبتين، ولتكن شفتاك ثمينتين مثل غنى الإنسان)، وفي كل ذلك دلالات واضحة على أهمية حفظ اللسان والإهتمام بما ينطق ويتكلم الإنسان، إذ على ذلك تتوقف معالم الشخصية التي ترسم لهذا الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه.

والكتاب المقدس منح الإنسان قيماً ومبادئ سامية عززت مقومات إنسانيته ورفعت من مستوى أخلاقياته إلى درجات مميزة جداً، فأصبح المؤمن المسيحي عضواً نافعاً ومن الطراز الأول في البيت والكنيسة والمجتمع، بل ينبوعاً يتدفق عطاءً، بكل همة ونشاط ورصانة، تفوح منه نسمات طيّبة عطرة، تملأ الأجواء معلنة بكل فخر أنه الشاهد الأمين ليسوع في العالم، وأنه عضو نافعٌ في بناء الكنيسة الشامخ؛ وهنا أيضاً تأكيدٌ واضحٌ على حفظ اللسان والإهتمام بالكلام، فصاحب المزامير يعلم قائلاً : (صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش، مز٣٤: ١٣)، وصاحب الأمثال يرشد قائلاً : (من يحفظ فمه ولسانه، يحفظ من الضيقات نفسه، أم٢١: ٢٣)، ويؤكد على أن هدوء اللسان إنما هو شجرة حياة (أم١٥: ٤)، أما ابن سيراخ فيعتبر تاج الحكمة هو مخافة الرب، والحكمة تبان بالكلام وبنطق اللسان يبان التأديب (سيراخ١: ١٨ و ٤: ٢٤)، والرسول بولس يطلب من تلميذه تيموثاوس أن يتجنب المباحثات الغبية والسخيفة (٢تيمو٢: ٢٣)، أما الرسول يعقوب فيعطي خلاصة في هذا الباب قائلاً : (إن كان أحدٌ فيكم يظنّ أنه ديّن وهو ليس يلجم لسانه، بل يخدع قلبه، فديانة هذا باطلة، يع١: ٢٦).

وحين نقول هذا، نذكّر أبناءنا وإخوتنا وأحباءنا الشباب ومن كلا الجنسين، أن الكنيسة المقدسة تريد أن يبقى الشباب على إشراقتهم المسيحية النضرة، وعطائهم المتجدد الدائم، وابتسامتهم الإيمانية المرسومة على محيا كل منهم، واندفاعهم الغيور في

الخدمة بأمانة، يتحدون بذلك السنين بضيقاتها وتجاربها واختباراتها المؤلمة، وما تفرزه من فلسفاتٍ وتعاليم غريبة وألفاظ غير لائقة ومخالفة للمبادئ المسيحية الإيمانية الحقة، والتي تسلمناها وديعة محفوظة بالعرق والدم، منذ نشأة الكنيسة وحتى هذا اليوم، بواسطة الرسل والآباء القديسين، والرعاة والخدام المجتهدين وعلى مر السنين.

تحية محبة وإجلال لكل من يقف صامداً بوجه التيارات الغريبة، والتي يحاول البعض دسّها بين الشباب، والتي تخالف تراثنا الشرقي السرياني الأرثوذكسي المشرق والعظيم، فيمنع ترويجها بين الصفوف محافظاً على مجتمعنا المسيحي سليماً معافى، وهنيئاً لكل من يرفض وبإصرار التنازل عن المبادئ الأخلاقية المسيحية السليمة، ويقاوم الإنجراف في متاهات كلامية وألفاظ غير مسيحية، فيبقي لسانه فضّة مختارة (أم١٠: ٢٠)، يلهج بعدل الله وبحمده (مز٣٥: ٢٨).

وأخيراً، كونوا يقظين أيها الشباب المؤمن، فقوة الكنيسة بشبابها، وقوة الشباب الصلدة المتماسكة هي الإيمان الحق بالله وكتابه العزيز، والسلوك كما يحق لإنجيل المسيح؛ ابتعدوا عن الألفاظ والمسميات غير اللائقة، وتمسكوا فقط بما يرضي الله، وما يتطابق وحق الإنجيل، صارخين دائماً مع أيوب : لن تتكلم شفتاي إثماً، ولا يلفظ لساني بغشّ (أي٢٧: ٤)، ولنتذكر أن الموت والحياة هما في يد اللسان (أم١٨: ٢١)، والرب معكم، آمين.

الحقيقة

الحقيقة تريحنا أحياناً وتصدمنا أحياناً أخرى، ننادي بها حين نتجرد عن الذات ونتحدث بالمثاليات، لكننا ننكرها في حياتنا العملية وفي تعاملنا مع الآخرين خوف أن ينزعج هذا أو أن نخسر صداقة ذاك، وكلنا نعاني من صعوبة مواجهة الآخرين بالحقيقة ، ونجامل على حساب الحق.

والمؤمن المسيحي يجب أن يعيش في هذه الحياة ويتعامل مع الآخرين في المجتمع بروح المحبة والحكمة المسيحية التي تقول : نعم نعم، ولا لا (يع٥: ١٢)، وذلك يعني أن نواجه الآخرين بالحقيقة وبكل صراحة دون خوف أو حرج.

وحين نواجه الآخرين بالحقيقة، علينا أن نتذكر أيضاً قول الرب : كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام (مت١٠: ١٦)، إذ علينا أن نطرح المواضيع قيد المناقشة بكل وداعة ومحبة أخوية لا تحتد ، بل تظهر نياتها الحسنة بالتصرف الحسن واللائق وبوداعة الحكمة المسيحية التي هدفها البناء، والبناء فقط، دون تجريح أو استفزاز أو ما شابه ذلك من محاولات الإنتقاص من الآخرين أو إظهار عيوبهم أو التشفي بهم، لأن ذلك ليس مبدأ مسيحياً إطلاقاً.

وإعلان الحقيقة بوداعة الحكمة المسيحية يرافقه دائماً إصرارٌ لا تراجع عنه، لأن التنازل عن الحق يعني الإنهيار والإخفاق، فالإنهيار هو فقدان القدرة على التمسك بالقيم بسبب مجاراة الآخرين والإنزلاق مع التيار، أما الإخفاق فهو الهرب من المواجهة والإنعزال وفقدان القدرة على التفاعل الحي مع المجتمع؛ وكلاهما تفاعل سلبي لا تؤمن به المسيحية ولا ترضاه، إذ على المؤمن المسيحي أن يتفاعل ايجابياً مع المجتمع ليكون نوراً يضيء للآخرين، يصنع الحق ويحب الرحمة ويسلك بتواضعٍ مع الله، وهذا هو الصالح وما يطلبه الله من الإنسان كما جاء في (ميخا٦: ٨).

حياة الصراحة

كم هو مخجل أيها الأحباء، أن يكتشف الآخرون هفواتنا وما نضمره من حسد أو حقدٍ أو ضغينةٍ تجاه آخرين هم إخوة لنا من بني البشر، وكم نغضب ونمتعض حين يواجهنا الآخرون بما أخطأنا به في حياتنا اليومية، قولاً كان أم فعلاً؛ ولنتخيّل أنفسنا مجتمعين في مكانٍ ما، حيث يقفُ كلٌّ منا بدوره على المسرح ليعلن أمام كل الحاضرين عن هفواته التي فعلها !!، كم سيكون ذلك مخجلاً ؟، وكم سنشعر بالحرج عندها ؟.

وماذا لو أن شريطاً سينمائياً – صوّر بالكاميرا الخفية مثلاً – وسجّلت عليه أقوالٌ لنا، أو أعمالٌ قمنا بها، مخالفةً للتعليم المسيحي؛ أو أن جهازاً اخترع، له القدرة على كشف وتحليل أفكار الإنسان وما يحمله في عقله من مواقف تجاه الآخرين، وأن هذه المعلومات عُرضت فعلاً أمام الناس، كم سنخجل ونشعر بالحرج عندها؟.

إن كل ذلك الحرج والخجل إنما يتسبب عن ما يمتاز به الإنسان من كبرياء وتعالٍ واعتدادٍ بالنفس، فالإنسان لا يرضى أبداً أن تعرض هفواته وزلاّته أمام الآخرين، بل هو يفرح بالحريّ حين يمتدح دائماً، وأن يتحدّث الناس عن ما يقوم به من أعمالٍ حسنة، وما جادت به يداه من صدقاتٍ ، وما تحدّث به من أقوالٍ منمقةٍ رنانةٍ، أو ما كتبه من أسطرٍ برّاقةٍ وحسب.

ولكن مهلاً أيها الأحباء، ولنتأمل، فأن كل ما تخيّلناه في هذه العجالة، هو ممكن فعلاً وواردٌ، لأن الله العلي قادرٌ على كل شيء، وهو يكشف كل أفكارنا، ويسمع كل ما نقوله، وينظر كل ما نفعله في المجتمع ونعتقد أنه مخفيّ أو بعيدُ عن عيون الآخرين وأسماعهم؛ ألم يعرف الله ما فعل آدم وحواء حين أكلا من ثمار الشجرة المحرّمة؟، ألم يكشف الله جريمة قايين يوم قتل أخاه البريء هابيل؟، ألم ينظر الله فساد الأرض في أيام نوح البار ويغرق البشرية بالطوفان العظيم؟، ألم يرَ الرب يسوع نثنائيل وهو بعد تحت التينة وقبل أن يأتيَ به فيلبّس إليه؟، ألم يكن الرب يسوع يقرأ أفكار الكتبة والفريسيين الذين كانوا يحاولون أن يمسكوه بكلمة؟، ألم يكشف الرب حقيقة المرأة السامرية عند البئر في سوخار، ألم يكشف الربّ خيانة يهوذا الاسخريوطي وخيانة بطرس له قبل حدوثهما؟، .. وغيرها الكثير من الأحداث في الكتاب المقدس، وكلها تصل بنا إلى حقيقة ناصعة، وهي أن أبانا السماوي يرى كل ما نفعله بالخفية (مت٦: ٣)، وهو يعلم خفايا القلوب (مز٤٤: ٢١)، وكما أعلن له المجد قائلاً : ليس مكتومٌ لن يستعلن، ولا خفيٌّ لن يعرف (مت١٠: ٢٦).

إذن لا يستطيع إنسانٌ أبداً أن يخفي شيئاً عن الله، وكل ما يعتقده الإنسان أنه خفيٌّ على الآخرين، لابد أن يظهر يوماً ويستعلن، والمؤمن بالذات مراقب بدقّة في كل ما

يفكر به أو يقوله أو ما يقوم به في الحياة، فالكاميرا الخفية الحساسة بالنسبة للمؤمن ما هي إلاّ عين الله سبحانه وتعالى، الذي لا ينعس أبداً ولا ينام؛ عين الله التي تراقب كل خطوات المؤمن وتحركاته، ولا تريده أن يفعل الشرّ أبداً، ولا تريد لإنسانٍ السوء أبداً، بل هي عينٌ مقدسة ترعى المؤمن (مز٣٢: ٦)؛ كما أن الله يحزن حين يفعل أحدنا الشر، ويتألم حين نفكر بما هو ضارٌ بالآخرين ومخالف للحق الإنجيلي، وهو سبحانه لا يريدنا أن نشوّه اسمه القدوس وصورته التي خلقنا بشبهها؛ فلم لا نعيش أيها الإخوة، حياة صراحة ومصارحة مسيحية نقية، لا خفيّ فيها، بل كل شيء فيها مستعلن وواضح ومطروحٌ على حقيقته تماماً كما هو مخزونٌ في القلب؛ لم لا نعيشُ حياة روحية نتعامل فيها مع بعضنا البعض بمحبة مسيحية خالصة، تؤتيَ ثمار الروح القدس، فرحاً وسلاماً ووداعة، وبساطة، فنكون أولاداً لله، وإخوة للرب يسوع، وقديسين في كل تصرفاتنا، على مثال القدوس الذي دعانا (١بط١: ١٥)؛ إنها دعوة للقداسة أيها الأحباء.

الخادم المؤمن وتموز

تموز شهر الجهاد والاستشهاد في طقس الكنيسة السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية، فيه تقدم الكنيسة للمؤمن أمثلة حيّة وناطقة عن الشهادة ليسوع من خلال شخصيات عظيمة نقلت الوديعة الايمانية بكل وداعة وشجاعة، وشهدت بكل ثقة ودون تردد وحتى الرمق الأخير، مقدمة الدماء الزكية رخيصة لأجل اسم الرب يسوع، وكانت دماؤها بذاراً للايمان الحق في أرجاء المعمورة.

تدخل الكنيسة شهر تموز في طقسها السرياني المقدس مباشرة بعد احتفالها بعرس الشهادة الرهيب لهامتي الرسل مار بطرس ومار بولس والذين تعيّد لهما في التاسع والعشرين من حزيران، وتنهي شهر تموز باستذكار جلال الجهاد في حقل الخدمة، والذي يبرز في أوج مجده في حياة القديس الجليل مار يعقوب البرادعي، المجاهد السرياني الفذ والذي تعيّد الكنيسة ذكرى انتقاله إلى الخدور العلوية في الثلاثين من تموز.

وبين هذا وذاك، يمرّ الطقس السرياني المقدس بتذكارات استشهادٍ تمتلك عبقاً مميّزاً بل تفوح منها رائحة المسيح الزكية بنكهة فريدة، ففي الثالث من تموز، تعيّد الكنيسة المقدسة للقديس الجليل مار توما الرسول الذي سلخ جلده وطعن بالحراب لتنطلق روحه الطاهرة إلى الخالق العظيم فرحة مطمئنة قرب مدراس في بلاد الهند المتوحشة يومئذ، وفي الخامس عشر من تموز تحتفل الكنيسة المقدسة بذكرى عطاءٍ واستشهاد الأمومة والطفولة معاً وكما تعبّر عنها برهبةٍ ذكرى استشهاد القديس الجليل الطفل مار قرياقوس، والشهيدة المباركة أمّه القديسة يوليطي.

هذه الأمثلة الحيّة الرائعة، يضعها المؤمن نصب عينيه حين يشترك في الخدمة في حقل الرب، ويكرّم هذه الشخصيات الفريدة بحرارة تنبع عن إيمانٍ ببصيرة حادة تستوضح اللا منظور ورجاءٍ يعيش في عمق السماء؛ فقد يرى الخادم في حقل الرب نفسه متعباً ومجهداً ومحبطاً أحياناً خلال العمل، وقد يشعر بالغبن فيما يستحق من اعتبار، وقد يسمع من غيره أقوالاً تثبّط العزائم بل تصل أحياناً حد المطالبة بالتراجع والتراخي في العمل كقولهم : أنت متعب يا فلان !! إنك تجهد نفسك أكثر من المعقول !! أنت تعمل فوق طاقتك !! لماذا كل هذا التعب، فليس هناك من يقدّر أتعابك !! انتبه إلى صحتّك فأنك سوف تنتكس ! ... إلخ من أفكار لا أظنّها أبداً أنها محبّة حقيقية وبنيان، وغالباً ما تكون حسداً ومراوغةً وتملقاً وتؤتي ثماراً سلبية في حقل الخدمة إن أذعن لها الخادم.

وليتأمل الخادم المخلص الأمين : ما أجمل أن ينهار المؤمن وهو بعد يعمل في حقل الرب، وما أحلى أن تنتهي حياة المؤمن على الأرض وهو في أحضان الكنيسة ومستمر

في خدمتها، وأي كرامة وطوبى هي أسمى من أن يسقط المقاتل وهو يشهد لاسم الرب يسوع بكل جدٍّ وأمانه في ميدان الجهاد المقدّس؟؛ ومهما بلغ التعب والإرهاق بالمؤمن الخادم الغيور، فهل هو بلغ مستوى الأمثلة الحية التي تقدمها الكنيسة المقدسة خلال الطقس السرياني في البذل والعطاء، والجهاد والاستشهاد ؟ ، ولماذا نرضى أن يكون هناك من هو أسمى عطاءً وجهاداً منّا ؟، ألا نستطيع أن نكون مثلهم في الإيمان والخدمة، فنحن جميعاً هيكل الله الحي (٢كو٦: ١٦)، ونستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقوينا (في٤: ١٣).

اعمل إذن أيها الخادم الأمين،اعمل بفرح وبكل ما تستطيع من قدرة، ولا تلتفت إلى الوراء وتتساءل : لماذا لا يعمل الآخرون كما أعمل أنا ؟، ولا تسمح لإبليس أن يتمكن منك فتغتر وتتباهى وتتكابر وتتشامخ لأنك تعمل أكثر من غيرك، وتذكّر أنّ قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح (أم١٦: ١٨)؛ اعمل أيها المؤمن الغيور فالخدمة بحاجةٍ إليك لأن الحصاد كثير والفعلة قليلون (مت٩: ٣٧)، والخدمة في حقل الرب تتطلب جهداً مضاعفاً وبذل ذاتٍ وصبراً وتحملاً وحكمةً ووداعةً، وتحتاج إلى استمرارية الوعي الروحي في كل لحظةٍ وكل حركةٍ وخدمة، والخادم الحقيقي الأمين يحيا لا على مستوى الكلام، بل على مستوى أصدقَ برهان، وهو استعداد الموت (لأن ليَ الحياة هي المسيح والموت هو ربحٌ، في١: ٢١)، والآباء الميامين الذين خدموا في حقل الرب لم يكونوا ينظروا للموت في سبيل المسيح إلاّ باباً للحياة الأبدية والخلود في أحضان الرب.

ولا تَنسَ أيها الأخ الخادم الأمين، أن حياتنا إنما هي حربٌ مستعرة بين الخير والشر، لا تعرف هوادة، والمؤمن يجب أن يصطفّ مجاهداً إلى جانب الخير دائماً، وطوبى لمن يسقط مضرّجاً بدماء الجهاد الحسن في خندق الأيمان والعطاء في ميدان الجهاد.

وكلما جاء شهر تموز، يزداد المؤمن حرارة إيمانية تتناسب ودرجات حرارة شهر الجهاد هذا، لتنتعش الكنيسة وتسعد بخدّامها الغيورين، فتبعث وهجاً روحياً إلى العالم، يعطي نسيماً عليلاً وانتعاشاً للخاملين المتسكّعين على قارعة طريق الحياة الدنيا، كي يلحقوا بالركب المؤمن ويجدوا المكان المناسب اللائق في ميدان الجهاد الغالب المبين.

الرهبانية مفخرة الكنيسة

خلال فترة امتدت لعشرة أيام متقطعة (ضمن الأسبوع الأخير من شباط والأسبوع الأول من آذار ٢٠٠٢م) عشتها داخل الصرح البطريركي الشامخ في معرة صيدنايا، إنتابني شعور بالزهو الروحي لما وصلت إليه كنيستنا السريانية الأنطاكية المقدسة من تقدم روحي وعلمي واجتماعي ومسكوني مميّز، إذ أنها بحقٍّ تعيش عصر السريان الذهبي اليوم، مع تخطيط مستقبلي حكيم للسير قدماً بخطوات ثابتة نحو الأمام؛ واستوقفتني في الفترة القصيرة التي نعمت بقضائها في دير مار أفرام السرياني في معرة صيدنايا محطات ومواقف غاية بالعظمة والتواضع وقمة بالبذل والإصرار على النهوض الدائم والتخطيط الواعي والتواصل البنائي الرصين والتفاهم وتبادل الآراء الموضوعي، التي تمثل أواصر المحبة التي تربط درجات الهيكلية الكنسية ببعضها والتي أرسى دعائمها بنجاح سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص.

والحياة الروحية التي يعيشها الرهبان والراهبات في الصرح البطريركي العظيم، تجعل المؤمن المتابع يشعر بسعادة غامرة بالنهضة الروحية في الكنيسة والتي انتعشت بشكل مميّز على عهد سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، وبالمستقبل المشرق لها خلال أجيال قادمة، فقد أعاد قداسته - حفظه الرب - أمجاد الرهبانية في الكنيسة السريانية والتي كانت على مر العصور السمة المميزة للكنيسة ومصدر الإشعاع الروحي والبناء الهيكلي الرصين والعطاء الفكري الثر للسريان، فانتعاش الكنيسة يرتبط دائماً بانتعاش رهبانياتها، وهذا ما كرسه سيدنا صاحب القداسة، بل جعله من الأولويات في خدمته على رأس الهرمية الكنسية ومنذ اليوم الأول لاستلامه المسؤولية والموقع الأول في هيكلية الكنيسة.

وما ينعش الروح ويريح الضمير في هذا المجال، أن الرهبانية في كنيستنا اليوم تجسد الرسالة الرئيسية السامية في فلسفتها، وأعني بها سبر غور الثقافة والعلوم المختلفة، واستغلالها والسمو بها لتمجيد اسم الرب، وتقديم المبادئ الإيمانية بأسمى معانيها للمؤمنين، والنهوض بالكنيسة وديمومه رفعتها وأمجادها وكما كانت عبر العصور.

ولست مبالغاً أبداً، حين أقول أني خلال تواجدي لعشرة أيام في الصرح البطريركي العظيم، ومن خلال كل الذين التقيتهم، وابتداءً بشخص سيدي صاحب القداسة، وأصحاب النيافة المطارنة، والآباء والرهبان والراهبات، استعرضت صوراً متنوعة لروحية القديسين من مجاهدي الكنيسة ورهبانها خلال تاريخها، فقد لاح أمامي بوضوح جهاد مار بطرس وعينه الساهرة في نشأة الكنيسة، وغيرة مار بولس الوقادة وجولاته التبشيرية، وشجاعة مار توما وصموده الإيماني، ودهاء مار إغناطيوس النوراني، وعلم

مار يعقوب النصيبيني، والعطاء الثر لمار أفرام السرياني، ومواعظ مار يوحنا الذهبي الفم، ومصنفات مار يعقوب الرهاوي، والجهاد الأرثوذكسي للسروجي وسويريوس الأنطاكي والبرادعي، ونسك مار متى الشيخ ومار برصوم وسمعان العمودي، ودائرة المعارف ابن العبري، وخدمة الشماسة فيبي، وجهاد القديسة تقلا، وثقافة القديسة توماييس، ونسك القديسة إيلاريا، وغيرهم من قائمة طويلة بل سحابة من المجاهدين والمجاهدات الذين بذلوا الذات بسخاء من أجل الحفاظ على الإيمان المستقيم وديمومة المسيرة الموفقة للكنيسة وتمجيد اسم الرب؛ فروحية أولئك جميعاً ها هي ماثلة للعيان بشخص سيدي الحبر الأعظم، وأحبار الكنيسة وآبائها ورهبانها وراهباتها، الذين منحهم الرب المواهب والإمكانات المميزة والتي تتكامل بعضها مع البعض الآخر لديمومة صرح الكنيسة الشامخ، وكل من موقعه.

وهذه المعطيات ترصدها ببهجة وزهوٍ العين المتابعة الحاذقة والغيورة على مستقبل الكنيسة، والقلب المحب والمتفائل الذي يلهج بالمجد لاسم الرب الذي يعضد الخطوات لأجل نهضة الكنيسة المقدسة، والضمير الحي في المؤمن الذي لا يهمه إلاّ ازدهار الكنيسة بكفاح قادتها الميامين في حقل الرب، ما يجعل المتابع يصرخ من الأعماق : الحمد لله ، كنيستنا بخير، المجد لله الذي يعضد المسيرة ويرشد الآباء لكل ما هو صالح ومفيد.

اللهم احفظ قداسة البطريرك، اللهم اسند أحبار الكنيسة الأجلاء، واكليروسها وشعبها، اللهم لتدم المسيرة إلى الأمام بعونك يا رب، آمين.

سمو الصليب

كانت خشبة الصليب أداةً للموت الرهيب في القديم، ولعنة بحسب الشريعة الموسوية (تث٢١: ٢٣)، وفي ملء الزمان تجسد الفادي يسوع وحمل تلك الخشبة، ثم ارتفع عليها ليفتدي البشرية ويموت على الصليب من أجل الإنسان وإنقاذه من سقطة الخطية، فحوّل خشبة العار إلى أداة فداء بل صليب مجد وفخر وانتصار، تحولت خشبة اللعنة تلك إلى شجرة حياةٍ تعطي ثمرها باستمرار وأوراقها لشفاء الأمم، ولا تكون لعنة في ما بعد (رؤ ٢٢: ٢و٣).

وهكذا فالحكمة الحقيقية لإيماننا المسيحي، بل الركن الأساس لمسيحيتنا هو موت السيد المسيح لأجلنا على الصليب، وإهراق دمه الأقدس الذي تضرجت به تلك الخشبة كي يفتدينا ويصالحنا مع الله (كو ١: ٢٠)، فيرتفع الصليب راية وشعاراً مقدساً للمسيحية، ولا يفتخر المؤمنون إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح (غل ٦: ١٤)، ولا يريد المؤمن أن يعرف يسوع المسيح إلاّ وإياه مصلوباً (١كو ٢: ٢)، ومن خلال الصليب يضع المؤمن نصب عينيه صورة السيد المسيح المصلوب، ويتبرّر المسيحي بإيمانه بابن الله المصلوب، ويموت معه ليحيا معه (غل ٢: ١٩)، ويعيش الحياة حاملا صليبه ومستمدا منه قوة في تحمل الضيقات واجتياز التجارب الصعبة والغلبة على مغريات هذا العالم، فيكون بذلك مشتركا في صليب المسيح.

هكذا نفهم الصليب، إنه محبة باذلة، بل أسمى معاني المحبة التي عرفها الكون (يو٣: ١٦) وهو تواضع وطاعة وانسحاق (في٢: ٨) تتفجر عنها أبعد حدود القوة التي عرفتها العلاقة مع الله (١كو ١: ١٨)، فالصليب هو قوة الله التي تصل بالمؤمن إلى الصبر والتحمل فتقوده إلى الغلبة والانتصار، وهو إعلان للحق أيضاً كما قال صاحب المزامير (أعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحق لكي ينجو أحباؤك ، مز ٦٠: ٤)؛ وحمل الصليب يعني التمسك بالحق وإعلانه والعمل بمعطياته خلال حياة المؤمن على الأرض، ولكن ومع الاسف، وعلى مر العصور المسيحية هناك من حاول أن يستغل اسم الصليب المقدس وبساطة المؤمنين لتنفيذ مآرب خاصة بعيدة تماماً عن معاني الصليب السامية، والغاية من ذلك تشويه اسم الصليب ومكانة الصليب وعظمته في المسيحية، وهذا ما حدث مثلاً عندما وسمت الحروب الفرنجية (من القرن الحادي عشر وحتى الثالث عشر الميلادي) بإسم " الحروب الصليبية " واستغل فيها اسم الصليب بصورة بشعة جداً لتنفيذ نوايا صانعي القرار وأهدافهم غير المعلنة والتي نتج عنها ويلات وضيقات وكراهية وحقد عانى منها مسيحيّو الشرق كما عانى غير المسيحيين تماماً، وأصدق مثال على ذلك ما جرى خلال الحرب الفرنجية الرابعة وكيف أن أساطيل الغرب اتجهت نحو القسطنطينية سنة ١٢٣٤ م، وعاثت فساداً وقتلاً ونهباً

وسلباً وتدميراً، حتى أن المؤرخين يعتبرون تلك الحملة أسوأ وأعنف ما عرف التاريخ الإنساني من دمار وشناعة، فكيف يكون الصليب أيها الاخوة شعاراً للدمار والقتل والنهب وهو في قلب المؤمن المسيحي رمزاً وشعاراً للمحبة الباذلة والتفاني في سبيل الآخرين، ورمزاً للسلام والتواضع والطاعة والوداعة ؟، وكيف يكون من يفعل ذلك مسيحياً ؟.

وما أشبه اليوم بالبارحة، فها هي طبول الحرب تقرع ، وكما كانت في العصور المظلمة تماماً حيث القوي يحاول أن يأكل الضعيف وينهب خيراته ويدمر حضارته وتراثه، حيث دول عظمى تستعرض عضلاتها وقوتها اليوم لترهب الآخرين، وتتناسى بذلك ما وصلت إليه من حضارة وتطور وتقنية، بل تستخدم ذلك في محاولة تدمير الحضارات الأخرى وإخضاع العالم بأسره لمآربها وأهدافها وغاياتها، ومع الأسف، نعم أقول مع الأسف، فهي تستغل اسم الصليب المقدس الأكرم اليوم أيضاً في حملاتها (الفرنجية الجديدة) هذه، علماً أنها بعيدة كل البعد عن معنى الصليب ، وعن مبادئ المسيحية السامية وتعاليم السيد المسيح الإلهية.

إننا كمؤمنين مسيحيين ننتمي إلى حضارات شرقية عظيمة وعريقة، ونرفض تماماً ونستنكر أن يستغل اسم الصليب في تنفيذ مآرب دنيوية ظالمة لا علاقة لها أبداً بالصليب والمسيحية، ونحن لا نرضى أبداً أن تطلق تسمية الصليب المقدس على ما من شأنه أن يكون شراً وأذى وضيقة واعتداء على الآخرين، ومهما كانت الدوافع والأسباب لذلك، فالمسيحية هي محبة وبذل وعطاء وتآخٍ وتفاهم، ولم تكن يوماً أبداً تسلطاً أو كراهية أو أنانية أو حقداً، ومن يستغل اسم السيد المسيح أو الصليب في أمور عدائية تجاه شعوب العالم فهو ليس مسيحيا، بل تسيره قوى هي حتماً معادية للمسيحية والصليب، تريد أن تشوه هذه المعاني السامية من جهة وتفسح المجال للمستضعفين المظلومين والمتطرفين وضعيفي الإدراك بين الشعوب كي يصبّوا نار غيظهم وجامات غضبهم على الصليب والمسيح والمسيحيين بدلاً من أن يعوا وينتبهوا إلى عدوهم الحقيقي و يتكاتفوا ضده.

ونشكر الله أن بلدنا يعي جيداً ما يجري وقد فوّت الفرصة على الأعداء ودسائسهم المغرضة، لنعيش شعباً واحداً متكاتفاً بقومياته وأديانه المتآخية.

الشباب والربّ

التهذيب الديني وإظهار الرب يسوع في البيت والمجتمع يجب أن يكون في مقدمة اهتمامات المؤمن المسيحي، وأن يسمو فوق الإنتعاش الثقافي الذي يشمل العائلة في مجالات العلوم المختلفة؛ وما يرفع شأن المجتمع المسيحي هو أن يكون المؤمن المثقف بمستوى المسؤولية التي يجب أن يتحملها كمسيحي ليس فقط بالأسم، بل أيماناً وعملاً.

ومع كل بداية عام دراسي جديد، على الطالب المسيحي أن يظهر في المدرسة والمعهد والكلية بالمظهر المسيحي اللائق والذي يعبّر من خلاله عن هويته الأصيلة وعن وعيه الكامل في العمل على تمجيد اسم الرب يسوع في المجتمع من خلال تصرفاته (هكذا فليضيء نوركم أمام الناس، ليروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات، مت٥: ١٦)، وبذلك يبقى محافظاً على أخلاقياته المتميزة، وأميناً لمبادئه السامية، وسائراً وفق تقاليد الآباء الكريمة، فلا تهزه عواصف المغريات العاتية، ولا تجرفه متاهات هذا العالم.

ومن جانب آخر يلاحظ ابتعاد بعض الطلاب من الشباب والشابات عن الكنيسة وأنشطتها المختلفة وبتشجيع من الوالدين بحجة أن الوقت لا يسمح وأن الطالب مشغولٌ بالدراسة، خاصة من يكون منهم في مرحلة دراسية مصيرية، أو في كلية مميزة بصعوبة دراستها، وهذا التوجيه الخاطئ قد يشوه مفهوم الغاية من الحياة المسيحية لدى الطالب، إذ يُشعر الطالب خطأً أن الدراسة العلمية التي هو منكب عليها أهم من التهذيب والتثقيف الديني والخدمة الروحية التي هي حياته مع المسيح، وعندها ومهما بلغ هذا الشاب أو الشابة من تقدم في حياته الثقافية والإجتماعية، يبقى متخلفاً في التهذيب والتثقيف الديني الأهم، وبذلك يبقى مبتعداً عن الكنيسة، وقد ينظر إليها على أنها شيء ثانوي في حياته، وهذه هي المأساة بعينها.

وما يجب أن نتذكرهُ هو أن غالبية المتميزين في المجتمع هم الذين ساهمت الكنيسة في وصولهم إلى ما هم عليه، وأن التهذيب المسيحي هو أهم جداً من التقدم في الثقافة الدنيوية، مع أن هذا الأخير مطلوب أيضاً كي يشق المؤمن طريقه في الحياة بنجاح، ولكن دائماً على أساس المبادئ المسيحية، وبالإعتماد على عون الله ونعمه.

شهداء الكنيسة اليوم

حين يقطع غصن أخضر من شجرة الحياة الباسقة ويسحق بحقدٍ، لا لسبب إلاّ لأنه مثمرٌ معطاء، وحين تقطف وردة فواحة من حديقة العطاء لتداس بأقدام الوحوش، لا لسبب إلاّ لأنها تعطي رحيقاً مميزاً وعطراً فواحاً في الأرجاء، وحين تطفأ شمعة منيرة كانت تضيء الطريق، لا لسبب إلاّ لأنها تخدم السالكين الدرب بأمانة ونقاء، وحين يغتال مؤمن بريء، يكد ويتعب في خدمة بيته وأبناء جلدته في المجتمع، لا لسببٍ إلاّ لأنه يسلك في مخافة رب السماء، ووفق المباديء الأخلاقية السمحاء، وحين تخطف حمامة وديعة من عشّها تاركة فراخها أيتاماً، لا لسبب إلاّ لأنها تعيش حياة الوداعة والنقاء، وحين يسقط عندليب مغرد من على غصن الشجرة بإطلاقات الحقد والغدر، لا لسبب إلاّ لأن تغريده ينعش السامعين ويلطف الأجواء؛ حين يحدث كل هذا في عالم اليوم، نقف مذهولين متأسفين لهول الأحداث، ونتأمل إلى أي حد وصل الإستهتار بالقيم والأخلاقيات في مجتمع اليوم، وإلى أي مدى وصل تجاهل الله الخالق في هذا الجيل القاسي القلب.

نتأمل مذهولين ماذا حل بمجتمعنا المنكوب ووطننا المجروح، وأية معاول هدامة أخذت تعمل دون رحمة في صرح هذا البلد الشامخ محاولة إسقاطه وتدمير ركائز مقومات شموخه وعراقته وبقائِه، وتعطيل مسيرته بين أمم الأرض التي يريد أبناءه أن يكملوها بالخير والمحبة والتآخي والسلام .

ومنذ فجر الخليقة وأجناد الشر في العالم تزرع الحقد والإجرام في عقول ضعاف النفوس من البشر، ابتداءً بقايين الذي فجر رأس أخيه البريء هابيل واسقطه صريعاً بدمه، ومروراً بأيوب الصابر الذي تحمل أقسى ما يمكن أن يتحمله بشر من معاناة ومذلة ليصرخ قائلاً: روحي تلفت، أيامي انطفأت، إنما القبور لي (أي١٧: ١)، وصولاً إلى ملء الزمان، والبشرية تائهة يأكل بعضها بعضاً بشكل يفوق تصرفات الوحوش في شريعة الغاب، تعيش الآلام والأوجاع التي تصل ذروتها متجسدة بالناصري البار معلقاً على صليب العار خارج أسوار أورشليم قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، وهو يصرخ عن البشرية كلها : إلهي إلهي لماذا تركتني (مر١٥: ٣٤).

وهكذا نصل أيها الإخوة إلى يومنا هذا الذي فيه كرة الأرض تغلي حقداً وحسداً وكراهية واضطهاداً وغدراً ، في عالم ظالم قاسٍ، لا يعرف إلاّ أن يتجاهل الله ويحقد على كل مؤمن وديع، ويشوه التعاليم السماوية إلى الحد الذي فيه يعتقد كل من يقتل بريئاً محباً، أنه يقدم خدمة لله (يو١٦: ٢)، فالإجرام أضحى لا يطيق مفهوم المحبة والوداعة والسلام التي يمارسها خائفو الله.

وهكذا تسقط كل يوم أوراقٌ خضراء، وتقطع كل يوم أغصان يانعة معطاء من كرمة المسيحية الغنّاء، لكن ورغم سقوطها تبقى شموخاً وايماناً في مفرداتٍ تحكي قصة

الإنسان الحق في علاقته بالله والوطن والمجتمع، وحمله صليب المعاناة الثقيل في تأدية الرسالة بأمانة، ومتاجرته بحكمةٍ بالوزنة التي استودعه إياها الله خلال حياته القصيرة المتعبة على الأرض، وسعادته العارمة في بلوغه أسمى درجات الشهادة ليسوع، ألا وهي الشهادة بالدم، والتي بها يصل إلى المكانة العظيمة التي أعطاها الله لمن يستشهد، ويسفك دمه من أجل كلمة الله والشهادة لاسمه القدوس، وكما نقرأ في (رؤ٦: ٩-١١).

فكنيسة اليوم تشترك مع الكنيسة الأولى في فجر المسيحية بتقديم قوافل جديدة ومواكب مقدسة لجموع الشهداء المنتظرين تحت المذبح أمام عرش الرب، وستبقى تقدم حتى نهاية العالم ومجيء الرب الثاني، يوم يدين المسكونة، ومزيداً من المؤمنين سوف يقدمون دماءهم الزكية رخيصة بفرح من أجل اسم يسوع القدوس، وطوباهم لأنهم سينالون كرامة مميزة في يوم الدينونة العظيم، وسينتقم الرب لهم ولدمائهم حيث (لي الإنتقام ، أنا أجازي يقول الرب ، رو١٢: ١٩).

طوبى للشهداء من أجل الكلمة، فقد بُذرت دماؤهم الزكية لمزيد من نمو الأيمان في حقل الرب، حيث دماء الشهداء بذار الأيمان؛ والطوبى لكل بريء سفك دمه على أرض الوطن، حيث روت دماؤهم تراب العراق الحبيب، وأثبتوا لكل شريفٍ في هذا البلد أنهم مواطنون مخلصون وإخوة مع أبناء هذا البلد العزيز بمختلف انتماءاتهم الدينية والقومية والإجتماعية والسياسية، حيث اختلطت الدماء الزكية معاً، وكل قطرة منها إنما هي صرخة مدوية بوجه أعداء هذا الوطن الجريح : أن عراقنا الحبيب سوف يبقى صامداً متماسكاً موحداً لينتصر على أعدائه بعون الله وبدماء الشهداء الشرفاء.

طوبى للشهداء الذين جددوا الصرخة المدوية التي أطلقها الخالد الذكر والمفكر اللامع المطران بولس بهنام في الحشود المجتمعة في جامع النبي شيت في الموصل سنة ١٩٥٩م، يوم كانت أمواج الشر تعصف بهذه المدينة المسالمة، صرخ بغيرة وقادة قائلاً : الهلال والصليب يتعانقان، صرخة أعادت المياه إلى مجاريها الصحيحة، وحقنت دماء الأبرياء؛ والدماء البريئة الزكية اليوم تكمل تلك الصرخة الخالدة : حقاً، الصليب والهلال يتعانقان، وفي سماء كرامة العراق ومجده يتألقان، وبعونه تعالى وتكاتف الغيارى، على كل أجناد الشر وأعداء الوطن ينتصران ويغلبان.

إن اختلاط الدماء البريئة المسفوكة والتي تروي تراب هذا البلد الجريح العزيز، إنما تؤكد ضرورة تلاحم أبناء البلد الواحد بمختلف أطيافه ونحله الدينية والقومية والسياسية والإجتماعية، لكي يفوتوا الفرصة على كل من يريد النيل من وطننا ومجتمعنا، ليبقى هذا الوطن حراً ومسالماً وآمناً ومرفوع الرأس، بعون خالق الأجناس ، آمين.

صداقة الله

ليس سهلاً على إنسان اليوم أن يعيش حياة صداقة حقة مع الله، فحياتنا التي نعتبرها حياة مسيحية، وحين نتأملها جيداً، نجدها تعتمد لدى عدد غير قليل من المسيحيين ركائز واهية كصلوات محفوظة غيباً نرددها دون وعي، إذ أنها لا تصدر من الأعماق ولا تنبع من قلب منسحقٍ يريد حقاً أن يتحدث إلى الله حديث الصديق للصديق، حديثاً يعطي ثماراً روحية نشعر معها أننا قريبون إلى الله (إرميا٢٩: ١٤)؛ وحتى حينما نحضر القداس الإلهي أو الإجتماعات الروحية، فأننا في كثير من الأحيان نقوم بذلك كعادة جارية، وتنشغل أفكارنا خلالها بكل شيء ما عدا الله.

أما في البيت فقد لا نجد ما يثبت وجود الله إلاّ من خلال صورة معلقة على الحائط أو صليب موضوع على منضدة كأحد مستلزمات غرفة الإستقبال ليس إلاّ، ونتناسى ومع الأسف، أن الله قريب جداً منّا إذا ما اقتربنا نحن منه (يع٤: ٨)، بل ننسى أنه واقف على الباب، باب قلوبنا المفتوح لكل شيء ما عدا الله، إنه واقف يقرع وليس من مجيب، وعدم إجابتنا لندائه تعني أننا نرفض فيض محبته ونعمه ومواهبه الجمّة التي يريد أن يسبغها علينا كي نتنعم بها (رؤ٣: ٢٠)، فهو يريد أن يجعل مسكنه في وسطنا (لا٢٦: ١١)، لأنه يحبنا محبة باذلة (يو٣: ١٦)، بل محبة أبدية (إر٣١: ٣)، ويريدنا أن نشعر أننا أبناؤه كما علّمنا الرب يسوع أن ندعوه أبانا حين نصلي (مت٦: ٩)، إنه يريد أن يكون صديقاً دائماً لنا، يريدنا أن نفتح له أبواب دواخلنا لكي يملأها بكلامه الحي، ويغذيها بالغذاء الحي، خبز الحياة النازل من السموات، أما يده المقدسة فهي ممدودة نحونا دائما تنتظر يدنا نحن.

الصليب محبة

كانت خشبة الصليب أداةً للموت الرهيب في القديم ولعنة بحسب الشريعة الموسوية (تث٢١: ٢٣)، وفي ملء الزمان تجسد الفادي يسوع وحمل تلك الخشبة، ثم ارتفع عليها ليفتدي البشرية ويموت على الصليب من أجل الإنسان وإنقاذه من سقطة الخطية، فحوّل خشبة العار إلى أداة فداء بل صليب مجد وفخر وانتصار، تحولت خشبة اللعنة تلك إلى شجرة حياةٍ تعطي ثمرها باستمرار وأوراقها لشفاء الأمم، ولا تكون لعنة في ما بعد (رؤ ٢٢: ٢و٣).

وهكذا فالحكمة الحقيقية لإيماننا المسيحي، بل الركن الأساس لمسيحيتنا هو موت السيد المسيح لأجلنا على الصليب، وإهراق دمه الأقدس الذي تضرجت به تلك الخشبة كي يفتدينا ويصالحنا مع الله (كو ١: ٢٠)، فيرتفع الصليب راية وشعاراً مقدساً للمسيحية، ولا يفتخر المؤمنون إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح (غل ٦: ١٤)، ولا يريد المؤمن أن يعرف يسوع المسيح إلاّ وإياه مصلوباً (١كو ٢: ٢)، ومن خلال الصليب يضع المؤمن نصب عينيه صورة السيد المسيح المصلوب، ويتبرّر المسيحي بإيمانه بابن الله المصلوب، ويموت معه ليحيا معه (غل ٢: ١٩)، ويعيش الحياة حاملا صليبه ومستمدا منه قوة في تحمل الضيقات واجتياز التجارب الصعبة والغلبة على مغريات هذا العالم، فيكون بذلك مشتركا في صليب المسيح.

هكذا نفهم الصليب، إنه محبة باذلة، بل أسمى معاني المحبة التي عرفها الكون (يو ٣: ١٦) وهو تواضع وطاعة وانسحاق (في٢: ٨) تتفجر عنها أبعد حدود القوة التي عرفتها العلاقة مع الله (١كو ١: ١٨)، فالصليب هو قوة الله التي تصل بالمؤمن إلى الصبر والتحمل فتقوده إلى الغلبة والانتصار، وهو إعلان للحق أيضاً كما قال صاحب المزامير (أعطيت خائفيك راية ترفع لأجل الحق لكي ينجو أحباؤك ، مز ٦٠: ٤)؛ وحمل الصليب يعني التمسك بالحق وإعلانه والعمل بمعطياته خلال حياة المؤمن على الأرض، ولكن ومع الاسف، وعلى مر العصور المسيحية هناك من حاول أن يستغل اسم الصليب المقدس وبساطة المؤمنين لتنفيذ مآرب خاصة بعيدة تماماً عن معاني الصليب السامية، والغاية من ذلك تشويه اسم الصليب ومكانة الصليب وعظمته في المسيحية، وهذا ما حدث مثلاً عندما وسمت الحروب الفرنجية (من القرن الحادي عشر وحتى الثالث عشر الميلادي) بإسم " الحروب الصليبية " واستغل فيها اسم الصليب بصورة بشعة جداً لتنفيذ نوايا صانعي القرار وأهدافهم غير المعلنة والتي نتجت عنها ويلات وضيقات وكراهية وحقد عانى منها مسيحيّو الشرق كما عانى غير المسيحيين تماماً، وأصدق مثال على ذلك ما جرى خلال الحرب الفرنجية الرابعة وكيف أن أساطيل الغرب اتجهت نحو القسطنطينية سنة ١٢٣٤ م، وعاثت فساداً وقتلاً ونهباً وسلباً

وتدميراً، حتى أن المؤرخين يعتبرون تلك الحملة أسوأ وأعنف ما عرف التاريخ الإنساني من دمار وشناعة، فكيف يكون الصليب أيها الاخوة شعاراً للدمار والقتل والنهب وهو في قلب المؤمن المسيحي رمزاً وشعاراً للمحبة الباذلة والتفاني في سبيل الآخرين، ورمزاً للسلام والتواضع والطاعة والوداعة ؟، وكيف يكون من يقوم بذلك مسيحياً ؟.

وما أشبه اليوم بالبارحة، فها هي طبول الحرب تقرع في العالم ، وكما كانت في العصور المظلمة تماماً حيث القوي يحاول أن يأكل الضعيف وينهب خيراته ويدمر حضارته وتراثه، حيث دول عظمى تستعرض عضلاتها وقوتها اليوم لترهب الآخرين، وتتناسى بذلك ما وصلت إليه من حضارة وتطور وتقنية، بل تستخدم ذلك في محاولة تدمير الحضارات الأخرى وإخضاع العالم بأسره لمآربها وأهدافها وغاياتها، ومع الأسف، نعم أقول مع الأسف، فهي تستغل اسم الصليب المقدس اليوم أيضاً في حملاتها (الفرنجية الجديدة) هذه، علماً أنها بعيدة كل البعد عن معنى الصليب ، وعن مبادئ المسيحية السامية وتعاليم السيد المسيح الإلهية.

إننا كمؤمنين مسيحيين ننتمي إلى حضارات شرقية عظيمة وعريقة، ونرفض تماماً ونستنكر أن يستغل اسم الصليب في تنفيذ مآرب دنيوية ظالمة لا علاقة لها أبداً بالصليب والمسيحية، ونحن لا نرضى أبداً أن تطلق تسمية الصليب المقدس على ما من شأنه أن يكون شراً وأذى وضيقة واعتداء على الآخرين، ومهما كانت الدوافع والأسباب لذلك، فالمسيحية هي محبة وبذل وعطاء وتآخي وتفاهم، ولم تكن يوماً أبداً تسلطاً أو كراهية أو أنانية أو حقداً، ومن يستغل اسم السيد المسيح أو الصليب في أمور عدائية تجاه شعوب العالم فهو ليس مسيحيا، بل تسيره قوى هي حتماً معادية للمسيحية والصليب، تريد أن تشوه هذه المعاني السامية من جهة وتفسح المجال للمستضعفين المظلومين والمتطرفين وضعيفي الإدراك بين الشعوب كي يصبّوا نار غيظهم وجامات غضبهم على الصليب والمسيح والمسيحيين بدلاً من أن يعوا وينتبهوا إلى عدوهم الحقيقي و يتكاتفوا ضده.

ونشكر الله أن بلدنا يعي جيداً ما يجري وقد فوّت الفرصة على الأعداء ودسائسهم المغرضة، لنعيش شعباً واحداً متكاتفاً بقومياته وأديانه المتآخية.

الصمود والسهر

في الإصحاح الثالث عشر من بشارة مرقس، يتحدث الرب يسوع معنا أيها الأحباء موجهاً تحذيراً واضحاً أن نكون منتبهين وأن نسهر لنبقى أقوياء كي لا يضلّنا أحد (مر١٣: ٥)، وعندها نصل ميناء الأمان ونستحق الدخول للعرس السماوي وننتظم مع صفوف القديسين المسبحين لأسمه الأقدس؛ وفي هذا الحديث المقدس يقول لنا الرب يسوع له المجد باختصار : (صلوا، وانتبهوا، واسهروا)، لأن أنبياء ومعلمين ومسحاء كذبة كثيرين سوف يظهرون في العالم، ويدعون ادعاءات باطلة، ويقنعون الآخرين بكلمات معسولة وفلسفات منمقة تشوه ما تعلمناه من الآباء ومن خلال الكتاب المقدس، ليناسب مشتهيات ومآرب هؤلاء الكذبة، أبناء هذا العالم.

ويؤكد الرب له المجد على وجوب صمودنا بالأيمان حتى النهاية، ما يستلزم المثابرة والجهد الحثيث والتحمل والصبر، لأن أيماننا سوف يتعرض للتحدي والمقاومة الشرسة، فالمؤمن سوف يتعرض للضيقات والمعاناة والاضطهادات من جانب، وللمغريات والتشويق الخبيث والتملق والتضليل من جانب آخر، وهذه الأمور سوف تغربل المؤمنين، فتفرز الثابتين الراسخين في الأيمان عن المترددين الزائفين الذين يظهرون كمؤمنين في أيام الرخاء، لكنهم متى اشتد وطيس التجارب يتزعزعون ويسقطون إذ أنهم لا يقاومون الضيقات ولا يصمدون في الامتحان والتحديات ويرضخون للمغريات كالمال والجنس والجاه وما شابه.

ومن البديهي أن يركز الأنبياء الكذبة والمعلمون الدجالون على المتمسكين بالأيمان، لأن المترددين يكونون لقمة سهلة لهؤلاء، فلا يحتاجون إلى جهود كبيرة لإسقاطهم، وفي هذا الإطار يقول الرب يسوع أن المخادعين سوف يقدمون حججاً وبراهين من القوة لدرجة يصعب معها الثبات وعدم الإرتداد عن المسيح إلاّ لمن هو مستعد جيداً لمقاومة هذه الحجج وتشخيص زيفها، وهذا يتطلب وعياً أيمانياً وثقافة كتابية، وأمانة راسخة ويقيناً ثابتاً بالمعطيات الإلهية والمعتقدات المسيحية الأرثوذكسية التي وصلت إلينا من الرب يسوع ورسله الأطهار والآباء الأولين ورعاة الكنيسة منذ فجر المسيحية وحتى هذا اليوم، وخلال هذه المسيرة الطويلة والشاقة قدمت الكنيسة دماءً طاهرة زكية عربون التمسك بوديعة الإيمان طاهرة نقية ونقلها للأجيال اللاحقة.

تيقن عزيزي المؤمن وتأمل بحكمة أن الثبات حتى النهاية والإنتباه من السقوط والسهر على وديعة الأيمان القويم في انتظار مجيء الرب برجاء صادق وعمل إيمانيّ مخلص دؤوب إنما يضمن لك الخلاص، فالرب يسوع له المجد قال : السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول (مر١٣: ٣١).

في هذا المضمار عمل مركز التربية الدينية لأبرشية الموصل للسريان الأرثوذكس وفي سياق التوعية الدينية للمؤمنين، على أن يكون محور الموسم الثقافي لسنة ٢٠٠٣م

(الذي أقيم للفترة من ٣٠ / ١١ / ٢٠٠٣ وحتى ٥ / ١٢ / ٢٠٠٣) هو التحديات التي تواجه الكنيسة المقدسة اليوم، وبالذات موضوع الأفكار والفلسفات الغريبة التي أخذت تظهر على الساحة وفيها الكثير من التضليل للمؤمن البسيط الذي قد يقع فريسة سهلة للمخادعين الذين يلبسون ثوب البراءة والحنان والعطف والإحسان باسماء ومسميات منمقة، لكنهم في الحقيقة ليسوا إلاّ ذئاباً خاطفة.

صُن مكانتك أيها المؤمن

على المؤمن المسيحي أن يعرف قيمة نفسه ومكانته ، ويعي جيدا الدور الذي رسمه له التدبير الإلهي كعضو نشيط ونافع في جسد المسيح المقدس، أي الكنيسة ، والمسيح يسوع له المجد أرادنا شهوداً له في المجتمع (أع١: ٨)، شهودا للتعليم المسيحي الصحيح، وملحا للعالم يعطي نكهة طيبة، ونورا يوصل نور يسوع للآخرين؛ ولكي يكون المؤمن المسيحي هكذا، عليه أن يعيش الإيمان ويتثقف دينيا ليحصن نفسه في الحروب الروحية الشرسة مع قوى الشر في العالم، (اعكف على القراءة والوعظ والتعليم، لا تهمل الموهبة التي فيك ، ١تيمو٤: ١٣)، لأن سهام الشرير كثيرة ومتنوعة وعلى المؤمن أن يلبس سلاح الله الكامل كي يغلبها.

وكيف تغلب أيها المؤمن إن كنت لا تعرف الإيمان الحق والعقائد الصحيحة ؟ فأنت مدعو إلى العِشرة الدائمة مع الرب لتكتسب المعلومات الدينية الصحيحة وتمتلك الخبرات الإيمانية التي تغذيك لتسمو بالروح وتقاوم مغريات الجسد (لاحظ نفسك والتعليم، وداوم على ذلك، ١تيمو٤: ١٦).

ولكي تحصن ذاتك أيها المؤمن، عليك أن تسلك الطريق السليم في هذه الحياة، وتستغل المنزلة المعدة لك في أداء المهمات المطلوبة منك وبحسب المواهب المعطاة لك من الرب والقدرات التي تمتلكها في شخصيتك، (لكي يكون إنسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح، ٢تيمو٣: ١٧)، وهذا يشمل نقاطاً رئيسية مهمة وهي :

١- حضور القداس الإلهي أسبوعيا ، والإشتراك في الصلوات مع بقية المؤمنين ، وسماع قراءات الإنجيل المقدس والمواعظ الروحية التي تقدم للمؤمنين غذاءً روحياً مستمداً من كتاب الله العزيز.

٢- حضور الندوات الدينية المختلفة واللقاءات الروحية الدورية والمهرجانات الموسمية التي تحرص الكنيسة على إقامتها وتبذل جهوداً كبيرة جداً في سبيل جعلها مناسبة لكل الأعمار والمستويات الثقافية ، وغايتها نشر الوعي ورفع المستوى الثقافي الديني بين المؤمنين.

٣- الإشتراك في أنشطة الكنيسة الإجتماعية الدينية والترفيهية كالسفرات والحفلات في المناسبات المختلفة والمهرجانات التي تقيمها الكنيسة، وغايتها أن يشعر المؤمن بانتمائه إلى العائلة المسيحية الكبيرة كونه عضواً فيها مع أعضاءَ آخرين هم إخوة يحبونه ويحبهم، يلتقون معا ، ويقضون أوقاتاً سعيدة مباركة ، حيث الآباء الكهنة يحضرون هذه المناسبات ويسهرون جنبا الى جنب مع الإخوة العاملين في مركز التربية الدينية على سلامة سير البرامج والفعاليات التي تقدم، ونجاح أهدافها بما

يضمن الفرح والبهجة والسعادة في النفوس والشعور بالطمأنينة في الانتماء إلى جسد الرب يسوع، أي الكنيسة، فالفرد المؤمن يقضي ساعات سعيدة ، ويتعرف على إخوة وأخوات له في الرب، ويشعر انه في حضيرة الكنيسة، وفي رعاية آبائها أينما كان ضمن هذه الفعاليات.

إن حضور هذه الأنشطة الروحية والثقافية والاجتماعية والترفيهية لهو أمر واجب ومقدس وضروري جداً للمؤمن الذي يعيش اليوم في دوامة العمل المجهد لتحصيل لقمة العيش، كي يشق الطريق بسلام في خضم بحر الحياة المتلاطم الأمواج ، فمشاغل الحياة لا تنتهي ، ومغرياتها كثيرة وعلى المؤمن ألاّ يسمح لنفسه أن يُغلب في هذه المشاغل والمشاكل والمغريات فيشعر أنه يغرق ولا يستطيع الإفلات من التيارات العاتية تلك ، فالتصاق المؤمن بالكنيسة هو ضمان لديمومة هويته المسيحية إيمانا وعملا، وطريق أكيد للسمو والنجاح في المجتمع، والسير إلى ميناء السلام ، حيث يعيش الملكوت في حضرة الرب.

الصوم سلاح النصر

يُسرّ الله بصوم المؤمن وتُبهجه صلاة المحبة والأيمان ويرضى بتوبة الخطاة الصادقة والمشفوعة بالدموع والتنهدات، والرب يسوع له المجد بصومه نَهَجَ سبيل الصيام تطهيراً لأدران أنفسنا واستنارة لضمائرنا، وعلّمنا كيف نقهر إبليس وكل قوى الشر في العالم بصمودنا، وكيف نشجب كل أعمال الشرّ بإيماننا.

وبالصيام تبرّر الأولون، وبه يتزكى البشر ومن الهلاك ينجون، وترتفع العقول إلى الملأ الأعلى حيث الراحة والكمالَ يبغون، وتعقد أكاليل الظفر للمتمسكين برب الكون، ويعتق المقيّدون بسبب الخطايا وهياكل مقدسة لله يصبحون.

وبالصيام نتقلد سلاحاً لا يقهر، ونلبس ثوباً لا يبلى، وتتجدّد حياتنا ونفوز بنعم الله الوافرة، ونحظى بمراحم خالقنا، وتستنير أنفسنا بنور الله الأقدس والفادي يسوع مخلصنا.

وحين نصوم، تضمحل من أمام بصيرتنا سحابة ذنوبنا المظلمة والتي تكتنف دائماً دواخلنا، فتتنقى ضمائرنا وتصفو أفكارنا وتلمع في قلوبنا أشعة السماء الأزلية، ونكون عندها على استعدادٍ لتقديم ذواتنا قرباناً مقبولاً لله، إذ نسوّر نفوسنا بسور حصين لا يُقهر ولا يُختَرَق.

ولهذا فالكنيسة المقدسة تكرّم الصيام ويزهو مؤمنوها به كوسيلة غلبة وانتصار، تصوم الكنيسة صيام طهرٍ ونقاء، وتصليّ سالكة طريق البر والقداسة، طالبة من الباري تعالى الأمن والسلام لجميع أبنائها، والنعم والخيرات لكل أعضائها، والرحمة والنياح للراقدين الذين رحلوا عنها.

أيها المؤمن :

أحرص أن يكون صيامك قلباً ولساناً، وأن تتزين بالأعمال الصالحة التي تصون ذاتك من مكائد إبليس، ولتكن عينك دائماً شاخصة نحو السماء، وأذنك سامعة كلمات الله المقدسة، وقلبك متعلق بالمخلص يسوع، كي يكون صيامك مرضياً لديه، وتستحق أن تظهر أمامه بلا لومٍ وتلاقيه بوجه ناصع؛ وتذكر عزيزي المؤمن أن الصوم كان سبباً ليرفع الله غضبه عن نينوى ويرتضي بدموع شعبها ويقبل توبتهم فيخلصون من قضاء الله المحتوم، والصوم كان الواسطة التي كلم بها موسى الله، وبها عضد الله إيليا النبي في جهاده الروحي، وبها لجمت أفواه الأسود عن دانيال ونجا رفاق دانيال من أتون النار والصوم أيضاً كان سبباً للخلاص من الضيقات والتجارب، فتمسك بالصوم أيها المؤمن لتحيا حياة قداسة ورضى، وطوبى لمن ينال ذلك.

الطب في المسيحية

أظهرت المسيحية صفات الإنسانية والرحمة وبذل الذات في سبيل الآخرين بأوج عظمتها ومدلولاتها الأيمانية مرتبطة بالطب، حيث أصبح الطبّ عملاً أيمانياً وعلماً مقدساً غايته توفير الحياة السعيدة لبني البشر، وهذا يشوع بن سيراخ ينصح باحترام الطبيب ويذكّر بفوائده، مشدداً على أن الله خلقه ومن العليّ معرفته، كما أن الرب خلق الأدوية، وعرّف البشر بها، كي يمجّدونه بعجائبها (سي٣٨: ١ – ٤)، كما يوصي بعدم التهاون في حالة المرض، بل ينصح بالصلاة أيضاً إلى الله كي ينال المريض الشفاء (سي٣٨: ٩).

والرب يسوع، الطبيب الأعظم الذي عرفه الكون، أعطانا أمثلة معبرة جداً عن إنسانية الطب وارتباطه بالإيمان، فقد قال للأعمى ابن طيما : ايمانك قد شفاك (لو١٨: ٤٢)، وللمرأة النازفة : ثقي يا ابنة، إيمانك قد شفاكِ (مت٩: ٢٢)، إضافة إلى مثل السامري الصالح الذي كان خير معبّرٍ عن إنسانية المؤمن والرحمة التي يبديها تجاه المريض والجريح والمحتاج للمساعدة.

ويذكر التاريخ الكثير من الأطباء السريان، الذين أبدعوا في عملهم الطبيّ ومؤلفاتهم العلمية، وكانوا أركاناً مميّزة للحضارات الإنسانية ورعاةً للمدنيّات ساهرين مجتهدين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر نذكر: يوسف الطبيب بطريرك القدس، وابن العبري مفريان المشرق، وعبد يشوع بن بهريز مطران الموصل، ولوقا بن قسطا ويحي بن عدي، وحنين بن اسحق، وعائلة بختيشوع الطبية .. وغيرهم الكثير.

ومن يقرأ تاريخ الطب في العراق الحديث، يشعر بالزهو والفخر لما قدّمه الأطباء المسيحيون والكوادر الطبية الأخرى من خدماتٍ جليلة للوطن العزيز في مجال الطب، حيث مع قيام دولة العراق بعد الحرب العالمية الأولى، تبرز مجموعة مباركة من الأطباء المسيحيين الروّاد، تساهم بشكل فاعلٍ ورئيسي في بناء النهضة الطبية العراقية، وبينهم المرحوم د. حنا خياط ، أول وزيرٍ للصحة في دولة العراق عام ١٩٢١م، والمرحوم د. عبدالله قصير، أول اختصاصي بطب الأطفال عام ١٩٣٤م، وأول مدير لمستشفى حماية الأطفال في بغداد، والمرحوم د. جورج حيقاري، من مؤسسي كلية الطب العراقية، ومؤسس أول مستشفى للولادة في بغداد؛ والقائمة طويلة جداً والحمد لله، وتشمل شخصيات طبية مرموقة من آل سرسم وعبد النور وحاوا وفرنكول وقسطو وتبوني وزبوني وثابت والريحاني وغيرهم الكثير ولا مجال لذكرها هنا.

واليوم وبعون الرب وحسن رعايته، فمستشفياتنا ومؤسساتنا الصحية في أنحاء الوطن العزيز تتزيّن بباقات من الورود والرياحين المسيحية العطرة، من أطباء وصيادلة وكيمياويين وممرضات وكوادر طبية وسطية أخرى، وبمختلف الاختصاصات

والدرجات العلمية، يعملون جنباً إلى جنب مع إخوانهم أبناء هذا الوطن الواحد؛ والدرع الواقي لهذه الكوادر الطبية، وسرّ قوّتها ونجاحها الباهر في حقل الخدمة، وسندها في حياتها الطبية، ما هو إلاّ المبادئ المسيحية السامية التي تتحلى بها، وتمسكها بفضائل الأمانة والإخلاص والمحبة في العمل، وغايتها الأسمى هي أن يتمجّد اسم الرب في المجتمع (مت٥: ١٦).

طلبات الأيمان

في جلسة عائلية، دار الحديث عن الخطوبة ومتطلباتها وما تبغيه الفتاة المؤمنة حين يتقدم شاب مؤمن طالبا يدها، فسألت إحدى الأمهات المباركات : وأنت ماذا طلبت يوم خطبت ؟، وكم كان الجواب رائعا، ما جعلني أزداد رسوخا بما كنت أؤمن به، وهو أن الروح القدس يعمل فعلا في المؤمنين، ويد الله هي مع الكنيسة وتعمل في الكنيسة، وإن خدمة المسؤولين والرعاة في حقل الرب لا بد أن تؤتي ثمارا حلوة طيبة، فقد أجابت هذه المؤمنة بكل هدوء قائلة : يا أبينا يوسف كل ما طلبته حينها هو أن يسمح لي زوجي بالاستمرار في العمل في حقل الرب، لأني أحب الكنيسة ولا أستطيع الإنقطاع عن حضور القداس والاحتفالات والمناسبات الدينية واللقاءات والندوات والأنشطة الاجتماعية الأخرى، والتي تجعلني اشعر أني فعلا عضوٌ في جسد الكنيسة، جسد الرب يسوع المسيح الطاهر.

وهكذا كان أيها الأحباء، فقد بقيت هذه المؤمنة تعمل بكل همة ونشاط في حقل الرب بعد زواجها، وتكمل متطلبات بيتها وزوجها وأولادها على أتم وجه كما تهتم أيضا بحضور القداس الإلهي دون انقطاع، وتشترك بأنشطة الكنيسة المختلفة بكل شوق ومحبة، بل أصبح زوجها أيضا يبدي نشاطا مميزا في الخدمة، وغيرة فريدة في الإشتراك بأنشطة الكنيسة المختلفة، ويتعاون الإثنان معا على تربية أولادهما تربية مسيحية حقة، وتوجيههم نحو الكنيسة ومحبتها.

وإذ نشكر الرب حين نلتقي هكذا نماذج حية ومباركة بين عوائلنا المؤمنة، نتذكر ما جرى لسليمان الحكيم يوم اختاره الرب ليكون ملكا على شعبه، فقد تجلى الله لسليمان في الحلم ليلا وقال له : اطلب ما تريد ! ، أجاب سليمان قائلا : امنحني يا رب عقلا مدركا لأحكم شعبك وأميز الخير من الشر، فحسن ذلك في عيني الرب، لأن سليمان طلب الحكمة ولم يطلب طلبات دنيوية مادية زائلة، فأعطاه الله عقلا حكيما راجحا لم يكن مثله لأحد قبل سليمان ولا بعده، وقال الرب له : أعطيك ايضا ما لم تطلبه: الغنى والمجد، فلا يكون لك مثيل في الملوك كل أيامك، وأطيل عمرك إذا سلكت في طريقي .. (راجع سفر الملوك الاول ، الاصحاح الثالث).

وهذا ما جرى أيها الأحباء لهذه العائلة المباركة أيضا، حيث أعطى الله تلك الزوجة ما طلبت من زوجها وهو التمسك بالكنيسة، ولأنها طلبت هذا المطلب الروحي ولم تطلب أموراً دنيوية تطلبها عادة الفتيات عند الخطوبة، فقد أعطاها الله أيضا زوجا مباركا يسير مع الرب ويرعاها بتفان وإخلاص، كما أعطاها أيضاً غنى وحياة سعيدة وطيبة قلب مميزة.

هكذا يعمل الله مع كل من يتجاوب ليعيش حياة النعمة التي هيأها الله لخائفيه .

قرض الله

أن تقرض إنساناً مالاً أو حاجات، فهذا أمر طبيعي يتعلق بما تملك وأخلاقياتك ورغبتك في مساعدة الآخرين ومؤازرتهم في ضيقاتهم، ويكون في الجانب الآخر عادة من هو محتاجٌ ويتقدم منك طالباً المساعدة.

ولكن ما رأيك عزيزي المؤمن أنك تستطيع أن تقرض الله ودون أن يطلب منك ذلك! بل بحسب رغبتك أنت وفي أي وقتٍ تشاء ودون تدخل الطرف الآخر!

قد يبدو الأمر غريباً، وفعلاً هو غريبٌ على مستوى التفكير الإنساني، فالله سبحانه وتعالى هو ليس بحاجة إلى أن يستقرض مالاً أو حاجات من أحد من المخلوقات الذين أبدعهم له المجد، لكن الإستغراب يزول حين نقرأ أمثال سليمان الحكيم القائل : (من يرحم الفقير يقرضُ الربّ، ويكافئه الربّ على حسن صنيعه، أم١٩: ١٧)، فأعمال الخير إذن تؤمن لك عزيزي المؤمن فرصة ذهبية لإمتلاك كنزٍ لا يفنى تقرضه أنت للربّ، إذ بمجرّد أن تتصدق بدوافع للعطاء طاهرة لا غشّ فيها، ولمجد الله، لا لأمجاد وجاه دنيوي يخصك، يتجاوب الله معك تلقائياً ويكافئك على صنيعك، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علنية (مت٦: ٤)، ومكافأة الرب ليست مادية فانية، بل سماوية أبدية (مت٦: ٢٠).

وحين تستطيع أن تعيش عزيزي المؤمن كما يحق لإنجيل المسيح (في١: ٢٧) بالفضائل المسيحية السامية مترجماً أيمانك إلى روح وحياة تحياها بأعمال حسنة، فأنك تُؤَمِّن لك مكاناً في الملكوت، بل تغتصب ملكوت السموات اغتصابا، كما أعلمنا الرب يسوع له المجد (مت١١: ١٢).

إذن أنت أيها المؤمن تستطيع بإرادتك أن تقرض الرب فتستحق المكافأة، كما تستطيع أن تغتصب الملكوت، فما أعظم ما منحك الرب من نعم، لم تكن تحلم بها، ولم تكن تخطر على بال أحد، ولا يبقى للإنسان حيالها إلا أن يمجّد الرب ويسبحه على محبته ومراحمه الكثيرة لبني البشر.

نقول هذا أيها الإخوة ونحن في بداية السنة الدراسية الجديدة، وعلى أبواب الشتاء القاسية، حيث الكثير من المحتاجين هم بانتظار أن تمتد إليهم يد المساعدة، فكم من تلميذٍ هو بحاجة إلى كسوة لائقة ومستلزماتٍ دراسية ومصاريف نقل وغيرها ما لا يستطيع الإستمرار بالدراسة ومواكبة المسيرة التعليمية بدونها، وكم من عاطل وعاجزٍ عن العمل لا يستطيع أن يؤمن احتياجات أفراد العائلة للإستمرار بالدراسة والتعلم، ومقاومة البرد القارس في أشهر الشتاء المتعبة، وكم من أرملةٍ هي بحاجة إلى ما تسد به رمق أيتامها قبل مغادرتهم إلى المدرسة !!

إنه الوقت المناسب لكل مؤمن غيور كي يقرض الله ما سوف يُدّخر له أضعافاً، كنزاً روحياً في مصرفٍ لا يعرف الإفلاس أبداً، ولا يستطيع السارق أن يصل خزائنه، ولا

السوس أن يفسده، فبادر يا أخي إلى عمل الخير، وعش حياتك مسيحياً حقاً وسعيداً في إسعادك الآخرين، ومساعدتك المحتاجين، وتأمل أيهما الأفضل ؟ أن يدّخر المرء ثروة في السموات، أم أن ينثر الثروة الفانية على الرؤوس في الحفلات، لتضيع في لهوٍ ومتاهات، ويخسر عندها المكافأة الكبرى في ملكوت السموات.

القريب الوطن

الوطن هو محل الإنسان الذي يستقر فيه ويترعرع، ويحنّ إليه ويرتبط به ويدافع عنه ويسعى إلى ازدهاره، ولكل وطن خصوصياته من حيث جغرافيته ومناخه وخيراته وطبيعة سكانه، وتلك الخصائص تلائم من يعيش على تلك البقعة من الأرض، فيحبها ويحترمها ويدافع عنها.

والإنسان يشتاق دائما إلى وطنه الأصلي، فهذا آدم أبو البشرية، دعي آدم لأنه من أديم الأرض جبل (تك٢: ٧)، ويعقوب أبو الأسباط حين اقترب وقت وفاته طلب أن يدفن في أرض آبائه في مغارة المكفيلة، إلى جوار ابراهيم وسارة واسحق ورفقة وليئة (تك٤٩: ٣١)، ويوسف الصديق يستحلف إخوته أن ينقلوا عظامه معهم من مصر إلى أرض كنعان أرض آبائه (تك٥٠: ٢٥)، كل ذلك حنين للوطن واعتراف بمحبته الصادقة والأمانه له والإشتياق إلى ترابه.

ومع أن المؤمن المسيحي يطلب دائماً وطناً أفضل (عب١١: ١٦) أي سماوياً، لأن تواجده على هذه الأرض إنما هو غربة إذ هو نزيل وقتيّ عليها، لكن وطنه الأرضي له المكانه المميزة الواضحة، فهو أعز وأسمى قريب، والله أوصى بمحبة القريب، فعلى المؤمن إذا أن يعي جيداً كيف يتعامل وبكل احترام وتفانٍ مع وطنه وساكنيه، ويعمل دائماً على بناء هذا الوطن الغالي وتقدمه وازدهاره، والعيش بسلام ومحبة في ربوعه وليمجد اسم الرب من خلال كل ذلك (فليرض كل واحد قريبه للخير، لأجل البنيان. رو١٥: ٢)، وهكذا يعيش الوطن بهجة وسلاماً وتقدماً وازدهاراً.

وفي عدة مناسبات يعطي الكتاب المقدس مكانة مميزة للوطن، فنقرأ مثلاً عن السيد المسيح وهو رب السموات والأرض، أنه يذهب إلى وطنه أي إلى مدينة الناصرة حيث نشأ وقضى طفولته (مت١٣: ٥٤ ومر٦: ١)، كما أنه يذكر في تعاليمه وأحاديثه الوطن الأرضي (لو٤: ٢٤ ويو٤: ٤٤) فيعلمنا أن نعطي المكانة اللائقة والكرامة للوطن.

وإذا ما أصيب الوطن بكارثة أو أزمة عنيفة، على المؤمنين أن يبقوا محافظين على مبادئهم الإيمانية وقيمهم الأخلاقية والوطنية ، ويتكاتفوا مع بقية المواطنين أبناء البلد الواحد بمختلف قومياتهم ودياناتهم ومعتقداتهم وميولهم السياسية في إطار الإحترام المتبادل والمحبة الصادقة والتعايش والتعامل الأخوي ليبقى المجتمع متماسكاً يغلب كل مكائد الطامعين ودسائس الحاقدين، وينهض بعزم صادق، فيستعيد الوطن عافيته ومكانته اللائقة بين الأمم.

ووطننا الغالي العراق، يمر بتجربة قاسية وظروف استثنائية وضيقات جمة، عمت معها الفوضى وفقدان الأمن، وشعر معها البعض من المواطنين الغيورين بحالة من الإحباط واليأس، ولكن وفي خضم عاصفة الفوضى الهوجاء وبحر الضيقات المتلاطم

الأمـواج، وإلـى جانـب المآسـي التـي أحاطـت بـالمواطنين، بـرزت الجوانـب الإنـسانية والأيمانية الرائعة التي يتحلى بها غالبية المواطنين في هذا الوطن الغـالي، والتـي عبّرت عـن صـدق المـشاعر ونقـاء المـنهج الإيمـاني الـذي يتمـسك بـه المـؤمن الحـق رغـم كـل الظروف التي يمر بها.

وهكذا يبرز رجال الله السالكون في مخافته، وهكذا يسلك المؤمن المتقي الرب ذكراً كان أم أنثى، شاباً كان أم شيخاً، فـي مجتمعنـا المسيحي حيث يتصرف الغالبيـة العظمـى بحكمة إنجيلية رائعة، تعبر عن معاني الإيمان العامل بالمحبة وتنقل صـورة الله الناصـعة بشخص المؤمنين في المجتمع الذي يعيشون فيه، ليبقى الوطن عزيزاً مصاناً، ومتماسكاً مرفوع الراية.

والوطن أيها الأحباء هو المربية الفاضـلة التـي يـذكرها الكتـاب العزيـز (أم٣١: ٢٨) والتي يطوبها أبناؤها الذين قامت بتربيتهم وترعرعوا فـي أكنافهـا، يطوبونهـا بتصـرفاتهم اللائقة ومواقفهم الشجاعة وتعـاونهم علـى تجنـب أي إسـاءة أو تقصير أو تـشويه لـسمعتها ومكانتها، فتبقى عزيزة مكرمة محترمة رغم كل الظروف.

هكذا المؤمنـون أيهـا الأحبـاء، يعملـون بـضمير حـي صـادق علـى أن يرضـوا الـوطن الغالي، فيعملون للخير والبنيان، ويكونون بذلك يعيشون حياة الايمان وينـالون نعم الـرب ورضاه.

قصة الأيمان

غالباً ما يمتلك الآباء القديسون خصوصية معينة من خلال إبداعهم وعبر التاريخ، فيقيمون لأنفسهم سمة، أو قل شهرة لها ما يسوّغها من عطاء و اجتهاد في هذا المجال أو ذاك، مستثمرين مسيرة الكنيسة وعمرها الزمني الطويل لترسيخ نوع من الأرتباط الشرطي، بحيث لا تكاد مفردة تذكر في حقل الرب، حتى تقفز إلى الأذهان أسماء معينة لامعة في سماء الكنيسة، وهذا ما أكّده الرسول بولس بقوله: حتى أنكم لستم ناقصين في موهبة ما (١كو ١ : ٧).

وهذا الترابط في حقل الكنيسة لا يأتي من باب الكبرياء أو التباهي أو محبة الذات، فالمؤمن المسيحي يعمل ويبدع بمحبة باذلة ما يجعل إبداعه دافعاً للآخرين أيضاً كي يعملوا بكل همة، إقتداءً بأولئك الأماجد والسير على خطاهم المباركة المستقيمة، وهذا الترابط أيضاً لا يأتي من فراغ، بل هناك دائماً عامل قوي له من الجذور والأحداث الفعلية وبذل الذات والإقتداء بالرب يسوع، ما يرسخ تلك الخصوصية أو العلامة المميزة لتبدو كالوشم على جسم القديس، لا يزول ولا يتغير ولا يبهت لونه، بل يبقى واضحاً متألقاً وإن طال به العهد.

وهكذا لا يمكن أن تذكر أسماء كبطرس وبولس وتوما وفيلبس واغناطيوس وأفرام ويوحنا والسروجي والرهاوي والبرادعي وابن كيفا وابن العبري وأفرام برصوم ويعقوب الثالث ودولباني وبولس بهنام ونعوم فائق ونعمة الله دنو وغيرهم، من دون أن تستنفر الذاكرة بصورة مجسمة من صور الدلالة الحسية أو الإعتبارية التي تستحضر رمزاً ما أو إشارة ما أو معنى ما، له النكهة الخاصة أو الدلالة المميزة أو الخصوصية الثابتة، التي تعطي للمتتبع فكرة واضحة عن مدى الجهد والعناء الذي بذل للوصول إلى هذا المستوى الرفيع، وهكذا نقرن الأسماء بدلالاتها ونقول : بطرس هامة الرسل، وبولس رسول الأمم وتوما رسول الهند وإغناطيوس النوراني وأفرام السرياني كنارة الروح القدس ويوحنا الذهبي الفم وابن العبري دائرة معارف القرن الثالث عشر ...إلخ.

تلك هي القضية إذن، علاقة مستحكمة بين الأسماء والدلالات النوعية في مسيرة الكنيسة والتي تشبه الحبل السري الذي يربط الإنسان بإبداعه وعطائه المميز واجتهاده في الخدمة وتفانيه في سبيل أيمانه ومعتقده وقريبه والذي أصبح هويته الخاصة.

أقول هذا كي أصل مع شباب وشابات اليوم إلى حقيقة ناصعةٍ هي أن الأنسان هو أسير خلفيته التراثية (المحببة عادةً)، ومجتمعه وخبراته (المحدودة عادةً)، وتدريبه (الضيق الأفق عادةً)، وأن الطريق إلى الفهم الأوسع للحياة هو التعرف على هذه المعطيات من خلال القراءة والمتابعة والمثابرة التي لا تعرف ملاً ولا يصيبها كللٌ، والقراءة تتطلب توفر الكتاب الجيد الذي يستحق القراءة ويستفيد منه المؤمن، وهكذا

يجب أن يكون الكتاب الجيد بين يديك دائماً.

علينا أيها الأحباء، نحن الذين وصلت إلينا أواخِرُ الأزمان، ونحن ندخل الألفية الثالثة للميلاد، أن نسمو بتراثنا وآبائنا وأيماننا وننتقل إلى أجواء روحية رحبة، ننهل مما بين أيدينا من كم هائل من عطاء الآباء السريان، يكون مُذكراً أن الحياة الحقّة هي تلك التي نعيشها بحسب المعطيات المسيحية، لنشق الطريق الصحيح ونمتلك الهوية السريانية المميزة، كمسيحيين، قدوتنا في الحياة أولئك الأباء والأجداد العُظام الذين سطروا أروع الملاحم الإيمانية في مسيرة الحياة الصعبة الوعرة، وأبدعوا في كل مجالات الحياة، غايتهم أن يتمجد اسم الرب بما طرقوا من أبواب، رافضين أن تكون حياتهم كما يقال: (حشر مع الناس عيد).

علينا أن نقرأ ونتابع ونجتهد، وفي ذلك نكون كمن يقصّ على نفسة قصصاً من الحياة، كي نعرف كيف نعيش ونحس بالحياة التي نعيشها، وهذا ما يميّز الشخصيّة الإنسانية الإيمانية الحقّة؛ وحين نقرأ عن آبائنا، يجب أن نشعر وكأن الكاتب يقول لنا في الختام : تأملوا الآن أيها القراء الكرام أي حياة مدهشة عجيبة عليكم أن تعيشوا مع الآخرين في ظل يسوع المسيح، وأن ما قرأتموه هو عشرات المرات أوسع من الحياة التي يفهمها من هو بعيد عن يسوع.

وحين تقرأ عزيزي المؤمن - وعليك أن تقرأ دائماً - يجب أن توجه أنظارك إلى النقاط الساخنة في المجتمع وعبر التاريخ، وبُعد هذه النقاط النسبي عن حقيقة الحياة المسيحية وكيف يجب أن تكون، لتعي جيداً أين أنت اليوم مما يجري على الساحة المسيحية وخاصة في مجال الأعلام والنشر، وتكون منتبهاً لما يكتب من كلام منمق معسول بمسميات مختلفة، ويخفي بين السطور ما يخالف الأيمان القويم.

وكلما شعرت أنك جائع أو عطشان روحيّاً، وأنك بحاجة إلى غذاء وماء روحي، عد إلى الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة وكتابات الآباء وسير حياتهم واجتهاداتهم وكفاحهم الإيماني ومقاومتهم للهرطقات التي كانت ولا تزال تقلق الكنيسة، لتنهل من هذه الكتابات ما يشبعك ويرويك، وتكون بدورك نوراً للآخرين في هذا الزمان الصعب الذي نحن فيه حقاً بحاجة إلى العمل والكفاح الإيماني الباذل في حقل الكنيسة، لننهض معاً بكنيستنا ومجتمعنا بما يرضي الله.

إنها قصة الأيمان، وما أبهجها من مسيرة منتصرة رغم كل المعانات والضيقات، فيها غذاء حي للنفوس وماء زلال، من يشرب منه لا يعطش، لأن من يسير إلى جانبك فيها هو رب المجد يسوع، فاعمل باجتهاد يا أخي كي تكون لشخصيتك المؤمنة البصمات والسمة المميزة في قصة الأيمان على مر الأزمان.

القيامة

ونحن نعيش أحداث قيامة الرب يسوع من بين الأموات، نتأمل أهمية القيامة ومكانتها الأساس ومعانيها الروحية في الحياة المسيحية، ولكي نستطيع استيعاب ذلك ببساطة ووضوح، نستعين بكلمة (قيامة) ذاتها، وبالحروف الخمسة التي تتكوّن منها : **(ق ي ا م ة)**، حيث كل حرفٍ من هذه الحروف يعطي دلالة معينة لمعنى القيامة بالنسبة للمؤمن المسيحي وكما يلي :

ق = قوّة = قوة الحياة المسيحية :-

كانت القيامة مصدر قوة حقيقية للمؤمن المسيحي، وعليها ارتكز كل التحرك التبشيري في فجر المسيحية، ومنها استمدّ المؤمن قوة الأيمان (وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلٌ إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم، ١كو١٥: ١٧)، فلو لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات لما كان هناك حياة مسيحية ولا تبشير ولإضمحلّ التعليم المسيحي، كما حدث للمئات من النظريات والفلسفات والهرطقات التي كانت تظهر على مدى العصور، لتدوم فتراتٍ محددة، لكنها ما تلبث أن تضمحلّ وتزول؛ فالقيامة قوة كقول الرسول بولس : لأعرفُه، وقوَّة قيامَته، وشَرِكَة آلامه، متشبِّهاً بموته (في٣: ١٠).

ي = يحيا = بقيامة المسيح يحيا الجميع :-

بقيامة الرب يسوع من بين الأموات، أصبح المؤمن يحيا حياة البر بعد أن تخلص من الخطية، فالقيامة حققت حياة عدم الموت للمؤمن (لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيحيا الجميع، ١كو١٥: ٢٢)، إذ أنه أسلم ذاته للصلب لأجل زلاّتنا، وأُقيم لأجل تبريرنا (رو٤: ٢٥)، لنحيا معه (هو٦: ٢)، فالقيامة هي حياة جديدة فريدة خالدة، نحياها مع الله ولا يعقبها موت.

أ = ابن الله = المسيح هو حقاً ابن الله :-

كانت القيامة برهانا واضحاً على أن السيد المسيح هو ابن الله الحق، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكما اعترف توما صارخاً : ربيّ وإلهي، (يو٢٠: ٢٨)، فالله وحده له القدرة على إقامة الموتى من بين الأموات بلا فساد (لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، لن تدع تقيّك يرى فساداً، مز١٦: ١٠)، والرب يسوع أقام ابن أرملة نايين من الموت (لو٧: ١٤ و١٥)، كما أقام لعازر أيضاً (يو١١: ٤٣ و٤٤)، ولقد أعلن الرب لتلاميذه بعد القيامة قائلاً : (دُفع إليَّ كلُّ سلطانٍ في السماء وعلى الأرض، مت٢٨: ١٨)، إذ استلم له المجد ملكه الأبدي وسلطانه الدائم بعد القيامة، وهو سيدين العالم في يوم الدينونة العظيم، لأنه ابن الله الحي.

م = موتى = قيامة الأموات :-

لو لم يكن المسيح قد قام من بين الأموات، لما كان هناك رجاءٌ للمؤمنين أنهم سوف يقومون من بين الأموات (فأنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات، ١كو١٥: ٢١)، وكما تنبأ إشعياء قائلاً (تحيا أمواتكَ، تقوم الجثث، استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب، إش٢٦: ١٩)، فشكراً للرب الذي بقيامته جعل المؤمن يرقد مطمئناً على رجاء القيامة، لأن المسيح هو القيامة (يو١١: ٢٥)، وهو الذي أعطانا تعزية عظيمة بقوله : وها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الدهر(مت٢٨: ٢٠)، وقيامته له المجد كانت الفجر الجديد للقيامة العامة والبداية الفعالة والدائمة لها.

ة = تغيير = التغيير الذي حصل للمؤمنين بعد القيامة :-

تغيير عظيم حدث في حياة الكنيسة الأولى بعد القيامة وابتداءً بالرسل الأطهار، الذين كانوا في حالة يأسٍ وخوفٍ عند صلب الرب، وتشتتوا بل أنكروا الرب كما فعل بطرس هامة الرسل، لكنهم بعد القيامة نالوا قوة عظيمة بالإندفاع في الأيمان، والعمل النشيط المثابر في نشر بشرى الخلاص في كلِّ مكان من العالم، إذ انطلقوا ينادون بالمسيح المصلوب وقيامته المجيدة بكل ثقة واطمئنانٍ، متحملين الآلام والضيقات، ومستعدين بفرحٍ للإستشهاد من أجل اسم يسوع المسيح والأيمان الصادق بقيامته.

نشكر الرب على نعمه وعطاياه التي أسبغها علينا بفيض محبته، إذ برحمته تجسّد ليكمل عمل الفداء ويموت على الصليب لأجل خلاصنا، ثم يقوم من بين الأموات فيقيمنا معه، ويمنحنا القوة والحياة الجديدة والرجاء بالقيامة العامة، وتبتهج قلوبنا بفادينا يسوع ابن الله الذي منحنا البهجة الروحية والفرح الدائم، لنعيش القيامة في كل لحظة من حياتنا على الأرض وفي السماء، لأن من له السلطان على السماء والأرض، هو معنا إلى الأبد.

كيف نشهد ليسوع

أبسط ما يجب أن يعمل به المؤمن الذي يريد أن يكون حقاً بين الخراف في حظيرة المسيح، هو ما أمر به الرب تلاميذه قبل صعوده إلى السماء : تكونون لي شهوداً (أع١: ٨)؛ ولكي تكون أيها المؤمن شاهداً حقيقياً للسيد المسيح، وتعمل بأمانة على تمجيد اسمه القدوس في المجتمع، عليك أن تسلك وفق المبادئ المسيحية السامية في هذا المجال، والتي تُظهر الرب بكل عظمته في المجتمع، فلنتأمل :

١- على المؤمن المسيحي أن يسلك ويعمل في المجتمع بما يؤمن به حقاً، وأن يكون ذلك أيماناً صادقاً يحرّك إرادة قوية في دواخله، وهذه الإرادة تجعل من كيانه طاقة مضحية وباذلة، يقتدي معها المؤمن بالسيد المسيح، وكعضو نافع نشيط في جسد المسيح الطاهر، يسير على نهج الآباء الميامين الذين سبقوا في ميدان الخدمة والجهاد، مبتعداً بذلك عن كل النظريات والفلسفات والمثاليات المقتبسة والتي يفرضها العالم الذي يتجاهل الله، وهي لا توافق أبداً السلوك الإيماني الحق، وتسقط المؤمن عن مكانته كشاهد ليسوع إن هو انغمس في متاهاتها.

٢- على المؤمن المسيحي أن يعمل بمبدأ مقدّس يقول : (أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني، في٤: ١٢)، حيث كلمة الله الحية الفعالة هي تسند وتعضد المؤمن وتمكنه ليعمل كل ما هو صالح ونافعٌ للبنيان، وعلى المؤمن أن لا يتهاون أو يتخاذل في ذلك، إذ أنه يستطيع أن يعمل إن هو اعتمد على الرب لا على قواه العقلية والجسدية الذاتية، فقد أنعم الله علينا بطاقاتٍ مضاعفة ومواهب متنوعةٍ كامنة، تحتاج فقط من يتفاعل بإيمان مع الروح القدس الذي يحرّكها ويفجرها ويوجهها ويرعاها لتتحول إلى عمل صالح للبنيان لا يعرف المستحيل، كما أعلن الوحي الإلهي : أعلمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، أنصحك، عيني عليك (مز٣٢: ٨).

٣- ومن أهم ما يجب أن تعرفه أيها المؤمن، وأنت تسلك طريق الرب وتشهد له في المجتمع، هو ما أوضحه الرسول بولس بقوله : (كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق، كل الأشياء تحل لي، لكن لا يتسلط عليّ شيءٌ، ١كو٦: ١٢)، فحين يكرس الإنسان نفسه لخدمة الرب والشهادة له، يصبح لزاماً عليه أن يتجنب جملة أمور قد تكون مقبولة في المجتمع، إلاّ أنها لا تليق بالشاهد ليسوع، ومكانته في جسد الرب، وموقعه في هيكلية الكنيسة؛ وعلى المؤمن في هذا الباب أن يعرف الحدود التي يتصرف ضمنها في المجتمع، ولا يليق به أن يتعداها، كي لا يشوه شهادته للرب، أو يكون عثرة للآخرين؛ وهكذا يبقى محافظاً على المستوى الأخلاقي المسيحي اللائق والمقبول في شهادته للرب.

٤- وليس سهلاً أبداً أن يبقى المؤمن محافظاً على المستوى اللائق كشاهد للرب يسوع، وذلك هو الباب الضيّق الذي قال عنه الرب، فما أضيق الباب وما أكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه، (مت٧: ١٤)، وذلك يعني أن يبقى المؤمن واعياً وفي حالة معركة روحية مستعرة ومستمرة، وأن يصمد فيها ليغلب دائماً؛ وسهل جداً أن ينحدر الإنسان في متاهاتٍ دنيوية وصولاً إلى مستويات متدنية يفقد عندها هويته كشاهد حق ليسوع، بل يفقد هويته المسيحية لا سامح الله، فما أوسع الباب، وكم رحب هو الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، والداخلون فيه كثيرون (مت٧: ١٣).

٥- وأعلم عزيزي المؤمن، أنك كخادم وشاهد للرب يسوع، حين تكون في موقعٍ مميّز في المجتمع، فأنك قد وصلت إلى هذا الموقع ليس بقدرات شخصية تمتلكها، لأن هذه القدرات والمواصفات الشخصية موجودة أيضاً لدى غيرك من أبناء هذا العالم، وهي بذلك لا تعطيك صفة مميّزة، لكنك كذلك، بقوة انتمائك إلى الكنيسة، وسلوكك وفق المبادئ الإيمانية القويمة التي منحتك إياها الكنيسة، وتعلمتها منها، وساعة تحيد أو تنحرف عنها، تكون قد فقدت هذه الخصوصية المقدسة، والمكانة المميّزة في المجتمع.

وأخيراً أخي المؤمن، فأنت لا تستطيع أن تكون شاهداً حقاً للرب يسوع، وتفي ببعض الدين المترتب عليك حيث فداك بدمه الأقدس، إلاّ إذا تمسكت بالمبادئ السامية وطبّقتها عملاً إيمانياً واتخذتها حياةً تعيشها، فهي السند لك، وهي قوتك وموجه خطاك لتشهد بالحق وتكرز بيسوع المصلوب، فادي العالم، (١كو١: ٢٣).

لا أعلم

عزيزي القارئ :

تعلم أن تقول : لا أعلم، واعترف دائماً بصراحة أنك لا تعلم، فلا يفتخر الحكيم بحكمته ولا يزهو الجبار بجبروته (إر٩: ٢٣)، وليس ذلك عاراً، إنما العار هو أن تدعي أنك تعلم ما لا تعلم.

" الأنا " والكبرياء في داخلك تجعلك تستحي من قول : لا أعلم، بينما الحكمة والتعقل يدفعانك للصدق في قولك : لا أعلم، ومهما بلغت من علم، ومهما قرأت من كتبٍ، تبقى عن كثير من الأمور شيئاً لا تعلم، وعن الكثير من الحرف والعلوم التي لم تمارس ولم تدرس، أنت لا تعلم.

موضوع واحدٌ – هو اختصاصك – والذي فيه كل شيء يفترض أن تعلم، حتى في هذا، تجد أن الكثير من الخفايا أنت تجهل ولا تعلم، وقد قالها أيوب : علموني فأسكت وأفهموني ما ظللت فيه (أي٦: ٢٤)، فالعلم والمعرفة مثل محيط متلاطم الأمواج، ومنه مقدار قطرة فقط أنت تعلم، وتبقى عاجزاً وقاصراً تجاه ما تريد أن تفهم وتتعلم، وليس في وسع الإنسان أن يوجه خطى نفسه (إر١٠: ٢٣)، وتبقى لأمر واحد فقط تدرك وتعلم، وهو أن العقل البشري مهما تفتق وأفحم، سيبقى عاجزاً أمام عظمة ومعرفة خالقه الأعظم (يو١٦: ٣٠)، فلنتضرع إليه تعالى أن يلهمنا بنعمته ما يريدنا هو أن نعلم (غل١: ١٢)، إنه العالم الأعلم.

للرب نحن

الحقيقة العظيمة التي يجب أن يعرفها جيداً كل مؤمن، بل ويجب أن يحياها فعلاً على هذه الأرض، هي أننا كمؤمنين، لا نعيش لأنفسنا بل للرب، وأن حياتنا هذه ليست ملكاً لنا بل للرب، لأننا خاصته (فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن، رو١٤: ٨)، وما دمنا نعيش للرب، فعلينا لأن نفعل مشيئته (أنا اخترتكم وأقمتكم لتأتوا بثمار وتدوم ثماركم، يو١٥: ١٦)، لأن الإيمان بدون أفعال لا يجدي نفعاً (يع٢: ١٤).

الرب يسوع يدعونا جميعاً بأن نعمل ونأتيَ بثمارٍ وتدوم ثمارنا، نعمل بكل ما نستطيع من اندفاعٍ، وكل بحسب إمكاناته وقابلياته المتاحة، لأن الرب يريد أن يستمر العمل الذي بدأه خلال وجوده على الأرض من خلالنا نحن، نعمل لمجد الآب ولخلاص العالم، نعمل ككيان مقدّس يعرف الآب السماوي، ويفتش عن الخروف الضال، ويتابع حبه للقريب، ويظهر عظمة الخالق، من خلال المواهب المتاحة، كما يعاني الآلام والضيقات من الآخرين تماماً كما عانى الرب، ويعيش بضمير صالح لله حتى آخر لحظة في الحياة (أع٢١: ١)، ويكون أميناً إلى الموت كي يحصل على إكليل الحياة (رؤ٢: ١٠).

ومن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فذلك خطيّة له (يع٤: ١٧)، وكلنا نستطيع أن نعمل ما هو حسن، ولكن تبقى الإرادة والإستجابة لنداء الرب، ويبقى التنفيذ الأيماني كي تظهر الثمار الحسنة، وتدوم الثمار، فيتعظم يسوع المسيح في أجسادنا (ٍفي١: ٢٠).

وقد يقول قائلٌ : ماذا عليّ أن أفعل؟ فهناك غيري يعمل في حقل الكنيسة، ولا مجال لي، بل لا حاجة لعملي !، وللوقت يأتيه الجواب من الرب يسوع : (إن الحصاد كثير، ولكن الفعلة قليلون، لو١٠: ٢)، وكما تختلف الأدوار والمهمات التي يؤديها الفعلة في أي عمل، هكذا تختلف الدعوات وتتعدد المهمات المطلوبة من كل فردٍ مؤمن في الكنيسة، وما علينا إلاّ أن نتسابق ونتنافس بمحبة كي يؤدي كل منا الدور والمهمة المناطة به، وبحسب إمكاناته ومواهبه واختصاصه، عمالاً كنا أم كهنة أم شعراء أم ربات بيوت أم مهندسين .. وما إلى ذلك من مواقع في المجتمع؛ وفي كل تلك المجالات، مطلوب أن نجتهد للبنيان، يسند أحدنا الآخر، ويتراصف أحدنا مع الآخر ليرتفع الصرح عالياً، فترفرف حمامات الحب النقي الطاهر، وتنطلق ألحان قدسية في الأجواء، وينتشر نور المسيح من خلالنا في كل مكان، ويمجد اسمه القدوس على كل لسان، وهكذا يتعظم يسوع في أجسادنا، ونؤتي الثمار الطيبة والمطلوبة في نداء الرب لنا.

محبة الذات

تأملت ملياً الوصية الإلهية العظيمة : تحب قريبك كما تحب نفسك (لا ١٩: ١٨) والتي أكّدها رب المجد يسوع في حديثه مع معلم الشريعة (مت ٢٢: ٣٩)، ثم الرسول بولس الذي لخّص الوصايا كلها بهذه الوصية (رو ١٣: ٩)، فكل الوصايا والأوامر الإلهية تصب في محصلة واحدة هي مساعدة الإنسان على محبة الله ومحبة الناس، حيث المحبة هي عماد كل شيء في حياتنا (لتصر كل أموركم في محبة (١كو ١٦: ١٤)، والمحبة هي أعظم المواهب الإلهية (١كو ١٣: ١٣)، وإن لم يكن في الإنسان محبة، فهو ليس شيئاً (١كو ١٣: ٢)، ومن لا يحب فهو لا يعرف الله، لان الله محبة (١يو ٤: ٨) .

واليوم أجد نفسي متجهاً نحو الجانب الآخر من هذه الوصية، والذي عادة ما نغفله حين نتحدث عن المحبة، ألا وهو محبة النفس، أي محبة الذات، فالوصية تقول : تحب قريبك كما تحب نفسك، وهذا يعني أيها المؤمن أن تحب نفسك وذاتك لتحب قريبك كذلك.

وقد يتبادر إلى الذهن أن المبادئ المسيحية السامية لا تسمح بمحبة الذات، بل تسير في اتجاه بذل الذات، وبذل الذات صحيح ومطلوب في المسيحية لان الرب يسوع قدوتنا في الحياة بذل ذاته من أجلنا (يو ٣: ١٦) وهذا ما علينا أن نفعله نحن، لكن هذا لا يعني أبداً أننا لا نحب أنفسنا وذواتنا، إذ يجب أن نميّز بين محبة النفس وبين الأنانية، فقد يفسر البعض محبة الذات أنه أنانية، بل قد يتصرف البعض هكذا بأنانية، ولكن الحقيقة مختلفة تماماً، فمحبة النفس أو الذات ليست عيباً ولا خطية، إنما الأنانية في التصرف هي المرفوضة مسيحياً، إذ لا يجوز أن نكون أنانيين لنحب أنفسنا وحسب .

ومحبة النفس مطلوبة مسيحياً ، إذ على المؤمن أن يحب نفسه، ويحب ذاته، وهذا يعني أن نهتم بذواتنا وأنفسنا، ونربيها ونغذيها ونكسوها ونحميها بما هو لائق لتنمو وتصبح شخصية نافعة، إنساناً مسيحيا حقاً وشاهداً ليسوع المسيح ومفيداً للمجتمع ومحباً للجميع ؛ علينا أن نهتم بالغذاء الروحي ونحصل على الثقافة الدينية والعامة ونعزز الإيمان في دواخلنا لنستطيع أن نضيء في العالم وننقل نور يسوع إلى الآخرين ونكون شهوداً له في المجتمع، وهذا لا يأتينا بصورة عفوية، إنما عن طريق إثراء النفس بالتعاليم الإنجيلية، بارتياد الندوات الروحية واللقاءات الدينية ومطالعة الكتاب المقدس وما إلى ذلك، وهذا كله يدل على أننا حقاً نحب أنفسنا، لأن من لا يحب ذاته لا يهتم بحصولها على المستوى اللائق مسيحياً في المجتمع والمكانة التي يريدها لها الله في العالم، ومن لا يحب ذاته يترك لها العنان في الإنجراف بحسب مغريات الجسد في

التصرف غير اللائق وغير المقبول مسيحياً والانقياد وراء مخططات إبليس وقوى الشر في العالم ومتاهات أبناء هذا العالم بعيداً عن الله وانحرافاً عن الطريق السوي نحو الملكوت .

أمّا من يحب ذاته، فهو يهذبها ويوظفها لكل عمل صالح ويكبح جماح كل ما هو شر فيها ويغذيها بالمحبة الباذلة التي علمنا إياها الرب، وعندها فقط يكون في موقف المحبة الحقّة التي بإمكانها أن تحب القريب وتبذل الذات من أجل الآخرين .

أيها المؤمن، عليك أن تحب ذاتك وتحافظ على كيانك وتغذي دواخلك روحياً وتتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة (١تي ٦: ١١) لتكون في المكان اللائق كإنسان الله المتأهب لكل عمل صالح (٢تي ٣: ١٧) والسائر في طريق الملكوت، وهكذا فقط تستطيع أن تحب القريب كما أراد الرب.

المحبة طريق الملكوت

غاية الإنسان المؤمن وجلّ اهتماماته خلال وجوده على هذه الأرض هي أن يحصل على الحياة الأبدية، أي ينال الملكوت السماوي ويعيش في حضرة الرب دائماً أبداً.

والرب يسوع جاء إلى العالم بمحبته يكرز ببشارة الملكوت (مت٤: ٢٣ و ٩: ٣٥)، وقد أتى ليمنح المؤمنين حياة أفضل (يو١٠: ١٠)، لأنه هو الذي يعطي المؤمنين الحياة الأبدية (يو١٠: ٢٨)، والتي هي هبة من الله بالرب يسوع (رو٦: ٢٣)، فملكوت الله ملكوتٌ أبديٌّ (دا٤: ٣) ومن يناله يتمتع بالحياة الأبدية، والكتاب المقدس دعاها بالحياة الأبدية لأنها تتعدى حدود الزمن فلا نهاية لها، وتكشف بذلك حياة الخلود للمؤمن بعد القيامة العامة، والتي سوف يعيشها بجسد القيامة الممجد في حضرة الله.

أيها المؤمن المبارك، عليك أيضاً أن تقتطع بعضاً من الوقت الذي أصبح مزدحماً جدّاً بهموم ومشاكل ومغريات وبقية مفردات هذه الحياة الفانية، لتجلس في خلوة روحية داخل مخدعك، وتصلّي إلى الربّ متأملاً كيف تستطيع أن تحصل على الحياة الأبدية، تسأل بكل تواضع وانكسار: يا ربّ ماذا أعملُ لأرثَ الحياة الأبدية؟، يا ربّ كيف أسلك في هذه الحياة الفانية كي أكون مع القديسين في حضرتك؟، وتذكّر أنك تعيش حياة النعمة في العهد الجديد، وتذكّر أن الطريق إلى السماء، والباب إلى الملكوت، والسلّم الذي يصل بك لترث الحياة الأبدية إنما هو ما جاء بالوحي الإلهي في الكتاب المقدس.

الربّ يسوع أجاب رجل الشريعة الذي سأله عن كيف يرثُ الحياة الأبدية قائلاً : ما هو مكتوبٌ في الناموس، كيف تقرأ؟ (لو١٠: ٢٦)، والربّ يسوع يجيبنا أيها الأحباء على ذات السؤال حين نسأله ليقول: ماذا علّمتكم، ماذا تقرأون في الكتاب المقدّس؟، وتماماً كما قال لرجل الشريعة سوف يقول لكل منّا : افعل هذا فتحيا (لو١٠: ٢٨)، فحياتنا أيها الإخوة هي أن نطبق تعاليم الكتاب المقدس، ونسلك بإرشاد التعليم الإلهي كما جاء في الإنجيل الشريف، نطبّق ذلك عملاً ايمانيّا في كل مفردات حياتنا وفي كل لحظة نعيشها على الأرض، وبذلك ننال الحياة الأبدية التي وهبت لنا بالنعمة مجاناً وبشرط أن نحسن السلوك في حياتنا الأيمانية مع الرب على هذه الأرض؛ فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياةً أبدية (يو٥: ٣٩).

رجل الشريعة في إجابته على سؤال الرب يسوع، ذكر وصيّتين عظيمتين من وصايا الله العشر والتي أعطاها الله لموسى على جبل سيناء وهما : تحبّ الربّ إلهك من كل قلبكَ، ومن كلّ نفسكَ، ومن كلّ قدرتكَ، ومن كلّ فكركَ، وقريبَك مثلَ نفسكَ (لو١٠: ٢٧)، فقال له الربّ : بالصواب أجبتَ، إفعَل هذا فتحيا (لو١٠: ٢٨)؛ إنها المحبّة أيها الأحباء، هي الطريق إلى السماء، محبَة الله ومحبَة القريب، المحبة المسيحية الباذلة وكما طبّقها الربَ له المجد على الصليب، لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه

الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكونُ له الحياة الأبدية (يو٣: ١٦)، إنها المحبة التي تتجاوز حدود العقل البشريّ والتفكير الإنساني لتشمل حتى الأعداء (مت٥: ٤٤) والأغراب والمهمّشين في الحياة، الذين هم جميعاً القريب لنا والذي من الواجب مساعدته ومحبته تماماً كما نحب أنفسنا وذواتنا واالمقربين إلينا، وهذا ما أعلنه بوضوح الرب يسوع في مثل السامري الصالح (لو١٠: ٣٠ – ٣٧)، إنها المحبة التي لا تسقط أبداً وكما أوضح عظمتها الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، والتي اكتسبت تسمية ترنيمة المحبة أو رسالة المحبة (١كو١٣: ١ – ٨).

المحبة الإنجيلية التي تصل بنا إلى الحياة الأبدية تعني الاستهانة بكل مغريات ومقتنيات ونزوات هذا العالم والتبعية للرب يسوع ، فمحبة الذات محبة دنيوية لا تصل أبداً بالإنسان إلى الحياة الأبدية، لأن من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية (يو١٢: ٢٥)، فمن يحب نفسه هنا تأتي بمفهوم المحبة الدنيوية التي تعني محبة مغريات ونزوات هذا العالم الفاني، ومحبة الحياة الزمنية الأرضية العابرة والتمسك بها، وهكذا يهلك بعيداً عن الملكوت، أما من يبغض نفسه أو يهلكها على هذه الأرض من أجل اسم المسيح يسوع، فيكون مثل حبة الحنطة التي متى تسقط في الأرض الصالحة تموت لتعطي حياة جديدة (يو١٢: ٢٤)؛ والإنسان المؤمن إنما يبغض نفسه حين يكره الأنا التي في دواخله ويبتعد عن الأنانية فيتخلص من كل ما هو كراهية وبغضه وتعالٍ وكبرياء وعجرفة، وعندها تتملكه محبة المسيح والقريب، ويُستعلن المسيح في دواخل هذا الإنسان (ليحل المسيح بالأيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون بالمحبة، إف٣: ١٧ و ١٨).

والخلاصة أيها الإخوة، فأن الطريق إلى الحياة الأبدية هي المحبة الإنجيلية التي تعني محبة الله ومحبة القريب.

مخالفة الأيمان الحق

لا غرابة في ظهور أفكارٍ وآراء مخالفة للأيمان القويم بين الحين والآخر، فقد حصل ذلك ومنذ فجر المسيحية، وأشار إليه الكتاب المقدس، وحاربته الكنيسة (١تيمو١: ٣ و ١تيمو٤: ١)، ولا غرابة في أنّ من يروّج هذه الأفكار هم بعض الرجال المحسوبين على الكنيسة، فقد حصل هذا أيضاً في الماضي (٢بط٢: ١)، وكما أشار الرسول بولس أيضاً (غل١: ٨)، وهو يعلم يقيناً أن ملاكاً سوف لن يأتي من السماء ليبشّر المؤمنين بخلاف التعليم الصحيح، لكنه ينبّه إلى أن إبليس يستطيع أن يغيّر هيئته بشبه ملاك نور (٢كو١١: ١٤)، ولا ننسى أن بعض رجال الكنيسة الذين يظهرون للبسطاء من المؤمنين كملائكة، يمكن أن ينحرفوا عن الأيمان، ويسلكوا بحسب حكمة هذا العالم، لا بحكمة الله (١كو٢: ٦-١٣)، متناسين أن الله قد جهّل حكمة هذا العالم (١كو١: ٢٠)، واختار الجاهل من العالم ليخزي الحكماء (١ كو١: ٢٧).

ورغم تحذير الكتاب المقدس الواضح في هذا الخصوص، يستمر البعض ممّن يعتقدون أنهم حكماء وعارفون في هذا العالم، بنقل أفكار غريبة، يعتبرونها نابعة عن عقلية متطورة ومتقدمة وذكية ومميّزة !، تروّجها التيارات المتلاطمة في الغرب، وتعرض على المؤمنين البسطاء بشكل منمّق معسول (٢بط٢: ٣)، وغايتها نخر جسد الكنيسة، وبلبلة أفكار المؤمنين السائرين بوداعة الأيمان القويم.

وهكذا فلمن يسير بحسب الحكمة البشرية (التي تبقى محدودة مهما بلغت من رقيّ وتقدم)، وللذي يعمل بما يحاول العقل البشري القاصر ابتداعه، يتحول مفهوم الجبل المقدس (٢بط١: ١٨) الذي تجلى عليه الرب يسوع (لو٩: ٢٨ – ٣٦) إلى مجرد رمزٍ للمشقة والتسلق، وتتحول حقيقة التجلي إلى " أمثولة "، ويتحول مفهوم الخلاص وعمل الفداء الذي أتمّه الرب على الصليب إلى مسألة فلسفية وموضوعٍ خاضعٍ للجدل والنقاش، وتدخل كرازة الرب وتعاليمه الإلهية في " مجموعة تيارات فكرية بشرية " تحاول أن تفقدها طعمها الإلهي، وتتيه الكنيسة (جسد يسوع الطاهر، ١كو١٢: ٢٧) في " عدم وضوح المفهوم في العهد الجديد" كما يدّعون! وما إلى ذلك من متاهاتٍ وضلالات.

أيها الأحباء : إن الإنجيل المقدس لم يُكتب بحسب إنسان، ولم نتعلمه كعمل إنسان، بل بوحي يسوع المسيح (غل١: ١١ و ١٢)، فهو ليس إنجيلاً بشرياً ليفسّره كل من يشاء وفق أهوائه أو عقليته المحدودة، إنه إنجيلٌ يفوق العقل والإدراك البشري، وهو قدرة الله للخلاص لكل من يؤمن (رو١: ١٦)، وقد أوحي به من الله، وهو نافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر (٢تيمو٣: ١٦)، وصلاحيته تمتد على مدى العصور وإلى الأبد لأنه وحي الله، وعلى المؤمن أن يقبله بإيمان ويقين صادقين وبساطة، كما سلّمته الأجيال لبعضها ووصل إلينا نحن الذين نعيش في أواخر الأزمان،

ولا يجوز لأحد أن يحاول تفسيره على أهواءٍ دنيوية تطابق مشتهيات فانية وتخالف روح الإنجيل، لأن نبوّة الكتاب هي ليست من تفسيرٍ خاص، بل هي بوحي الروح القدس (٢بط١: ٢٠)، والعلم مهما بلغ من تطوّرٍ يبقى ناقصاً (لأننا نعلم علماً ناقصاً ونتنبأ بعض التنبّؤ، ١كو١٣: ٩)، ومهما بلغ الإنسان من تقدم علميّ وتقني، يبقى ينظر إلى السماء أن فيها ما لم تره عينٌ، وما لم تسمع به أذنٌ، وما لم يخطر على بال إنسانٍ (١كو٢: ٩)، وكلما ازدادت قدرات الإنسان العلمية والمعرفية، ابتعدت عنه السماء بمئات الآلاف من السنين الضوئية بحسب المفهوم العلمي، مع أنها أقرب من العين للحاجب في المفهوم الروحي بالنسبة للمؤمن.

وأخيراً لنتذكّر عزيزي المؤمن قول الرسول بولس : (لأنه لابد أن يكون بينكم بدعٌ أيضا، ليكون المزكّون ظاهرين بينكم ، ١كو١١: ١٩)، ولا يمكن إلاّ أن تأتيَ العثرات، ولكن ويلٌ للذي تأتي بواسطته (لو١٧: ١).

المعاناة والغلبة

تمر الكنيسة في مجتمع اليوم بحقبة تاريخية تموج بكمٍّ هائل من المتغيرات، تحتم على المؤمن المسيحي التفكير السليم والعميق للوصول بحكمة إنجيلية إلى سلوك سوي يبقى معه المؤمن وبكل ثبات متمسكاً بمبادئه الإيمانية السمحاء، وفي نفس الوقت يكون مشاركاً فعالاً في بناء المجتمع الذي يعيش فيه، ومواكباً لعجلة نهضته بين أمم الأرض، مع التمسك بروابط المحبة والإخاء لكل " القريب" وبكل ما يعنيه هذا التعبير مسيحيا من معانٍ سامية ومهما كانت الأجواء المحيطة.

بتعبير آخر نقول أن حكمة الذكي هي فهم طريقه (أم١٤: ٨)، وأن المحافظة على الهوية المسيحية بمصداقيتها الحقة في مجتمع اليوم الصاخب، تتطلب موازنة حكيمة ودقيقة بين الثبات على المبادئ الإيمانية الراسخة من جهة، ومواكبة المتغييرات الإجتماعية والتفاعل معها بروح إنجيلية من المرونة والتعايش، بما يعنيه ذلك من تحمل وتقبل للسلبيات العارضة بروح المحبة المسيحية التي لا تسقط أبداً (١كو١٣: ٨)، وكما فعل أجدادنا على مر الأجيال.

وفي هذا السياق، لابد أن نسلك في هذه الحياة، بيقين صادق وراسخ لا يقبل الشك: أن الإنسان لا يمكن أن يثبتَ بالشر، ومن يسلك بصدقٍ لا يتقلقل أبداً (أم١٢: ٣)، وأن الإنسان يشبع خيراً من ثمر فمه، ومكافأة يديه تردّ له (أم١٢: ١٤)، والمحصلة الأساسية هي : أن الحكمة الحقة تقود دائماً إلى السلوك بمخافة الرب (مز١١١: ١٠)، وأن بركة الرب هي التي تغني المؤمن (أم١٠: ٢٢).

هكذا أيها الأحباء، نحصل في حياتنا على السلام الروحي الذي ينعش دواخلنا، ويقوي عزيمتنا، ويشجع خطانا في المجتمع، ومهما كانت التحديات المحيطة، مستنيرين بقوة الروح القدس الحال فينا، الذي ينصحنا ويعضدنا ويقودنا في طريق النصرة والغلبة على كل ما هو شر.

ولكن أيها الإخوة، لا يمكن تفادي الألم والمعاناة، وبمختلف الأنواع والدرجات، في حياة الكنيسة المجاهدة على الأرض، ولابد أن نكون مستعدين بروح مسيحية، وبكل صبر وثبات، لتحمل ما نمر به من ضيقات، أو ما يحل بنا من مصائب لا يمكن أن تتعدى سلطتها حدود الجسد ومهما بلغت (ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها، مت١٠: ٢٨)، لنغلب العالم ونصل إلى الهدف الأسمى، وغاية وجودنا على الأرض، ألا وهو حسن الشهادة للفادي يسوع والتأهل للدخول معه إلى العرس السماوي ونيل الملكوت.

ولابد للمؤمن أن يعرف كيف يواجه الألم، وكيف يتحمل هذا الألم، ليكون حقيقةً حاملاً للصليب الذي قال عنه الرب يسوع : (من أراد أن يتبعني، فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني، مت ١٦: ٢٤)، وهذا الصليب يعني الخضوع التام لمشيئة الله والعيش

كما يحق لإنجيل المسيح، والإقتداء بالرب يسوع الذي حمل صليب العار بإرادته، وسار به في شوارع أورشليم وصولاً إلى الجلجثة، حيث علق عليه، باذلاً ذاته إعلاناً عن عمق محبته للبشرية كلها، مع أنها كانت خاطئة وساقطة.

هكذا يتابع المؤمن مسيرته في هذه الحياة بجهادٍ بطولي، خاضعاً لمشيئة الله، ولا شيء غير ذلك، سائراً وراء الرب يسوع، متتبعاً خطاه له المجد، حتى إن كلفه ذلك حياته على هذه الأرض، أي الإستشهاد في سبيل المسيح، وهل هناك شهادة أسمى من ذلك؟، وهل هناك سعادة أعظم من ذلك؟، إذ أنها الطريق الأسرع والأقصر إلى الملكوت، وطوبى لمن يبلغها.

وهذا لا يعني أبداً أن يقحم الإنسان نفسه في تهلكة، أو يجعل نفسه عرضة لأذى الآخرين، بتصرف غير لائقٍ يقوم به، أو عمل غير مقبول يجعله عثرة لغيره، وهدفاً سهلاً لسهام المتربصين، الذين يحاولون بكل طريقة أن يمسكوا المؤمن بعثرة أو زلة لينالوا منه؛ وهنا يبرز تحذير الرب لنا في أن نسلك بحكمة ووداعة في المجتمع (ها أنا أرسلكم كغنم بين ذئاب، كونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمام، مت ١٠: ١٦)، وهنا تبرز الحكمة في اتخاذ القرارات الصائبة في سلوكنا في المجتمع، مع ظهور وداعتنا المسيحية الحقة مرتبطة بكل سلوك أو تصرف، ليكون ذلك دستور حياتنا، وبه فقط نغلب، نغلب كل الضيقات والمعاناة، وننتصر.

ممارسات شبابية سلبية

يتمتع الشباب المؤمن بحيوية واندفاع ونشاطٍ وغيرةٍ مميّزة في دروب الحياة، لما فيه دائماً الظهور بأنقى ما يمكن من الفضائل والأخلاق المسيحية السامية، والتي تبعث في النفوس بهجة روحية وتظهر شهادة حسنة للهيكل المقدس الذي تنتمي إليه هذه الشريحة المباركة من المجتمع، إي الكنيسة، جسد يسوع الأقدس.

وتتذكّر شريحة الشباب دائماً، وتضع نصب عينيها قول الرب يسوع له المجد أننا لسنا من العالم (يو١٥: ١٩)، بمعنى أن لا نتصرّف كما يفعل أبناء هذا العالم المنغمسون في متاهات ومغريات لا تمت بصلة لمبادئنا المسيحية السمحاء؛ فالشباب المؤمن (ذكوراً وإناث) يرتبطون بسلاسل روحية تحدد التصرفات وتوجه الخطوات بما يليق دائما وما يصلح لديمومة المستوى الإيماني الفريد الذي تسلك بموجبه الكنيسة، مبتعدين عن كل ما لا يليق وصورة الله التي خلقنا عليها.

أقول هذا مذكراً ببعض التصرفات الشاذة والتي قد تكون عرضية، وفيها يقلّد نفر من شبابنا وشاباتنا أبناء هذا العالم بما يظهر وكأنه تصرّف بريء، إلاّ أنه يحمل في ثناياه نوايا غير مسيحية وغير مقبولة، إضافة إلى إعطائه انطباعات غير سليمة عن من يعيش في البيت الذي يسمح بهكذا ممارسات وتصرفات.

وعلى سبيل المثال أقول : أن بيوتنا المسيحية وصالات الإستقبال فيها كالقاعات التابعة للكنائس، تزيّن جدرانها عادة رموز إيمانية كالصليب المقدس، وآيات الكتاب المقدس، وإيقونات السيدة العذراء والآباء القديسين، ومعجزات الرب يسوع ومحطات من حياته على الأرض، وصور الرعاة من بطاركة ومطارنة وأساقفة ورهبان، إضافة إلى جداريات للأديرة والكنائس والآثار المسيحية وغيرها مما يضفي على البيت جواً روحياً مقدساً، ويجعله حقاً كنيسة تفوح منها رائحة المسيح الزكية، وينمو فيها الأطفال الصغار بالقامة والنعمة وتفتح عيونهم وآذانهم وعقولهم على مفردات روحية وإيمانية تنشّط في دواخلهم محبة المسيح والكنيسة، كما تنعش في نفوس أفراد العائلة الترابط وأواصر المحبة مع أقرانهم من المؤمنين.

ولكن ومع الأسف، أصبحنا نرى اليوم حالات، ومع أنها شاذة ومحدودة، إلاّ أنها تستوجب الوقوف عندها وتأشيرها كي نتجنبها ونتفاداها، وهي أن جدران بعض بيوتنا المسيحية أصبحت تشوّه بصور ممثلين وممثلات، أو مغنين ومغنيات، وبلقطات لا أقول عنها أكثر من أنها مقززة جداً وبعيدة تماماً عن روح الأيمان والمبادي المسيحية السامية؛ والأنكى من ذلك أن هذه الصور والملصقات غير اللائقة أصبحت توضع إلى جانب الصليب المقدس والأيقونات المسيحية الأخرى لأمنا العذراء مريم والقديسين

والآباء، ما يعطي انطباعاً مشوهاً للطفل الصغير في البيت فلا يستطيع أن يميّز بين مكانة المفردات والرموز المسيحية في حياته وبين تلك التي هي من سمات أبناء العالم ومغريات إبليس.

ولا أستطيع أن أتصوّر كيف أن بعض الشباب يسمحون لأنفسهم بوضع صورٍ على جدران غرفهم وبيوتهم لممثلات ومغنيات شبه عاريات أو بلقطات بذيئة جداً، وفي البيت نفسه تسكن أخوات ووالدة أو زوجة أخ شابة، فكيف تكون نفسية ومشاعر من ينظر إلى تلك الصور المقززة، وفي نفس الوقت ينظر ويرى الفتيات والنساء اللاتي يسكنّ البيت؟

نفسياً أقول إن هذا التصرف فيه انتقاصٌ لمكانة المرأة والفتاة المسيحية، وانحدار بكرامتهن إلى مستوى السلعة الكمالية، وهذا ما يفعله أبناء العالم ممن يتجاهلون الله، ويرفضه أبناء الله، فهو غير وارد أبداً في قاموس المسيحية؛ حقاً إنه إهانة للأنوثة الوديعة المباركة ذاتها، وامتهانٌ للجنس البشري المخلوق على صورة الله، ويقيناً هذا التصرّف ليس مسيحياً أبداً وغير مقبولٍ وغير لائق.

ومن باب الشعور بالمسؤولية المسيحية تجاه أفراد العائلة، بل تجاه كل مؤمن ومؤمنة مسيحية، أدعو كل رب أسرة، وكل شابٍ وشابة في مجتمعنا المسيحي المبارك، أن نعمل بكل حزمٍ وغيرة على أن نبقي بيوتنا ومساكننا نقية طاهرة وبعيدة عن كل ما يشوه مكانة البيت الروحية، لنعيش أجواء مسيحية مبهجة وسليمة، لتبقى بيوتنا كنائس بعون الله.

المنـهجية بين العلم والدين

في ندوة التحديات على الأيمان وضمن الموسم الثقافي في كانون الأول من سنة ٢٠٠٢م. تم التطرق إلى المنهجية العلمية، ومقارنتها بالمنهجية الدينية المعتمدة في الكنيسة.

وواضح جداً أن المعطيات الايمانية هي حقائق ثابتة، وكلمة الله أزلية وكاملة في طبيعتها بالحق والقداسة، وكمالها مطلق لا يشوبه عجز ولا قصور ولا تطور لأن مصدرها الله الفائق الكمال وغير المتغيّر، فالرب يسوع له المجد قالها لنا : الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة (يو ٦: ٦٣)، وما على المؤمن إلاّ أن يقبل المعطيات الايمانية بيقين راسخ، وهذا هو مفهوم الايمان، كما أوضحه الرسول بولس :- وأما الايمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمورٍ لا ترى (عب١١: ١)، ولا أحد يستطيع أن يدرس الكتاب المقدس لغرض إظهار عيوب أو نواقص أو نقاط يخضعها للفحص والتمحيص والإفتراض واختبار الإفتراض والقبول والرفض والتجربة..إلخ من مفردات المنهجية للنظرية العلمية، فالنظريات العلمية تطفو على السطح وتشغل حيزاً مهماً في المنهج العلمي، تدوم حقبة زمنية معينة قد تطول أو تقصر، ثم تطرأ عليها تغييرات جوهرية، فتتبدل وتتغير أو حتى تندثر لتحل محلها أخرى أحدث وأكثر قبولاً وقرباً من العقل البشري، وهكذا اندثرت ثقافات وحضارات عظيمة، وزالت وتغيرت نظريات وفرضيات، لتحل محلها أخرى، ويستمر التغيير على مدى الأيام. وكمثال فأن النظرية التي كانت تقول أن الذرة لا تتجزأ، قد أفحمت بشطر الذرات وتحويلها إلى طاقة عظيمة كما في القنابل الذرية.

من جانب آخر، فالتفاسير والدراسات والشروح المسيحية، لايقصد منها أبداً تبديل أو تغيير مفهوم الحقائق الايمانية الثابتة وكما استقتها الكنيسة من الكتاب المقدس والتقليد، بل إنما تبغي تعميق الفهم البشري لإستيعاب هذه الحقائق الثابتة بشكل أفضل، إذ لا يستطيع أحد أن يتجاسر ويغير شيئاً منها بعد أن قال يسوع على الصليب " قد أكمل " ، والرسول بولس في هذا المجال يقول:- يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم، فليكن "أناثيما". (غل ١ : ٧ و ٨).

أما القصور في استعلان كلمة الله في كمالها المطلق فسببه الإنسان نفسه وحالة الظلمة والجهل اللذين صار إليهما بتسلط مغريات العالم ونزوات الطبع البشري، والوقوع تحت نير العجز، وأمراض الجيل الإجتماعية والنفسية الناشئة عن اختلال

العلاقة التي تربط الإنسان بخالقه، وهكذا يكون أساس النهضة الفكرية الدينية والوعي اللاهوتي والتعمق في دراسة الكتاب المقدس واستيعاب الحقائق التي وردت فيه هو ترسيخ التبعية للروح القدس لتلتهب القلوب بحب الإنجيل وتفتح الأذهان لفهم المعطيات الايمانية الثابتة، التي يجب أن يتخذها الإنسان المؤمن حياةً يعيشها ما دام على هذه البسيطة، وهكذا يكون يعيش الملكوت على الأرض كما قال له المجد: لأن ها ملكوت الله داخلكم (لو ١٧ : ٢١)؛ إذن المنهجية في الدين هي الايمان.

في المنهجية العلمية ، السيد المطلق هو عقل الإنسان، الذي يحاول أن يكتشف حقائق خفية عن الكون والحياة ، وأن يصل إلى تفاسير مقبولة لما يحيط به من ظواهر أو معطيات علمية، ويوظف ذلك وما توصل إليه من تقدم علمي وتقني لأغراضه الشخصية التي قد تكون مفيدة لبني جنسه أو قد تكون مؤذية ومهلكة، أما في الدين فالسيد المطلق هو الله سبحانه وتعالى، الذي أعطى الإنسان الثوابت الايمانية الراسخة، وأعطاه الحرية في تقبلها والنهج بموجبها كما هي إن هو أراد أن يكون قريباً من الله وينال رضاه.

وما يجب أن لا يغفل هنا هو أن المؤمن وحين يسلك هكذا بمخافة الله، لا يحق له استغلال ما سمح له الله بمعرفته والتوصل إليه من المعطيات العلمية والتقدم العلمي والتقني إلاّ لخير الإنسانية وفائدتها، لأن المؤمن يعيش بمخافة الربّ، ومحبة الله والقريب، يعيش المحبة الإنجيلية، والمعرفة الكبرى وهي أن الله محبة.

المؤمن والعولمة

في ندوة التحديات على الأيمان والتي عقدت ضمن الموسم الثقافي في كانون الأول ٢٠٠٢م.، طرح موضوع العولمة على بساط البحث، وجرى الحديث عن كيفية تعامل المؤمن اليوم مع هذا التحدي الكبير.

ولكي تستطيع الكنيسة أن تشق طريقها في عالمنا المعاصر الذي يتجه نحو العولمة وما فيها من خطورة على كيان الكثير من حضارات العالم وتراث الشعوب، يجب أن يتطلع أبناؤها إلى القرون المسيحية العشرين التي عبرت، وكيف تعامل المؤمنون في كل جيل مع التحديات على الكنيسة في ذلك الجيل، وبالذات من خلال التعامل مع أنواع العولمة وكل في جيله.

ونذكر هنا على سبيل المثال، أن الاسكندر المقدوني كان قد فرض الثقافة اليونانية وبالذات الأثينية (الهلينيّة) على العالم، فانتشرت الفلسفات اليونانية بين الشعوب وكان لها بالغ الأثر في المدارس الثقافية والدينية، وأصبحت اللغة الأثينية هي لغة الثقافة والتعامل بين الشعوب وأصبحت الآلهة اليونانية الوثنية تعبد في مناطق مختلفة من العالم، وتم دمج مفردات العبادة اليونانية بغيرها من الحضارات، واستمر ذلك لقرون عديدة حتى بعد تفكك الامبراطورية اليونانية العظيمة، وهذه "عولمة" ثقافية ودينية في تلك العصور.

الكنيسة المسيحية استغلت المفيد من هذه العولمة، حيث كانت اللغة اليونانية الهلينية أحدى العوامل المهمة في نشر كلمة الإنجيل بين الأمم وبسرعة فائقة، حتى أن العهد الجديد من الكتاب المقدس كتب باللغة اليونانية ثم ترجم إلى لغات العالم المختلفة، إضافة إلى الترجمة السبعينية للعهد القديم والتي تمت في الاسكندرية وباللغة اليونانية وكانت مرجعاً مهماً في الكرازة والتبشير والإقتباس من النبوات التي تدعم العهد الجديد.

واستغل علماء الكنيسة الفلسفة اليونانية في التعريف بمفردات المباديء الايمانية المسيحية وجعلها أكثر قبولاً وانتشاراً بين الأمم، كما استغل رجال الكنيسة الفلسفة ذاتها في دحض وتفنيد العبادات الوثنية القائمة يومئذ، وفي نفس الوقت قاومت الكنيسة ودحضت مفردات العولمة اليونانية الوثنية الضارة التي حاول البعض إدخالها على مفردات العقيدة المسيحية بصيغة هرطقات وبدع وثنية.

وفي نفس الباب، كادت المثرائية (أي عبادة الشمس التي اعتمدها البرثيون) أن تكون ديانة أوربا كلها اليوم لولا أن المسيحية عرفت كيف تسمو وتغلب رغم

الضيقات المحيطة، لتنتشر بقوة الروح القدس وتصبح معظم أوربا مسيحية إضافة إلى مناطق واسعة من أسيا وأفريقيا.

وعلى الكنيسة اليوم أن تتصرف بنفس المفهوم تجاه العولمة العصرية، وهذا يحتاج أتعاباً مضاعفة، ورجالاً من الطراز المثابر الواعي الذي يقرأ بتأنٍ ما بين السطور ويفرز المفيد ليستفيد منه، عن الضار ليتجنبه، ويثقف أبناء الكنيسة للإبتعاد عنه، فالعولمة بمفهومها المعاصر هي تفتيتٌ للعائلة، والعائلة هي الكنيسة الصغيرة التي من مجموعها تتكون الكنيسة الأم جسد يسوع الطاهر، وتفتيت العائلة يعني تفتيت الكنيسة.

إذن على الكنيسة :-

١- أن تستغل المفيد من العولمة، وهو كثير جداً، تستغله وتسمو به نحو تمجيد اسم الرب وخير المجتمع، وترفض الضار والمؤذي وتعلم أبناءها وجوب تجنبه وخطورة الإنغماس في متاهاته.
٢- وفي نفس الوقت، على الكنيسة أن تبقي على الترابط العائلي الرصين بالمعطيات الايمانية التي في حوزتها، لتبقى هي متماسكة صامدة ومنتصرة، فتعمل بكل جهد ممكن على تقوية الأواصر العائلية والعبادة البيتية والجماعية في الكنيسة.
٣- وأن تهتم بالفرد كي يكون محصناً واعياً، لتجعل منه عضواً نافعاً في جسدها يتكامل مع بقية الأعضاء كحجارة مرصوفة في بنيانها الشامخ الذي يمجد اسم الرب.

نعمل للبنيان

نعيش اليوم حياةً أحوج ما نكون فيها لبنيان بعضنا بعضا وتقبل أحدنا الآخر بعمل جماعي إيماني متكامل أساسه المحبة المسيحية الصادقة، بتحذير وتوجيه وإرشاد وتوبيخ (أن توبخ وتنذر وتشجع بكل صبر في التعليم ، ٢تيمو ٤ : ٢)، لا بقبلات غش وخداع (أمينة هي جروح المحب وخادعة هي قبلات العدو، أم ٢٧ : ٦).

وبسبب الكبرياء الذي اصبح آفة تنخر في المجتمع (قبل الانكسار الكبرياء وقبل السقوط غطرسة الروح ، أم ١٦ : ١٨)، يشعر الفرد المؤمن بالحرج الشديد حين يواجه آخر بحقيقة تخص تصرفاته أو هفوة صدرت عنه وكانت عثرة للآخرين (والويل لمن تأتي العثرات على يده، مت ١٨: ٧) أو فسحت مجالا للأقاويل والطعن والتشهير، ما لا يرضاه الله ولا يقبله التعليم المسيحي السمح؛ وعندها قد يبقى المؤمن صامتا لا يتدخل ويسكت عن الحق، وهذا أمر غير مقبول ، فالكتاب العزيز علمنا عدم السكوت على أخطاء بعضنا، لان ذلك يضر بالإنسان المخطئ نفسه كما انه قد يفسد آخرين أو يتسبب بإساءةٍ لله رب المجد، ولا ننسَ أن أحد الأركان المهمة في العبادة هو مساعدة الآخرين وتعليمهم، فحين تحسن أنت لأحد، عليك أن تجعل الآخرين أيضا يكسبون شيئا للبنيان (١كو ١٤ : ١٧)، وليس مقبولا أن تهتم بذلك فقط وتهمل الآخرين، وعليك أن تشعر بوخز الضمير حين يخطئ أخوك وتماما كما يجب أن تشعر حين تخطئ أنت (إن اخطأ إليك أخوك فاذهب إليه وعاتبه بينك وبينه على انفراد، فإذا سمع لك تكون قد ربحت أخاك، مت ١٨ : ١٥).

والصديق المخلص هو الذي يصارح أخاه بحقيقة الأمر، فهذا هو المحب حقا، ولا يجوز التغاضي عن هفوات الآخرين وأخطائهم حرصا على دوام صداقتهم، عند ذلك تكون الصداقة للمصلحة الذاتية وليست للبنيان، فالصداقة الحقيقية هي التي تقوم على المصارحة والتأنيب والإرشاد لما فيه البنيان في الكنيسة.

من جانب آخر، يشعر المؤمن أحيانا انه معرض لضغوط كي يساير الآخرين في سلوكهم أو يجد نفسه محرجا في كيفية التصرف حيال صديقه محاولا التخفيف عن كاهله وما يحمله من معاناة، فيلجا إلى آخرين ليشركهم في الأمر كاستشارة أو طلب مساعدةٍ أو لشعوره بتأثيرهم على صاحب الشأن بطريقة هادئة لا تجرح كبرياءه، محاولا بذلك أن يحقق شيئا مما يبغي في إصلاح أخيه الإنسان وتوضيح هفواته ومحاولة إعادته للسير في الطريق السوي؛ وأحيانا يحقق ما يبغي، وأحيانا يحصل العكس تماما بسبب النميمة والتأويل والتحوير في الكلام والتفسير المغرض والملابسات التي تستجد وما إلى ذلك من أمور يزخر بها المجتمع اليوم، فتتعقد المشكلة أكثر وتفتح متاهات

ومنحدرات جانبية تصبح حاجزاً كبيراً في سبيل الوصول إلى الهدف الأساسي، (الرجل اللئيم، الرجل الأثيم، يسعى باعوجاج الفم ، يغمز بعينيه، يقول برجله، يشير بأصابعه، في قلبه أكاذيب، يخترعُ الشرّ في كل حين، يزرعُ خصومات، أم ٦: ١٢ – ١٤).

وحين نتأمل كمؤمنين هذه المعطيات، نصل إلى قناعة أكيدة مفادها : ما علينا إلاّ أن نعود إلى الجذور، إلى الكتاب المقدس، فالرب يسوع علمنا أن يكون كلامنا نعم ولا، وما زاد على ذلك فهو من الشرير (مت ٥ : ٣٧)، أي أن نتصرف بصراحة تامة وصادقة مع الآخرين، وأنت حين تعاتب أخاك بالطريقة التي علمنا إياها الرب (مت ١٨ : ١٥) تكون قد أغلقت الباب على النمامين الذين يفرقون الأصحاب، وقطعت لسان الكذب الذي يزرع الخصام، واستبعدت اللئيم والنمام الذي ينبش الشر ويطلق الخصومة ويفرق الأصدقاء (أم ١٦: ٢٧و٢٨)، وتذكر ايها المؤمن ان غايتك المثلى في الحياة هي أن تحسن الجهاد في حربك الروحية متمسكا بالإيمان وبالضمير الصالح (١تيمو١: ١٨)، وان تعمل عمل الصديق الذي يفضي إلى الحياة الأبدية (أم١٠: ١٦)، وان تسلك بنزاهة لان ذلك يجعلك تسلك في المجتمع مطمئنا (أم ١٠ : ٩) ، ليئول عملك إلى البنيان دائما .

شخصيات خالدة

أذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله
أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بهم
عب١٣: ٧

أنت ويونان

كم هي عظيمة الدروس والعبر التي نتعلمها من قصة النبي يونان في علاقته مع الله وتوبة أهل نينوى، والتي تمهّد طريق الخلاص للمؤمن السائر في دروب الحياة.

حاول يونان الهرب من وجه الرب، ليتخلص من " المهمة الصعبة" التي امره الرب القيام بها، حاول الهرب بعقلية بشرية محدودة، ولكن إلى أين يهرب والله موجود في كل مكان؟، إلى أين يهرب والله جالس على كرة الأرض (اش ٤٠ : ٢٢) والأرض كلها مملوءة من مجده (اش ٦ : ٣).

تناسى يونان وهو في ضيقة من أمره عدم محدودية الله ووجوده في كل مكان وقدرته الفائقة على كل شيء، واعتقد انه سوف يستطيع الاختفاء من وجه الله، غير متذكر قول الرب على لسان النبي عاموس : (إن نقبوا إلى الجحيم، فمن هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أنزلهم، وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتش فآخذهم، أو استقروا من أمام عيني في قعر البحر فمن هناك آمر الحية فتلسعهم (عا ٩: ٢و٣)، وهذا ما كان، فقد حاول يونان الهرب عن طريق البحر، فأتى الرب ريحا شديدة على البحر وكانت زوبعة عظيمة في البحر وكادت السفينة تغرق، وحصل ما حصل ليجد يونان نفسه في جوف الحوت يصرخ ويستنجد بمن أراد الهروب منه.

الله موجود في كل مكان، ولا تستطيع أيها الإنسان أن تهرب منه أو تتجاهله أو تعيش من دونه، فتعقل يا ابن آدم (لا تكونوا ناقصي الرأي، بل افهموا ما مشيئة الرب، إف ٥: ١٧)، وسلم أمرك لإرادة الرب (ليتوكل على اسم الرب وليستند إلى إلهه ، إش ٥٠: ١٠) ، واعلم انك أينما اتجهت وأي طريق سلكت، فانك لا محالة سوف تلاقي الرب، فلما لا تلاقيه يا هذا بوجه أبيض وقلب نقي وفي يدك سراج منير مملوء بالزيت؟، اجتهد يا عزيزي أن تلاقي الرب هكذا بالصوم والصلاة وأعمال البر والإحسان وفق الفضائل المسيحية، ولا تحاول الهرب من وجه الله في ابتعادك عن الكنيسة وعدم تأديتك لفروض العبادة الواجبة وإهمالك قراءة الكتاب المقدس وعدم التزامك بالوصايا الإلهية، لأنك عندها سوف تلاقي الرب أيضا ولكن بشكل غير مقبول ولا مرضٍ وغير لائق، وحينها سوف تشعر بالضيق كما شعر يونان وتطلب النجدة يوم لا يكون هناك مجالٌ للنجدة .

يونان وهو في ضيقته في جوف الحوت عاد إلى رشده، فصلى وصرخ الى الرب (يون ٢ : ٣) واستجاب الرب له، إذ من الرب وحده الخلاص (مز ٦٢: ٢)، وهو الذي يجتذب الإنسان من فم الضيق (أي ٣٦ : ١٦)؛ وأنت أيها المؤمن، تذكر الرب دائما وفي كل ضيقة تمر بها، اندبه وصلِّ إليه بقلب منكسر، وعندها حتما سوف تنال ما

تريد ويرحمك الرب ويستجيب لك ويعيدك إلى شاطئ الأمان، لتعمل مشيئته وتشهد بين الناس كما فعل يونان، قم يا ابن آدم، قم انطلق نحو الله، وانهض من كبوتك الآن كما قال الرب ليونان (قم انطلق)، قم اعمل أيها الإنسان، اعمل عمل الأيمان والخير والإحسان، قم فادع إلى إلهك، ولا تتهاون، قم واسلك كما يحق لإنجيل المسيح، فهذا أمر الهي يدعوك لتنهض من سقطتك وتنال الخلاص.

ومن قصة يونان أيضاً نتعلّم أن الرب مُحبٌ ورؤوف، طويل الأناة وعظيم الرحمة، وهو صالح للجميع ومراحمه على كل صنائعه (مز١٤٥: ٨ و ٩)، يعطف على كل الجنس البشري، ويدعو جميع الناس إلى الإمتثال لأوامره والسير بعدله وحقّه، ويريد الخلاص للجميع (١تي٢: ٤)، فهو لا يريد أن يهلك أحد من البشر، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة (٢بط٣: ٩)، ولهذا أرسل الله يونان إلى أهل نينوى الوثنيين المنغمسين في عبادة الأصنام ومغريات الحياة الدنيا والنجاسات، وعطف عليهم وقبل توبتهم.

وأنت أيها المؤمن، مدعو لتعمل عمل الرب في المجتمع، تدعو الناس، نعم كل الناس إليه، تبذل كل ما تستطيع من جهد لتنقل نور يسوع للعالم، ليخلص الجميع وإلى ربهم يرجعون، فقم انطلق الآن، قم اعمل ولا تتهاون، قم سر في طريق الدعوة للتوبة ونيل الخلاص، اعمل الحسنات ليرى الناس نورك ويمجدوا أبانا الذي في السموات.

بين عيسو وهيرودس

قول مأثورٌ نسمعه كثيراً، أن التاريخ يعيدُ نفسه، دلالة على تكرار أحداثٍ متشابهة بين الحين والآخر عبر الأجيال، وهذا التشابه يكون عادة بالمفردات التي يشتملها الحدث.

واليوم ونحن نعيش أحداث الميلاد العجائبي المجيد للرب يسوع بالجسد في مغارة بيت لحم، نقف عند مشاعر الكراهية الشديدة والحقد التي أبداها هيرودس الكبير تجاه الطفل يسوع وهو مولودٌ صغير ومتواضع في تلك المغارة، فما أن سمع هيرودس من المجوس عن ملك ولد لليهود، حتى استشاط غضباً وأراد التحقق من مكان ولادة هذا " الملك " وهويته، وطلب من المجوس أن يتحققوا هم من ذلك ويعلموه (مت٢: ٨)، وغايته في ذلك هي التخلص من هذا المولود الذي أصبح مصدر خطر كبير على ملكه، إذ وهو بعد مولود صغير، دُعي ملكاً (مت٢: ٢) واهتم بأمره حكماء المشرق بل سجدوا له وقدموا له الهدايا (مت٢: ١١).

هيرودس الملك الكبير لا يدري أن هذا الطفل الذي ولد عجائبياً إنما هو رب الكون ومبدعه (غل٤: ٤)، وهو ليس بحاجة إلى ملك أرضي محدودٍ وزائل، لأنه يملك الكل وهو المتسلط على الكل (أي٢٥: ٢)، وملكه ملك أبدي وسلطانه في كل دورٍ فدور (مز ١٤٥: ١٣)؛ ولأن هيرودس لم يكن يفقه ذلك، وفكّر بمستوى العقل البشريّ القاصر وحسب، إذ لا قدرة له على التأمل الأعمق وقد أعمت بصيرته المغريات الدنيوية، تملكه الحقد ووصلت به الغطرسة والكراهية إلى قمة ما يمكن أن يصل إليه الفكر الشرير في العالم، فأمر بقتل كل أطفال كورة بيت لحم وتخومها، من عمر سنتين فما دون كما تحقق من المجوس عن زمان ظهور النجم، معتقداً أنه بذلك سوف يتخلص من هذا المولود الملك.

أي حقدٍ هذا أيها الأحباء، حين يقتل مجرمٌ مئات الأطفال الرضّع الأبرياء لسبب تافه هو أن يحقق غايته الشريرة في أن يبقى ملكاً وحيداً لا ينافسه أحد حتى وإن كان طفلاً رضيعاً، وهذا ليس غريباً على هيرودس، فقد قتل خلال فترة ملكه إحدى زوجاته وعدداً من أبنائه وأقربائه بسبب شعوره بأطماعهم في السلطة، كما أمر وهو على فراش الموت باحتجاز عدد كبير من أعيان اليهود والمتقدمين بينهم في المجتمع، ليقتلوا فور إعلان وفاته هو، لئلا تغمر الفرحة المجتمع اليهودي بموته بل تكون مناحة عظيمة في البلاد.

هكذا عاش هيرودس حياة دموية وتناسى أن التدبير الإلهي أعظم بكثير من مخططات الأشرار، فلا المجوس عادوا إليه (مت٢: ١٢)، ولا هو استطاع أن يؤذي الطفل المولود في بيت لحم، حيث العائلة المقدسة بإرشاد سماوي كانت قد تركت اليهودية إلى مصر هرباً من الطاغية (مت٢: ١٣ و ١٤).

وهكذا يعيد التاريخ نفسه أيها الإخوة، فها هو يسوع الطفل يهرب من أمام وجه هيرودس الحاقد الذي كان يبغي قتله، تماماً كما هرب يعقوب من وجه أخيه عيسو الذي حقد عليه وأراد قتله لأنه أخذ البكورية والبركة منه (تك٢٧: ٤١)؛ الرب يسوع هو من نسل يعقوب بالجسد، وهيرودس أدومي من نسل عيسو بالجسد، وهكذا بعد أجيال طويلة يتجدد حقد عيسو على يعقوب في أحفادهم.

وبينما دام هرب يعقوب طويلاً وعاش حياة غربةٍ مريرة، فأن مكوث العائلة المقدسة في مصر انتهى بسرعة بموت هيرودس الشنيع في أريحا بعد عذابٍ مرير.

السيدة العذراء

في شخصية السيدة العذراء، ملامح أساسية تبرز من خلال القليل الذي كتب ونقرأه عنها في الكتاب المقدس، وهذه الملامح تعلمنا دروساً عظيمة وعبراً روحية تفيد مسيرة حياتنا في العالم، لنسلك كشهود ليسوع، ننقل نوره الأقدس في أرجاء المعمورة، وهي :

(م) محبة : تأصلت المحبة وبرزت بأسمى معانيها في شخصية أمنا العذراء، متمثلة بنقاط ثلاثة هي : محبة الله لها ، ومحبتها هي لله ، ثم محبتها للقريب.

١- الله سبحانه وتعالى، يحب جميع البشر، لكنه أحب أمنا العذراء من بين كل خلائق الأرض محبة خاصة، فائقة ومميزة، إذ اختارها في ملء الزمان لكي يتم بواسطتها ظهور كلمة الله المتجسد، يسوع المسيح، في العالم، فحل في أحشائها فعلاً، وولد منها في مغارة بيت لحم، وقامت بتربيته، ولازمته في إرساليته للعالم، وصولاً إلى إكمال عمل الفداء على الصليب.

محبة الله لأمنا العذراء عبر عنها الملاك المبشر حين قال لها : لأنك قد وجدت نعمة عند الله (لو١: ٣٠)، وهذه المحبة الفريدة أعطت مكانة مميزة للعذراء، لتكون أماً لكل الجنس البشري في العهد الجديد، وأسمى نساء العالم قاطبة.

٢- والعذراء مريم أحبت من جانبها الله من كل قلبها، ومن كل فكرها وقدراتها، فهي الفتاة البسيطة واليتيمة التي لا يعرفها أحد، والتي كانت تعيش في أكناف الهيكل بحسب الشريعة، بكل تواضع ووداعة، وتحفظ الشريعة وتطبقها بأمانة، وكان ذلك واضحاً من خلال مسيرتها في الحياة وكما نقرأ عنها في الكتاب المقدس، فهي تلتزم بتعاليم الآباء في اختيار يوسف البار خطيباً لها، ثم اختتان الطفل الذي ولدته وبحسب الشريعة في اليوم الثامن، وتسميته يسوع كما أعلن الملاك، وتقديمه للهيكل وإكمال طقوس التطهير بعد الولادة، والصعود سنوياً إلى الهيكل في أورشليم .. إلخ؛ إذن كانت العذراء مريم تقية تسلك في طريق البرارة ومخافة الرب، إضافة إلى ما ظهر واضحاً من خلال أنشودتها الخالدة والتي مطلعها : تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي، وفيها تظهر محبتها لله من خلال درايتها ومعرفتها لأسفار الكتاب المقدس الذي اقتبست منه الكثير من المفردات، وأعلنت رب الكون مخلصاً وقدوساً وقديراً ورحوماً وله القدرة على كل شيء، وأميناً على الوعد الذي قطعه لشعبه المختار.

والعذراء مريم أحبت الله بمعنى المحبة الكتابية حين وافقت على الإختيار الإلهي بهدوء ووداعة بعد أن استوضحت بكل تواضع من الملاك، لتقول : هوذا أنا أمة الرب، فليكن لي كقولك؛ وهكذا تكون أمنا العذراء في محبتها لله تطبق الوصية الأولى والعظمى : أحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل قدرتك (تث٦: ٥).

٣- والعذراء مريم أحبت القريب، أي أنها أحبت كل البشرية في المفهوم الكتابي للقريب، حين قبلت الدور الذي اختاره الله لها في مهمة الخلاص التي قام بها كلمة الله المتجسد، يسوع المسيح، وهي بذلك أحبت الجنس البشري، وتحملت السيف الذي جاز في نفسها (لو٢: ٣٥) وصولاً إلى أقدام الصليب، لأنها أرادت الخلاص لكل البشر وتحملت لأجل ذلك تبعات موافقتها الوديعة على الإختيار الإلهي، وهي أحبت البشرية محبة فائقة، يوم منحت البشرية مخلصها الذي ولد من العذراء مريم بالجسد؛ وبهذا تكون أمنا العذراء تطبق الوصية العظيمة : أحب قريبك كنفسك (لا١٩: ١٨).

(ر) رضا : تجلت في شخص أمنا العذراء مريم سمات الرضا الوديع والموافقة البسيطة التلقائية والمتواضعة للتدبير الإلهي في اختيارها أماً لكلمة الله المتجسد، يسوع المسيح، إذ سلمت أمرها وذاتها للرب دون تردد ولا تعقيد، وكأني بها تعلن قائلة : أنا راضية ما دام الأمر من الرب، وما يريده الله فليكن لأنه الحق، ومهما كانت التبعات والنتائج؛ أما الإستفسار الذي طرحته للملاك، فكان بسبب أن الأمر الإلهي يفوق إمكانات وقدرات العقل البشري، إذ كيف يمكن أن تصبح البتول حاملاً دون أن يعرفها رجل، وما سيكون موقفها تجاه المحيطين بها حين يكشف سرها؟ ..إلخ ، ومع كل ذلك رضيت ووافقت فوراً بعد أن أوضح لها الملاك الأمر، معلنة انها أمة الرب، وليكن لها كما يريد الرب.

(ي) يقين : في شخص أمنا العذراء برز اليقين الراسخ والأيمان الثابت بأسمى أوصافهما، فهي صدقت بكل ثقة قول الملاك لها، وأيقنت أن الله قادر على كل شيء، ولا مستحيل عند الله كما قال الملاك، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله (لو١: ٣٧).

أمنت العذراء بأن الروح القدس سيحل عليها وقوة العلي تظللها، وأيقنت أنها ستحبل بمعجزة ربانية وأن من سيحل في أحشائها هو القدوس ابن العلي، وبقيت أمينة ومؤمنة بما عاهدت الله عليه طوال سني حياتها على الأرض.

(م) مرارة : اقترنت شخصية العذراء مريم بالأحزان والأوجاع والأتعاب والألم، فذاقت مرارة ما عاهدت عليه، ووصفت بأنها أم الأحزان، تحملت الكثير وعانت الكثير بصمت ووداعة، خلال فترة حملها وهي بتول، وفي ولادتها خارج بيت لحم في مذود للحيوانات، وهرب العائلة المقدسة إلى مصر، وتربيتها الطفل المولود في الناصرة، وصولاً إلى ذروة المرارة حين جاز في نفسها سيفٌ (كما أعلمها سابقاً سمعان الشيخ) وهي تنظر ابنها الحبيب معلقاً على الصليب ليموت بين اللصوص مطعوناً عرياناً مهانا.

وكان لابد من هذه المرارة وهذا الألم الذي قبلته العذراء بصبر عظيم إذ كانت تحفظ في دواخلها السر الخفي الذي استودعه الملاك لها يوم بشرها بالحبل الإلهي، ولم يعلم به أحد من الناس حتى رسم وصوّر واستعلن على عود الصليب، إنه سر الخلاص واستعلان ملكوت السموات، فالملاك قال لأمنا العذراء متحدثاً عن الرب يسوع : يعطيه الرب الإله كرسي داؤد أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء (لو١: ٣٢و٣٣)، وهذا ما حدث، فالرب يسوع بارتفاعه على الصليب كسر شوكة الخطية والموت وانتصر على إبليس، ودك أساسات الهاوية وأنقذ الماسورين فيها، وأعاد البشرية إلى مكانتها الأولى التي خلقها الله فيها أصلاً، فأكمل بناء مملكة السماء

التي لا انقضاء لها، وأعطي كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض (مت٢٨: ١٨)، وأسس بذلك دعامات الكنيسة التي لا تقوى عليها أبواب الجحيم (مت١٦: ١٨).

وختاماً أيها الإخوة إذا ما تأملنا خلاصة هذه الملامح في شخصية أمنا العذراء وهي : محبة، رضا، يقين، مرارة، وجمعنا الأحرف الأولى من كل كلمة : (م ، ر ، ي ، م) نحصل على أسم أمنا العذراء بالذات : مريم.

فلتكن شفاعتها معنا، وليكن سلام مولود بيت لحم، فادينا يسوع، في قلوبنا وبيوتنا وكنيستنا ووطننا على الدوام، آمين.

المعمدان

حياة يوحنا المعمدان كنز روحي ثمين مليء بالدروس والعبر البليغة لمن يروم السير في طريق الرب ويتخذ المبادئ المسيحية حياة يعيشها فعلاً وصولاً إلى الملكوت.

كان يوحنا يعمد في نهر الأردن ويكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا (مر١: ٤) حين أرسل رؤساء اليهود من أورشليم كهنةً ولاويين ليسألوه :- من أنتَ ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ (يو١: ١٩ و٢٢)، وهذا هو منطق البشرية دائماً، تسأل عن الذات والأنا، ويتوقف إدراكها عند حدود الشخصية الإنسانية وكيانها ومكانتها الدنيوية بين الآخرين، فقد كان كل همّ اليهود أن يعرفوا من هو يوحنا وحسب.

لكن يوحنا في إجابته على استفسار رؤساء اليهود علّم البشرية كلها درساً بليغاً بالتواضع ونكران الذات والإبتعاد عن الأنا، فبعد أن اعترف أنه ليس المسيح ولا أيليا ولا " النبيّ " كما كانوا يعتقدون، أعلن قائلاً :- أنا صوتُ صارخ في البرية، قوّموا طريق الرب كما قال إشعيا النبي (يو١: ٢٣ و إش٤٠: ٣)، أي أنه لم يذكر شيئاً عن شخصه هو، أهمل ذاته وأبقى الأنا مجهولة حين قال " أنا صوتُ صارخ في البرية "، ابتعد عن التفاخر بالذات وتجنب الكبرياء والتعالي، فلم يعرّف بهذا " الصوت" بل تحدث عن الرسالة التي أرسل من أجلها " قوموا طريق الرب " إذ جاء ليشهد للنور (يو١: ٨) ويدعو الناس للتوبة والإعتراف بالخطايا ليكونوا أهلاً لسلوك طريق مستقيم نحو المسيّا، ابن الله المتجسد، الذي شهد له بكل صراحة وعرّف به بشكل واضح قائلاً : هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم (يو١: ٢٩) وانه ابن الله الذي جاء يعمد بالروح القدس (يو١: ٣٣و٣٤).

ومع أن النبي ملاخي تنبأ عن مجيء النبي أيليا قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف ليرد قلوب الآباء على الأبناء والأبناء على آبائهم (ملا٤: ٥ و٦)، والملاك جبرائيل أعلن لزكريا الكاهن أن يوحنا المعمدان هو الذي سيتقدم أمام الرب بروح أيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء (لو١: ١٧)، والرب يسوع أعلن صراحة أن يوحنا المعمدان هو أيليا المزمع أن يأتي (مت١١: ١٤)، لكن يوحنا المعمدان تواضعاً لم يشأ أن يقولها هو عن نفسه، إذ لم يرغب في تمجيد ذاته.

هكذا ينسى المعمدان شخصيته، ويهمل ذاته، ويعرّف فقط بيسوع المسيح، ويبقى أميناً على الرسالة التي أُرسل من أجلها وأكملها بكل إخلاص، وهكذا يريدنا الله أيها الأحباء، شهوداً ليسوع في المجتمع، نخدم رسالتنا المسيحية التي وجدنا من أجلها كمؤمنين وأعضاء في جسد يسوع الطاهر، أي الكنيسة، لا نخدم ذواتنا؛ ونعمل أن يتمجد اسم الرب، لا أنفسنا ومكانتنا؛ نستغل كل ما نستطيع من جهود وإمكانات لنقل

نور يسوع الذي فينا إلى العالم، ولا نستغل ما نصل إليه أو توفرهُ الكنيسة لنا لتمجيد ذواتنا والتعالي بمكانتنا على الآخرين.

علينا أن نعمل ليتمجد اسم الرب بينما نختفي نحن، وهذا ما عمله المعمدان الذي لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه (مت١١: ١١).

بين
المكابية والكنعانية والأم المسيحية

بين المكابية والكنعانية والأم المسيحية صلة ايمانية، بل آصرة مقدسة جلية، هي اشتراكهنَّ بصفة مباركة زهية، ألا وهي امتلاكهن إيماناً عظيماً، به يعملن بعزمٍ، ويسلكن بثباتٍ في سبيل الشفاء الروحي والخلاص لفلذة أكبادهن، بشكل يسمو فوق مبادئ العاطفة وحنان الأمومة في نفوسهنّ.

فالمكابية القديسة شموني (٢مك٧: ١ – ٤٢) بيقين راسخ وبرباطة جأش فريدة، تتقبّل استشهاد أبنائها السبعة الذين قتلوا بشكل شنيع على أيدي الوثنيين القساة وأمام ناظريها، متغلبة بذلك على الصراع العنيف في دواخلها مع حنان الأمومة البشرية من جهة، ومتمسكة بصلابة الأيمان الذي يضمن خلاص أبنائها من جهة أخرى؛ وهكذا استمرت تشجع أبناءَها على التمسك بعقيدة الآباء، ونبذ عبادة الأوثان، ورفض التنعم بمغريات الحياة الأرضية الزائلة، كي لا يخسروا حياة الخلود مع الرب، ما جعلهم يتقدمون الواحد تلو الآخر، وبمختلف أعمارهم، وبكل جرأة وشجاعة نحو الإستشهاد، لتستشهد هي الآخرى معهم، وترقد قريرة العين لاقتناعها واطمئنانها على نيل أبنائها إكليل المجد، وحصولهن على الحياة الأبدية السعيدة مع الله.

والمرأة الكنعانية في تخوم صور وصيدا، والتي جاءت إلى الرب يسوع طالبةً الشفاء لابنتها المعذبة بالروح النجس (مت ١٥: ٢١ – ٢٨)، كانت مستعدة بإيمانها العظيم - والذي امتدحه الرب يسوع له المجد - أن تتحمل كل شيء، وتتقبّل ما بدا أنه إهانة قاسية في حديثها مع الرب (مع أنها من الكنعانيين الذين كانوا أسياد البحر المتوسط بأساطيلهم وحضارتهم) حيث ارتضت أن تُشبّه بالكلاب، وأن تكتفي بتناول الفتات المتساقط عن موائد الأسياد، لأجل خلاص ابنتها ونيلها الشفاء.

وهكذا تكون الأم المسيحية أيها الإخوة، راسخة في الأيمان كالقديسة شموني، لا تأبه بالموت في سبيل الحفاظ على عقيدة الأجداد السمحاء، ونيل الخلاص الأبدي لأبنائها، وهي كالكنعانية، تتحمل الكثير من الآلام والمعاناة، وتكابد أقسى المشقات، وتظهر أسمى معاني المحبة المسيحية الباذلة تجاههم، وجل ما تصبو إليه في كل ذلك هو أن يبلغوا الحياة الأبدية في أكناف رب السماء، مع أنها قد تبدو قاسية في موقفها هذا بمفهوم البشر، لكنها قسوة ايمانية وغيرة روحية يحكمها عقل الأم المؤمنة لتؤول على أبنائها بالنفع والخلاص في عيشهم كما يحق لإنجيل المسيح، وتضمن لهم الملكوت.

وبذلك أيها الأحباء، تكون الأم المسيحية المؤمنة، لبوَة ربضت بين الأسود (حز١٩: ٢)، تربي أشبالها بحكمة، وتسهر على راحتهم، وتلقنهم المبادئ الايمانية، وتعلمهم

المعتقد القويم، ما يؤهلهم أن يكونوا أبطالاً في الأيمان راسخين، وتنال هي كرامة المرأة الفاضلة التي يفوق ثمنها اللآلئ (أم٣١: ١٠) وتخلص بتربية البنين (١تيمو٢: ١٥).

الطوبى للمكابية الشهيدة، ومرحى لإيمان الكنعانية العنيدة، وهنيئاً للبوة المسيحية الصنديدة التي ترضع الأيمان، وتنشئ جيلاً مستعداً للشهادة ليسوع، وعظيم الشأن.

مار يعقوب البرادعي
والتقية تيودورة

تستذكر الكنيسة السريانية الأرثوذكسية مع يوبيل الألفين لميلاد الرب يسوع بالجسد، الذكرى المئوية الخامسة عشرة لولادة شخصيتين عظيمتين في تاريخ الكنيسة هما القديس الجليل مار يعقوب البرادعي والقيصرة السريانية التقية تيودورة ، إذ لمع نجميهما في القرن السادس الميلادي وفي وقت كانت فيه الكنيسة السريانية بأمس الحاجة إلى أبطال في الفضيلة والصلاح والتمسك بالإيمان الأرثوذكسي المبين، وتثبيت دعائم هذا الجسد المقدس أي الكنيسة في بلاد سوريا ومصر وما بين النهرين في مواجهة إضطهاد شرس مرت به الكنيسة في تلك الفترة، وذاقت خلاله الأمرّين من قتل وتشريد ونفي وإهانات، طالت آباء الكنيسة ورهبانها وشمامستها ومؤمنيها على حد سواء.

وكان الله مع الكنيسة السريانية، وتذكر المؤمنون قوله له المجد : وها أنا معكم كل الأيام وحتى انقضاء الدهر (مت٢٨: ٢٠)، حين هيأت العناية الإلهية قائدا روحيا فذا هو القديس مار يعقوب البرادعي، الذي أرسله الله نصيرا للهدى، ودعمه بفعل المعجزات الخارقة، ووهبه أن يعيش حياة الفضائل المسيحية، فانتشرت بَنَّةُ نسكه وتقواه الطيبة في أرجاء المعمورة، ونجح في إدارة دفة سفينة الله، الكنيسة المقدسة، في تلك الظروف الصعبة ليوصلها إلى ميناء السلام بحكمة قوامها المحبة والتآخي والتفاهم والتآلف مع كل الاخوة المؤمنين في الكنائس الأخرى يومئذ .

نجح مار يعقوب البرادعي في مهمته وكان بطلا سريانيا أرثوذكسيا فريدا ، وغلب في المعركة مستخدما سلاح الله الكامل، لا سلاح البشر، فهو لم يستخدم السيف ولا العصا كما فعل الآخرون، ولم يكن يعرف في قاموس حياته العنف أو الإعتداء أو التعالي أو الحسد أو الكراهية أو العنصرية، بل عاش حياته رجل سلام ومحبة، رجل بر وتقوى، رجل تواضع وبذل، واكتفى بقول الرب (تكفيك نعمتي)، استخدم النعمة الإلهية التي أسبغها عليه الله ليوحد الصفوف ويثبت المؤمنين ويصالح الاخوة المتخاصمين ويقرب وجهات النظر بين الأطراف المتباعدة المتناحرة لما فيه خير الكنيسة؛ وفي سبيل إحقاق الحق والتمسك بالإيمان المستقيم، عاش مجاهدا وداعية سلام وتآخٍ، وبذل ذاته في سبيل ذلك، إذ انتقل من هذا العالم وهو في مهمة سلام صعبة في الطريق إلى الإسكندرية.

ونجحت القيصرة السريانية التقية تيودورة هي الأخرى في القيام بالمهمة التي أوكلها إياها التدبير الإلهي، حين ارتقت عرش بيزنطية في تلك الظروف القاسية، والتي كانت فيها السلطة البيزنطية هي المضطهد للكنيسة الأرثوذكسية، فعملت على التخفيف

عن الآباء المضطهدين وفسح المجال للتشاور وتبادل الآراء في المواضيع المختلف عليها، وعضدت القديس البرادعي في جهاده، كما عملت على نشر الإيمان المستقيم بين الوثنيين في آسيا الصغرى وبلاد الحبشة.

والمؤمنون اليوم حين يستذكرون هاتين الشخصيتين الفريدتين في تاريخ الكنيسة، إنما يتخذانهما قدوة في العمل في حقل الرب من حيث التمسك بالإيمان القويم والتحلي بروح المحبة والتسامح والتآخي، خاصة وأن كنيسة المسيح تحتاج جهودا مخلصة لتوحيد صفوفها وتماسك أبنائها، لا بالكلام المنمق والبيانات الرنانة والاحتفالات الشكلية العابرة، بل بالإيمان الصادق والإرادة الأكيدة والعمل المخلص في اتجاه واحد يقول : لا غالب ولا مغلوب، كلنا واحد في المسيح المصلوب ، وعندها فقط تكون كنيسة المسيح واحدة، ويكون جسد المسيح غير ممزق، ونكون سائرين في طريق الوحدة المسيحية بحق .

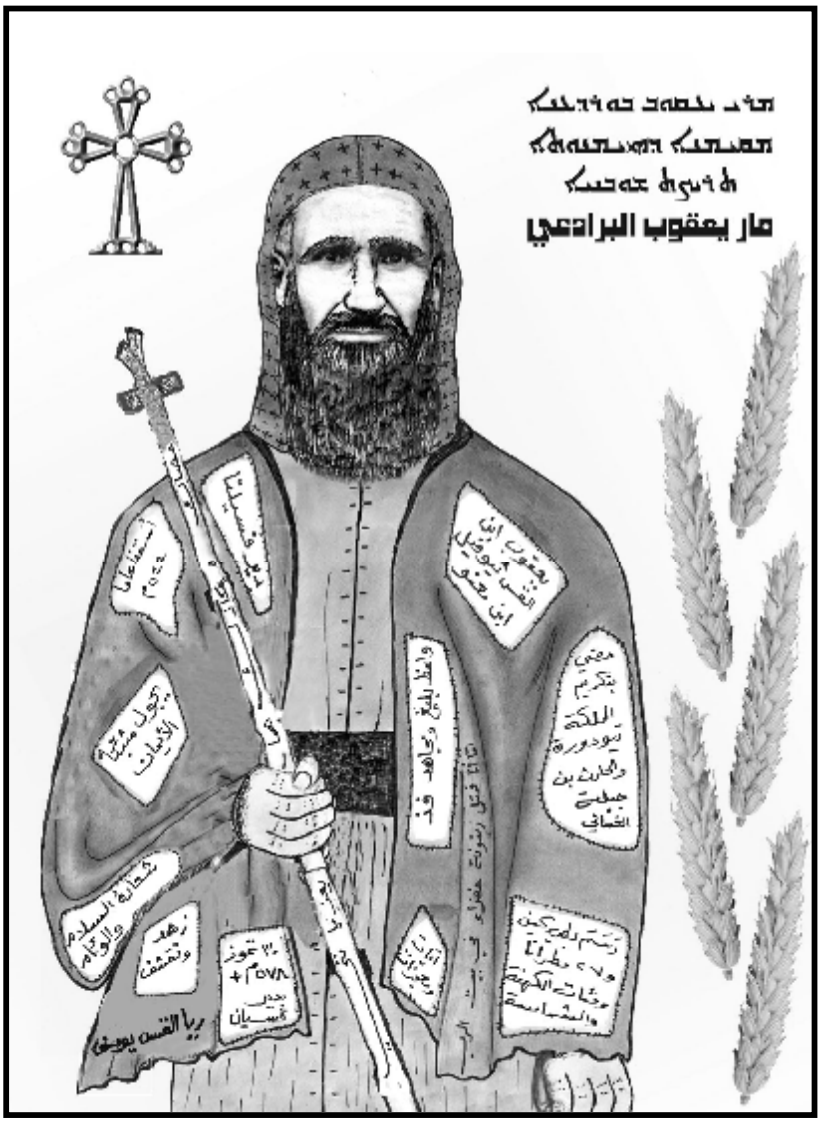

مار ميخائيل الكبير

ذكر الصدّيق للبركة (أم٧: ١٠) وها نحن اليوم مجتمعون في هذا المهرجان الكبير (من ٨ – ١٢ تشرين الثاني ١٩٩٩م) في ذكرى مرور ٨٠٠ سنة على رقاد القديس الجليل مار ميخائيل الكبير طالبين بركة الرب لجمعنا بهذه المناسبة المقدسة.

ذكر الصدّيق يدوم إلى الأبد (مز١١٢: ٦) وها بطريركنا العظيم مار ميخائيل الكبير يحتفى بذكراه وبعد مرور ثمانية قرون على انتقاله من هذا العالم الفاني، وسوف تبقى ذكراه العطرة خالدة في النفوس على مر العصور وكلما تكرر الرقم ٩٩ في التقويم الميلادي.

مار ميخائيل الكبير، علم ومعرفة ودهاء، وكان رمزاً للثبات والعطاء، وفي التاريخ أبلى بلاء، ولأمّنا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، كان عربون انتماء.

مار ميخائيل الكبير، قوة روحية وثراء، لكل مؤمن يسلك طريق حمل الصليب، ويتسربل بالبر والقداسة والنقاء، ويجسّد عملياً نهج الولاء، للمبادئ الراسخة في كنيسة رب السماء، على ركائز الأيمان والمحبة والرجاء.

مار ميخائيل الكبير، رمزٌ للعطاء الأرثوذكسي الذي لا ينضب، وركيزة في صرح الإجتهاد والنبوغ السرياني الأنطاكي المخضّب، بحبر العلم والمعرفة، وزيت ثمار شجرة الأيمان بظلالها الوارفة، فتلك هي سمات الرجال العُظام في تاريخ كنيسة المسيح.

مار ميخائيل الكبير، قدوة لكل مؤمن مسيحي مجتهدٍ ومكافحٍ في حقل الرب، من يوظف الأيمان حياةً ملؤها البذل والمحبة والعطاء والتمسك بالوديعة الإيمانية الحقة، وهو سيفٌ بوجه كل تكاسلٍ وتهاونٍ وتراخٍ في المتاجرة بالوزنات التي أودعها رب السماء كلاً منّا.

مار ميخائيل الكبير ثورة على كل طامعٍ بالمناصب والكراسي في حقل الخدمة، وكل متلهفٍ للجاه والغايات الشخصية البعيدة عن روح الخدمة الحقة الباذلة، وهو صرخة بوجه كلّ متحايلٍ على الأيمان الحق للكنيسة وأنظمتها وقوانينها الشرعية تحت شعارات ومسميات براقة تطرح على الساحة المسيحية اليوم وهي في حقيقتها لا تحمل جوهراً ولا روحاً.

يحق لك أيتها الكنيسة المقدسة أن تبتهجي في هذا اليوم المبارك، وأنت تحتفلين بمهرجان مار ميخائيل الكبير، فأنت بهمة هؤلاء الرجال العُظام، ومهما قسى الدهر عليك، ومهما سعى الموت إليك، تبقين قوية راسخة، وتكمن قوتك بما قاله الرب عنك : أن أبواب الجحيم سوف لن تقوى عليك (مت١٦: ١٨)، فهو - له المجد – يرعاك ويعضدك ويسند خطاك، ويهيء لك الخدام الأمناء والعلماء الأفذاذ ليجاهدوا محافظين على وديعة الأيمان فيك، وعلى مر العصور وإلى دهر الدهور.

الأرخدياقون نعمة الله دنو

تاريخ الكنيسة يصنعه المؤمنون السائرون في طريق الرب، المجاهدون من أجل مسيرة أرثوذكسية في درب الإيمان نحو ميناء السلام؛ والمؤمنون يتمثلون برموز عليا يتجسد فيها عزمهم ورجاؤهم وآمالهم وتطلعاتهم نحو الملكوت، وتلك الرموز تخرج من بين صفوف المؤمنين وقد منحها الله من المواهب ما تتحلى به وتتميز، إذ وسمها بسمات عظيمة لتقود الكنيسة وتجاهد من أجل الحق والعدل ومخافة الله، ولتبني أمجادا روحية وتعمل بمحبة صادقة، ليبقى شامخا صرح الكنيسة المقدسة وتستمر مسيرتها بكل ثقة وإيمان .

والمرحوم الأرخدياقون نعمة الله دنو هو واحد من القلائل الذين كانوا هبة الباري تعالى لكنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية المقدسة في النصف الأول من القرن العشرين، وبالذات لأبرشية الموصل السريانية العريقة، إذ كان رمزاً لجمع مؤمن يحافظ على الوديعة الإيمانية وينقلها بأمانة للأجيال اللاحقة حتى آخر لحظة من حياته التي كانت عند الساعة الثالثة من عصر يوم الجمعة الموافق ١٨/ ٥/ ١٩٥١م.

وحق لكنيسة السريان أن تحتفي بذكراه لما كان له من دور بارز هيأه إليه الروح القدس في نهضة كنيسة الموصل السريانية بالذات، مسجلا تاريخاً مجيداً بأحرف من نور، ينعش الأمجاد السريانية، وينشر عبق الإيمان الأرثوذكسي في أرجاء المعمورة.

وفي سمات هذا الإنسان، شخصية تفجرت عن حس وشعور بالمسؤولية متوهجان تجاه الكنيسة، وإرادة صلبة يعضدها تواضع وعفاف مشهود وصدق مع النفس والآخرين، وقول الحق الذي لا يخاف فيه لومة لائم، وثبات على المبادئ الإيمانية مهما تكالبت حولها قوى الشر، إلى غير ذلك من سمات وخصائص عظيمة جعلت شخصيته ترفل بالمعاني الإنسانية والينابيع الإيمانية التي تمنح كل ما هو خير ومحبة للمؤمنين، هذه السمات الرائعة إنما هي امتداد للرموز التي سبقت في تاريخ الكنيسة وصنعت التاريخ ودونته بأحرفٍ نورانية، وفيها يكمن سر ديمومة مسيرة الكنيسة التي تستند على صخرة الإيمان المتينة والتي أعلنها الرب يسوع في قيصرية فيلبس قائلا: وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦ : ١٨).

ومن خلال متابعتي لحياة هذا الرجل، وخلال قراءتي عنه، شعرت أنه أكبر من كل ما كتب عنه، وهو أكبر من كل ما يقال عنه، وهو أكبر من كل ما نعرفه عنه، وحتما هو أكبر من كلماتي المتواضعة هذه بحقه، فقد عمل بتواضع وهدوء وعزم ثابت واستثمر كل طاقاته في بناء الكنيسة ووظّف دوره في المجتمع لمستقبل الكنيسة، وأزهر عطاءً في المؤمنين لكي لا يظهر هو بل تنتعش الكنيسة؛ والرجال العُظام هكذا يكونون، يهيئهم الرب في الأوقات المناسبة لخدمة مسيرة الكنيسة ونهضتها ويكون وجودهم في تلك الحِقب الزمنية ضرورة حتمية لإنعاش جمع المؤمنين، فهكذا يعمل الروح القدس في الكنيسة .

الدكتور عبد الأحد عبد النور

ثمة شخصيات مميزة تبرز بين الحين والآخر في حياة الكنيسة، يستوجب الوقوف عندها والتأمل في النهج الذي سارت به على هذه البسيطة لاستخلاص الدروس والعبر من العطاء الذي قدمته في حقل الرب.

ولا أريد هنا أن اذكر هذه الشخصيات لغرض المديح والإطراء وحسب، فهذا ليس نهج "صدى المحبة "، ثم أن تلك الشخصيات لا تحتاج مديحا لأن البصمات التي تركتها في المجتمع تعبر عن منهج حياة كامل وجليل، وكفاح أيماني يفوق المديح ويسمو فوق الإطراء ، بعضهم كُتب عنه سابقا، والبعض الآخر قدَّم وعمل بهدوء ووداعةٍ، تاركا ذكراه في قلوب الناس دون أن يوثّق عمله، أو أن يشار إليه في كتاب أو نشرة، وسوف تحاول " صدى المحبة " أن تعرِّف بهؤلاء تباعا على صفحاتها لتبرز الدور الذي قام به كل منهم، وتشجع على الإقتداء بهم والسير على منوالهم، لما فيه الخير والبنيان لأمنا الكنيسة المقدسة .

واليوم أجد قلمي منحازا إلى شخصية طبيّة معروفة خدمت الكنيسة والمجتمع في مدينتنا المحبوبة " الموصل " بكل أمانة واندفاع، إنه المرحوم الدكتور عبد الأحد عبد النور (١٨٨٨ – ١٩٤٨ م)، والكلام عنه كثير بعطائه المميز، فقد كان من رعيل الرجال " القلائل" الذين يدخلون إلى هذه الحياة ويعيشون لغيرهم ويتركون بصمات واضحة لا يمكن للإنسان الواعي أن ينساها، بل ينكرون ذواتهم في سبيل أمتهم ووطنهم وإيمانهم.

عاش المرحوم الدكتور عبد الأحد عبد النور جل حياته لغيره ، وكان مثلاً أعلى للرجل الحقيقي والطبيب الصالح الذي اتخذ الطب ليس وسيلة للعيش ولا حبا بالمال بل كخدمة نبيلة، ليعالج أسقام البشرية ويخفف آلامها ، وترك دروسا خالدة في تطبيب النفوس الكئيبة، وهكذا يكون الطبيب الحقّ الذي يحتاجه أبناء هذا العالم .

قال فيه المرحوم الأرخدياقون نعمة الله دنو : انه كان رجل نزاهة وإخلاص في ما تقلده من المسؤوليات، أبيّ النفس، حر الضمير، بعيدا عن التملق والرياء ، سخيا في المبرّات وأعمال الخير؛ وما شدنّي وتوقفت عنده في حياة هذا الرجل المؤمن، فقرة وردت في الخطاب التأبيني الذي ألقاه الملفان بولس بهنام يوم وفاته، ونقل فيه قولاً للمرحوم الدكتور عبد الاحد عبد النور كان يكرره دائما إذ كان مؤمناً به، وهو " إني أحب أعدائي كثيرا وأحترمهم وأقدرهم لأنهم ينبّهونني على هفواتي، بينما أصدقائي لا يرونها أو يُخفونها عني؛ أحب أعدائي لأنهم ينشرون فضيلتي من حيث لا يعرفون، بينما أصدقائي لا يستطيعون القيام بذلك " ؛ كلمات خالدة تعبر عن المفهوم المسيحي الحق للعمل في الحياة، وتظهر كيف يجب أن يعيش المؤمن المسيحي المشبع بالقيم

والفضائل السامية.

أكتب هذا مذكرا كيف يكون الرجال حين يترصّعون بتاج الإيمان وجواهر فضائل السماء، كيف يكون الرجال حين تربيهم الكنيسة فيلتصقون بها ويشعرون أنهم خدامٌ فيها ولها، ويبذلون ذواتهم من اجلها، فيتركون دويا في هذه الحياة هائلا لا يستطيع الموت أن يسكته، ويبقون لنا ذخرا من المجد والشرف لا يستطيع الدهر أن يسطو عليه ، ويظهرون فضائل عظمى تُسطر على صفحات الحياة؛ وهكذا تكون الحياة في معناها المسيحي وعطائها غير المحدود وخاصة لمن وهبه الله قدرا من العلم والذكاء والمواهب يستغلها لخدمة الكنيسة والمجتمع، فيربح الوزنات الإضافية، يقدمها للرب وينال المكافأة الأبدية .

إنها دعوة لكل مثقف في الكنيسة أن يتخذ من هذا الرجل قدوة في العمل، وكوني طبيب، شعرت باحترام كبير تجاهه لأنه مارس الطب كفضيلة مسيحية قوامها الخدمة والمحبة والتفاني، وهذا ما أتمنى أن يتحلى به كل طبيب مسيحي، خاصة ونحن نعيش حياة صعبة يسيطر فيها حب المال على عقول الكثيرين .

الأب بشارة نعمان نوارة

أيها الأحباء :

لا قيمة لأحداث الماضي إن لم يكن لها تأثيرٌ في حاضرنا وفائدة لمسيرتنا على هذه الأرض، تاركة المعاني والقيم المرجوة لبناء المجتمع، ولا قيمة للحاضر والواقع الذي نعيشه إن لم تكن فيه ركائز راسخة لنهضة العائلة والكنيسة والمجتمع، وازدهار المستقبل أمام الأجيال.

وكما أن للخادم في حقل الرب دور يؤديه في الكنيسة والمجتمع، تاركاً بصماته الخاصة ونكهته المميّزة، كذلك لكل خادمٍ حساب على الدور الذي أدّاه وبحسب إمكاناته المتاحة وطاقاته الشخصية والمستثمرة؛ والخادم الحق هو الذي يقدم كل ما يستطيع وبحسب كفاءته وطاقاته دون أن يطلب مقابل ذلك شيئاً.

أقول هذا وأنا أعترف في هذه العجالة أنني ومنذ صدور العدد الأول من (صدى المحبة) عام ١٩٩٥م. بعون الله ورعايته، وأنا أريد أن أوفي بعضاً من دينٍ عليّ بأن أكتب عن خادمٍ للرب امتلك شخصية بسيطة ومتواضعة جدا، لكنها تركت بصمات قوية ومؤثرة جداً بمجموعة من الشمامسة والخدام والمؤمنين من أبناء جيلي، يوم كنا نواظب على الصلوات اليومية في كاتدرائية مار توما للسريان الأرثوذكس في عقد الخمسينات والستينات من القرن العشرين، إنه المرحوم الأب الفاضل القس بشارة نعمان نوارة، كاهن كاتدرائية مار توما في تلك الفترة.

فتحنا أعيننا في كنيسة مار توما ونحن أطفال، على وجه نورانيّ يشع روحانية وبساطة إيمانية وتواضعاً مسيحياً حقاً، بلحيته البيضاء وألوان الطيف الشمسي تسقط عليها فتجعل من طلعته جزءاً من لوحة فنيّة رائعة مرسومة بيد الله لواجهة المذبح في كاتدرائية مار توما عند صلاة الرمش، والتي لا تغيب عن مخيلتي، بل ترتسم أمامي دائماً وبعد كل تلك السنوات، وتترسّخ كلما زرت كاتدرائية مار توما، فأبتهج بالروح وتنهمر من مقلتي دموع وأنا استذكر تلك اللوحة، وأتذوق ذلك الطعم المميّز لروحانية الصلاة وبساطة وداعة العبادة وحقيقة التقرب بصدقٍ إلى الله في أحضان تلك الكاتدرائية المقدسة وأمام وداعة ذلك الأب الفاضل المرحوم القس بشارة.

امتلك رحمه الرب وداعة نادرة ومميّزة، حتى اعتبره البعض مهمّشاً ومنسيّا في حقل الخدمة، لكن تلك الوداعة علّمتنا الكثير دون حاجة لكتب ومقالات ومواعظ، فقد كانت بساطته وتواضعه منهجاً رائعاً اصطبغت به مسيرة الكنيسة في فترة صعبة جداً مرّت بها وبشكل خاص بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٣، حيث انطبق عليها تماما قول الرب للرسول بولس : تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تكملُ (٢كو١٢: ٩) وطبّق ذلك الأب بشارة تماماً وكأني به يقول مع الرسول بولس : فبكلّ سرورٍ أفتخر بالحريّ في ضعفاتي، لكي تحلّ عليّ قوة المسيح، لذلك أسرّ بالضعفات والشتائم والضّرورات

والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيفٌ فحينئذ أنا قويّ (٢كو١٢: ٩ و ١٠)، إذ كنت تراه عزيزي المؤمن يزور بيوت المؤمنين بهدوء ووداعة متحملاً أنواع الإهانات والرجم بالحجارة والقذف بالكلمات الجارحة، متقبلاً ذلك بكل صبرٍ وفرح روحي، لأنه يؤدي رسالته الكهنوتية بأمانة وبأقصى طاقة يمتلكها وهو النحيل الضعيف البنية والقدرات، ولا يعتمد في كل ذلك إلاّ على الله والايمان الراسخ في دواخله؛ وتلك كانت روح الخدمة الأيمانية الحقة التي امتلكها في قيامه بالواجبات الكهنوتية المختلفة رغم الظروف المرعبة التي كانت تمر بها الكنيسة في تلك الفترة.

ومع أنه لم يفتح مدرسة أو صفاً للتعليم، لكنه امتلك رحمه الرب وبكل وداعة وبساطة أيضاً روح التعليم وخاصة للأطفال، فلا أنسى كيف كان يجلب بيديه الكريمتين منضدة صغيرة (بالعامية ندعوها تختة) يضعها إلى جانب الكود عند صلاة الرمش، ويطلب مني أن أقف عليها وأنا طفل قصير القامة، كي أستطيع أن أتابع الصلاة معه وهو يؤشر بأصبعه على الكلمات والأسطر في كتاب الإشحيم أولاً بأول، وهكذا تعلمت أنا وزملائي الشمامسة الأساسيات لما نعرفه الآن ونخدم به كنيستنا المقدسة، فهو كان بحق مدرستنا الأولى في الخدمة الشماسية.

وكل ما ترك لذكراه في كاتدرائية مار توما، كتاب صغير خطّه بيده المباركة بالسريانية والكرشونية للصلوات والتراتيل أثناء القداس وعلى مدار الأعياد والمناسبات في السنة الطقسية السريانية، وهذا باب آخر ومهم من أبواب التعليم الطقسي في الكنيسة.

ويتفق معي كل من عرف المرحوم الأب بشارة نعمان نوارة وخدماته في الكنيسة أنه كان يعمل كالجندي المجهول في خدمة الرب، حيث كان يذهب من الموصل إلى السليمانية وكركوك وزاخو وسنجار وعقرة لأداء الخدمات الكهنوتية والصلوات في المناسبات الرئيسية على مدار السنة بكل فرح، ودون تردد أو تذمر أو اختلاق أعذار؛ وحين استقرّ أخيراً في كاتدرائية مار توما، كان مذبح مار بهنام القريب من جرن المعمودية في الكاتدرائية هو المذبح الخاص به لتقديم الذبيحة الإلهية بصمت وهدوء، وكم كان يحلو لي أن أخدمه هناك.

ويبقى القس بشارة يخدم بكل تواضع ووداعة حتى أيامه الأخيرة، حيث في آخر خدمة له وهو في المذبح شاهدت إحدى المؤمنات الحاضرات حمامة تحل على هامته وهو يقشعرّ وكأنه رأى رؤيا، فأسرعت إليه بعد القداس وقالت له : ما كان هذا يا أبتي؟ فإني شاهدت حمامة تحل عليك في المذبح! أجابها وقد اغرورقت عيناه بالدموع : يا ابنتي دعي الأمر سرّا، فقد اقتربت نهاية خدمتي، صلوّا لأجلي !! وفعلاً ينتقل الأب بشارة نعمان نوارة إلى الخدور العلوية بهدوء ووداعة أيضاً ويحضر المثلث الرحمات مار غريغوريوس بولس بهنام مطران بغداد والبصرة ليترأس مراسيم دفنه في كاتدرائية مار توما في الموصل يوم الأحد ٢٨ تموز ١٩٦٨م، ويؤبنه بكلمات مؤثرة صادقة.

تأصّلت في نفسي ذكرى " القس بشارة " ومحبتي له، وعرفاناً بأفضاله وخدماته، طلبت من الأخ الأب بشارة صباح الشماني أن يختار الأسم (بشارة) لخدمته الكهنوتية يوم رسم، خاصة وأنه سوف يخدم كاتدرائية مار توما ذاتها التي خدم فيها المرحوم الأب بشارة نعمان نوارة، وأذكر أني رافقت أخي الأب بشارة الشماني في أول قداس له في كاتدرائية مار توما بعد رسامته كاهناً، وألقيت كلمة بالمناسبة قلت فيها للمؤمنين : أيها

الأحباء ها قد عاد إليكم ليخدمكم القس بشارة بوداعته ومحبته، والتفتّ إلى المذبح قائلاً : أيها المذبح المقدس، يا مذبح ما توما الرسول، ها قد عاد الأب بشارة إليك ليحتفل بالقداس الإلهي ويخدم ويبخّر في أرجائك.

وأخيراً نصلي إلى الرب أن يرحمنا بصلاة المرحوم الأب بشارة نعمان نوارة، ويهبه الوزنات التي ربحت من تجارته الكهنوتية في الكنيسة، آمين.

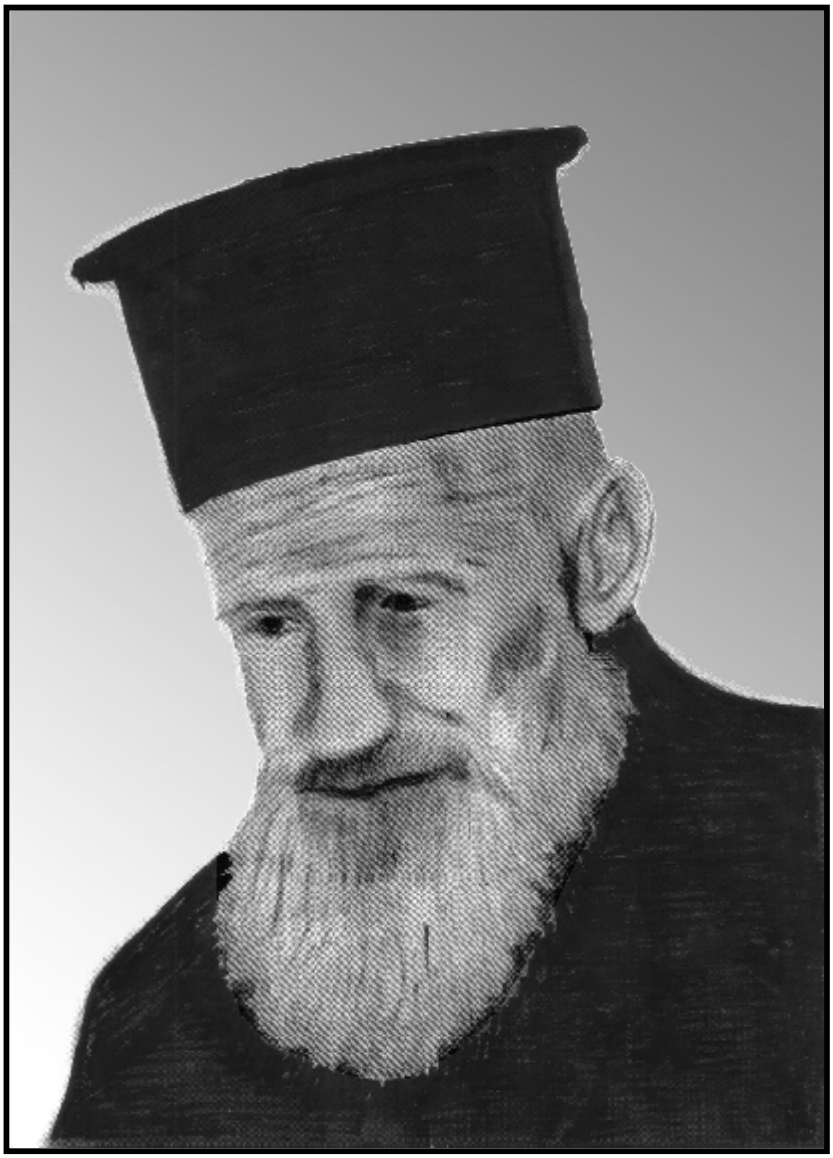

الملفان
مار غريغوريوس بولس بهنام

لنبقَ نتذكر، وعلينا أن لا ننسى آباءنا وعلماءنا ومدبّرينا، ولا ننسَ من أمسكوا بدفة الكنيسة المقدسة وقادوها نحو الأمجاد، فمآثرهم ومؤلفاتهم وخطواتهم هي حياتنا.

هموم الحياة تعمل على جمع الرماد على جمرات شوقنا واهتماماتنا، تحاول أن تنسينا العُظام الأجداد؛ هموم الحياة تحاول أن تجبرنا على الإعتقاد أن من كنا نعشقه قد مضى ومات، وأن ما يحدث في دواخلنا حين نذكر الأحداث هو مجرد ذكريات؛ وما هكذا آباؤنا، يقول يشوع بن سيراخ، بل هم أتقياء وأعمالهم الصالحة لا تنسى (سيراخ ٤٤ : ١٠).

قبل أشهر طرحتُ فكرة على العاملين في مركز التربية الدينية، أن تقام هذه اللقاءات، ونحن في اجتماع قبل أيام معدودات، لمع وميض كالبرق من صرخة أطلقها الأستاذ لوقا متي : أين ذكرى الملفان كما وعدتم؟ وأين الأمسيات ؟، صرخة شعرتُ أنها اخترقت دواخلي، وفتحت كوة على الذكريات، واستعدت في لحظة وفي برهة من الزمن، أحداثاً وآلاماً ومواعظ وأوجاعاً وكتباً ومصنفات، استعدت تاريخاً مجيداً لناسك ملفان، بل ملاكٍ سكران بخمرة الحكمة الإلهية وفلسفة الإيثيقون وروائع التراث السرياني الزاخر بالمعطيات، تاريخ نجمٍ لمع فاستنارت به البلدان، بل مجمرة لبان فاح منها أعطر البنان ، وعبقريّ يشار إليه بالبَنان[٦]، ولا أدري كيف نفض غبار أكثر من ثلاثين سنة عن عيوني التي اغتسلت بما منت به جفوني من دموع ، لأقف أمام ذلك الصرح الشامخ، كما كنت أقف حينها وبيدي المبخرة ليضع البخور فتنتشر أنسام العطور في أرجاء بيعة مار توما، ممتزجة بما كانت تجود به قريحته، من عبق الإيمان وعَرف المعرفة وروائع العلم والبيان؛ أقف وكأنه أمامي الآن، وقلبي يخفق مرسلاً مع كل نبضةٍ حنيناً وقبلات إلى ذلك القلب الحنان، ولثماتٍ لتلك اليد المباركة الجوّادة، واشواقٍ تلتف حول تلك القامة المربوعة التي تحمل بشموخ عبقرية الكنيسة في القرن العشرين.

وأقف اليوم لأعلن وبكل سعادة أن الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام لم يمت، فهو حي في قلوبنا وضمائرنا، وهو قدوة لرُعاتنا، وها نحن نجتمع اليوم لنخلد ذكراه، إذ تمر الذكرى السنوية الحادية والثلاثون على رحيله (في ١٩ شباط ١٩٦٩)، وكما قال ابن سيراخ : لذلك يدومون إلى الأبد ولا يمحى مجدهم، أجسامهم تدفن بسلام، لكن أسماءَهم تحيا مدى الأجيال (سيراخ ٤٤ : ١٤).

---

[٦] البِنان بكسر الباء هي الرائحة ،
أمّا البَنان بفتح الباء فهي أطراف الاصابع .

الملفان
مار غريغوريوس بولس بهنام
والألم

الطيب الذكر مار غريغوريوس بولس بهنام، مطران الحدباء (١٩٥٢ – ١٩٥٩م) ثم الزوراء (١٩٦٢ – ١٩٦٩م+)، عالم فذ وملفان كبير، لمع نجماً بهياً شامخاً في طموحه وأهدافه ومُثُله وعطائه في الأربعينات من القرن العشرين، وحتى نهاية الستينات منه، حين انطفأ سراج عطائه الغزير، مع ما فيه من زيت ثمينٍ وفير، بعد أن خدم الكنيسة السريانية وقدّم لها الكثير.

ملفان الكنيسة هذا، لازمه الألم طيلة فترة عطائه وجهاده على الأرض، وصحّ فيه وصف (العبقري المتألم)، إذ أحاطت به الضيقات من كل جانب، ليجسد صرخة الصابر أيوب : مولود المرأة مفعم بالشقاء (أي١٤: ١)، ورغم كل ذلك استمر في جهاده وعطائه وأبدع، جعل من الألم سلماً للمجد وصليباً للغلبة، مقتدياً في ذلك بالرب يسوع، رجل الآلام ومختبر الحزن الذي ارتفع على صليب الجلجثة ليعلمنا كيف نصبر على الضيقات ونعبر إلى ميناء الغلبة.

بحبر الألم وعرق المعانات والأحزان، سطّر الملفان بولس بهنام سفراً خالداً في العطاء العلمي والثقافي والأدبي في مجالات اللاهوت والعقيدة والفلسفة ولتراث السرياني، فحفر اسمه على صخرة الدهر؛ وكما أن الحزن لم يكن يفارق قلبه الكبير، هكذا العطاء الفكري والنبوغ العلمي لم ينفصلا عن اسمه مدى العصور.

وهو في قمة شموخه الفكري، يسطر بقلمه المبدع مقالة عن الألم على صفحات مجلة (لسان المشرق) التي كان يصدرها يوم كان مديراً للمدرسة الإكليريكية الأفرامية في الموصل (١٩٤٦ – ١٩٥٢م)، معتبراً الألم غذاء للحياة العاقلة وترياقاً للروح البشرية، وكأني به يتنبأ عن سيرة حياته الذاتية، وما رافقها من ألمٍ ومعاناةٍ نفسية، احتملها كجندي صالح للمسيح يسوع، فأحسن الجهاد في معركة الأيمان الجميلة، إذ كان خير مربٍّ ومعلم وعالم وواعظ وشاعر رغم كل الظروف.

وحين نتأمل حياة هذا الخادم العبقري المتألم، نصرخ مع الرسول بولس قائلين : لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله (في١: ٢٩)، آملين أن تكون حياة الملفان بولس بهنام حافزاً لمن غلبهم الألم في هذه الحياة فتوقفوا عن الجهاد والعطاء.

الراهب حنا داود القس

لم تغب عن مخيلتي، صورة ذلك الإنسان الوديع البسيط، الذي زهد الدنيا ومغرياتها، وفضّل الانطواء قرب أضرحة القديسين، والتواجد بالصلوات والترانيم في حضرة رب العالمين، بعيداً عن صخب المدينة، بين زوايا دير مار متى الشيخ، الدير العتيق الأيام، والذي اتعبته مصائب السنين، ونكبات الضّالين بين الأنام، إنه المرحوم الراهب حنا داؤد القس الموصليّ، والذي بقي يخدم هناك بقناعة فريدة قرابة الخمسين سنة، حتى شاءت إرادة الرب في التاسع عشر من شباط سنة ١٩٩٣م أن يرفع عينيه الذابلتين نحو السماء بوداعة ليقول : يا رب برحمتك اقبل روحي.

عاش المرحوم الراهب حنا حياة بسيطة، ولم يكن يعرف المكر والغش، ولا الكذب والخداع والمراوغة، ولم يعرف عنه يوماً أنه كان محباً للدراهم، وأومن يقيناً أنه لم يكن يعرف معنى كلمة " دولار " التي يتباهى بذكرها اليوم الكثير من المثقفين والفقهاء في مفهوم العالم، ولا يستطيع أحدٌ أن يعيب عليه تصرّفاً زرع بواسطته الشكّ في قلب (أحد هؤلاء الصغار ، مت١٨: ٦) كما يحدث في تصرفات البعض ممن يحسبون على الكنيسة اليوم.

هذا الإنسان الوديع، امتلك أيماناً بسيطاً وزهد في الدنيا، وكان لزهده وبساطة عيشه تأثيرٌ في النفوس أكبر بكثير من تأثير من أعد كتباً منمقة، ودبّج مقالاتٍ رنانة، مع أنه لم يكتب في حياته كلمة واحدة، ولا عرف معنىً للشعر والأدب، وكانت معتقداته اللاهوتية بسيطة جداً وبعيدة عن كل التعقيدات التي من شأنها أن تمزّق جسد يسوع أكثر فأكثر؛ عاش هكذا لتتمجّد فضيلة التواضع بحياته وليخزى كبرياء المتفاخرين من رجال الأيام الأخيرة (٢تيمو٣: ١- ٧).

أتأمل سيرة هذا الراهب القديس، وأقارن طريقة عيشه بما أقرأ في كتاب الله العزيز، فأجد نفسي أمام حياة (إنسان الله) تماماً وكما أرادها التدبير الإلهي (١تيمو٦: ١١)، فلا حاجة إلى تواقيع مكتوبة أو وثيقة منمقة لتعلن تطويب الراهب حنا قديساً، لأن قداسته معلنة في قلوب عارفيه، وبصماتِها واضحة في نفوس من عاصر أيامه في الدير، ويشمل ذلك أيضاً، من يتخذ من بعض تصرفات الراهب حنا الساذجة البريئة، مادة ليُنعش فيها مجالس السمر ويضحك التائهين في دروب الحياة على مبدأ " حشرٌ مع الناس عيد ".

وليتأمل من يعيبون على الديارات رهبانها وزهدهم، وليتهم يبلغون الحقيقة الجلية الناصعة، أن الكنيسة بدون الروحانيات تتحول إلى مؤسسة اجتماعية، لا تعرف معنىً لخلاص النفوس، ولا يوجد في قاموسها فضائل، وحاشاها أن تكون كذلك.

رقد هذا الراهب الورع بالرب، ولم يمت تواضعه، ولم تنسى بساطته، وستبقى خالدة وداعته، عوّضنا الرب بأمثاله، كي تدوم الفضائل ، وتزدهر الروحانيات، وتنتعش الكنيسة.

لك الطوبى أيها الراهب الوديع، والرحمة لروحك وعظامك، وطوبى لمن تشجع واستطاع أن يحذو حذوك، فقد حملت صليب المحبة الثقيل على كاهلك الهزيل، واقتديت تماماً بالرب يسوع، وطوبى للبسطاء على الأرض، فأنهم قدوة للعارفين يُتَّخَذون.

الست قدوسة

من منكم أيها الأحباء يتذكر الشخصية النسائية الفريدة في كاتدرائية مار توما والتي كنّا ندعوها " ست قَدوسة " بفتح القاف، وكم من قراء هذه الصفحات التقوا بها، واسمها الحقيقي الست بدور، لكنها عرفت باسم قَدوسة، ما يوحي ويفيد الشخص المميّز والفريد من نوعه أو الفائق للقانون العام في المجتمع بالتعبير عن الإلتصاق بالله والكنيسة، فالقداسة صفة موقوفة على الله، ممتنعة المنال، لكن الله يشاء برحمته ومحبته أن يشرك البشر بهذا الأمر المتصل بسر الله (١بط١: ١٦)، وعندها أصبح ممكناً أن ندعو المؤمنين قديسين (٢كو١: ١)، ولا فرق بالمعنى إذا ما كانت القافُ مضمومةً أو مفتوحةً، فيمكن أن يقال قُدّوس وقَدّوس للمذكر، وقُدّوسة وقَدّوسة للمؤنث.

المرحومة قَدّوسة - وكما تعودنا تسميتها – هي رمزٌ لا يمكن أن أنساه، لأنها تمثل لجيل الخمسينات من القرن العشرين الأمومة الروحية واقتبال المبادئ الأيمانية الأولى في التعليم المسيحي.

الزمان هو عقد الخمسينات من القرن العشرين، والمكان هو غرفة بسيطة - لا تزال قائمة قبالة الباب الغربي الأوسط لكاتدرائية مار توما الرسول في الموصل –– ونسميها غرفة الست قدوسة، تزدحم يومياً بالأطفال دون سن الابتدائية ومن أبناء الطائفة عادة، تحتضنهم تلك الأم الفاضلة والمربية الحنون، برزانة وهدوء وحنان، وتتعامل معهم بكل بساطة، تعلمهم التراتيل الروحية والنصوص المختارة من أحداث الكتاب المقدس ما يتناسب وأعمارهم، وتحكي لهم القصص الدينية بطريقة مشوقة، وتكافئ من يحسن التصرف ويؤدي التراتيل بشكل جيّد ويجيب على الأسئلة البسيطة التي تطرحها عليهم بقطع من الحلوى تحفظها في صندوق صغير على الرف الخشبي الوحيد في الغرفة.

كم كنا نشتاق للذهاب يومياً إلى تلك الغرفة، وكم تعلمنا من مبادئ مسيحية وتراتيل روحية وصلوات أتقنّاها لتنطبع في ذاكرتنا وكأنها محفورة في الصخر، تُشدّد عزيمتنا وترسّخ إيماننا لنلتصق بالرب والكنيسة، ونعيش حياتنا للمسيح في المجتمع، ونطلب الرحمة لروح تلك المربية الفاضلة والمعلمة الحنون " قَدّوسة " التي استطاعت أن تضع الأسس السليمة لجيل كامل من أبناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في تلك الفترة، حيث كانت حقاً مدرسة روحية وثقافية عظيمة نسبة إلى الظروف الإجتماعية المتواضعة التي كانت تحكم تلك الأيام.

وما شدّني لأكتب هذه السطور أيها الأحباء، هو الأمنية الغالية والتي تحققت هذه السنة (١٩٩٨م) بجهود نيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون، وهمة كل الخيّرين والغيورين والعاملين في حقل الخدمة في أبرشية الموصل العامرة، حين تحولت غرفة الست قَدّوسة في الخمسينات من القرن العشرين، إلى دار طفولة الرجاء التابعة

لكاتدرائية مار أفرام للسريان الأرثوذكس في الموصل، والتي سوف تفتح أبوابها وتستقبل أطفالنا مع بداية السنة الدراسية الجديدة.

إن رعاية الكنيسة للأطفال في الفترة ما قبل المرحلة الإبتدائية هو أمر مهم جداً ومفيد وحيوي، وأن إهمال تثقيفهم الديني في هذه الفترة بالذات هو في غاية الخطورة على مستقبلهم، لأن الطفل في هذه المرحلة يمثل صفحة بيضاء، وعليها تُرسم الخطوط العريضة لمستقبله وعلاقته بالله والكنيسة والمجتمع، ويتعاون في هذا المجال كل من الوالدين والكنيسة لينشأ أطفالنا نشأة إيمانية صحيحة وراسخة، متمسكين بتعاليم الكتاب المقدس، ومواكبين للنهضة الروحية والثقافية للكنيسة والمجتمع، فيكونوا أعضاء نافعين في جسد الرب يسوع الطاهر، أي الكنيسة.

إنها مسؤولية كبيرة وخطيرة في أعناق من سوف يعمل ضمن الكادر الإداري والتعليمي لدار الطفولة هذه، وهنا نقدم دعوة صادقة لكل المؤمنين الغيورين والمحبين لكنيستهم، أن نبذل جميعاً كل جهدٍ ممكن، وكل ما بوسعنا لإنجاح هذا العمل التربوي الرائع، والذي كانت الكنيسة في الموصل بأمس الحاجة إليه؛ علينا جميعاً أن نسند ونعضد هذا العمل المقدس مادياً ومعنوياً، ونتفاعل معه عملياً كمؤسسة مهمة جداً في حياة الكنيسة.

فليبارك الله جهود الجميع لما فيه الخير والموفقية والتقدم والإزدهار لكل أنشطة الكنيسة السريانية الأنطاكية المقدسة، وليرحمك الربّ يا ست قدوسة برحمته الواسعة، ويقبل منك ما كسبت من وزنات تاجرت بها في تلك الغرفة المتواضعة والتي أتت على بساطتها بالكثير من الثمار.

شهيد الكنيسة
الأب بولس اسكندر

الشهادة بالدم هي أسمى أنواع الشهادة للفادي يسوع، بل هي ذروة طاقات الإنسان المؤمن في العطاء من أجل اسمه القدوس، إنها الميتة التي يمجّد بها المؤمن الله في حقل الصراع الروحي مع كل قوى الشر في العالم، فهي امتداد لملحمة الصليب حيث يقتدي الشهيد بربه يسوع المسيح، فتتجدد ملحمة الصليب بفعلٍ حيّ وصارخ، يقدم فيه الشهيد ذاته قرباناً للفادي بمحبة باذلة، وبسفك دمه بفرحٍ وبهجة روحية تنتج عن الشعور العارم الذي يغمر المستشهد بالغلبة على قوى الشر والإنتصار على الموت ذاته، والإتحاد بالمسيح يسوع، وكل ذلك بفعل الروح القدس الذي ينير فكر الشهيد ويلطف حواسّه ويوجه عواطفه ليتجاوز حدود الأرضيات من ألم وعذاب ومعاناة، وينطلق بالروح نحو السماويات، ليبتهج بإشراقة حياة الخلود في الملكوت، حيث ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان.

والأب الشهيد بولس اسكندر بهنام هو أحد الذين نالوا هذه النعمة العظيمة في أيامنا الصعبة هذه ونحن نعيش الضيقات في بدايات الألفية الثالثة للميلاد، فبعد أن خدم الكنيسة بهمة عالية ونشاط مميّز وغيرة وقادة مدة سبع عشرة سنة (كرّس كاهناً لمذبح كاتدرائية مار أفرام في الموصل سنة ١٩٨٩م)، حاملاً صليب الكهنوت الثقيل بكل فرح وقناعة واندفاع روحي، شاءت الإرادة الربانية أن يكون من بين من نالوا الجعالة، وغلبوا في معركة الأيمان، لينال إكليل الشهادة يوم الأربعاء ١١ /١٠ / ٢٠٠٦م. بقطع رأسه تماماً كسميّه الرسول بولس.

هكذا غلب الأب بولس تاركاً ذكريات الأمانة في الخدمة والتفاني في العمل والمحبة الباذلة في القلوب، وحافراً على صخرة إيمان الكنيسة في الألفية الثالثة بصمات نورانية من الكرامة والشهامة والوطنية والتشبّث بالفضائل المسيحية.

وهكذا عرفنا شهيدنا المقدام الأب بولس اسكندر دائماً، عاش للمسيح وبقي مرفوع الرأس إيمانياً، ومات للمسيح وهو مرفوع الرأس أيضاً، إذ قهر الجلادين بثباته على الأيمان وتمسكه باسم المسيح الأقدس، فطوباه.

استشهاد الأب بولس ايها الإخوة أعاد للكنيسة المقدسة بريق أمجاد القرون المسيحية الأولى، يوم قدّمت كواكب وجحافل الشهداء الأبرار لأجل اسم المسيح، وها هي لا تزال تقدم وبنفس الروحية والإندفاع الشهداء بكل فخر واعتزاز.

استشهاد الأب بولس اسكندر ألهب نار الأيمان في النفوس، وأزاح عن كاهل المؤمنين كل خوف أو قنوط، ومنحهم السعادة الروحية والشجاعة لتجاوز كل المحن والضيقات ليسلكوا طريق الصليب بكل شموخ ويشهدوا للفادي الحبيب.

وهكذا أيضاً أيها الإخوة طبّق الأب الشهيد بولس مقولة الرسول بولس المجيدة : إن عشنا وإن متنا فللربّ نحن (رو ٤: ٨)، وانتهت حياته على الأرض بأسمى معاني الوفاء ليسوع، أي بسفك الدم، فأصبح قدوة حسنة وعظيمة لكل المؤمنين السائرين على الدرب، وتلك هي مكانة شهيدنا البطل في قلوبنا، ومصدر فخرنا هذه الأيام، إذ أصبح شفيع كنيستنا في حضرة الربّ.

شَهدُ العَطاء
في أنشِطة سواعِد الوَفاء

واعملوا فإني معكم يقول ربّ الجنود
حج٢: ٤

إعمار
كنيسة الطاهرة الخارجية

بوركت السواعد والهمم التي شاركت في ترميم كنيسة الطاهرة الخارجية في الموصل (في صيف ١٩٩٥م.) هذه الكنيسة المحببة للنفوس بمكانتها المقدسة، خاصة وأنها تحمل اسم السيدة العذراء والدة النور والخلاص لكل المؤمنين، وتحتضن الدير الكهنوتي في الموصل، المصباح الذي بدأ يشعّ أنواراً بهية في سماء الكنيسة.

تسابق الغيارى وأعطوا بسخاء منقطع النظير، وهب الجميع للمشاركة وكأنهم في مهرجان كبير، وعين الراعي لا تعرف النوم وهمه الإتقان والتدبير الحسن، تجمع الجميع محبة بيت الرب صارخين : يا رب أحببت محل بيتك (مز٢٦: ٨) وتدفعهم الغيرة المقدسة (غيرة بيتك أكلتني، مز٦٩: ٩)، كانوا أسخياء بالعطاء (١تي٦: ١٨) ومغبوطٌ هو العطاء (أع٢٠: ٣٥) حتى تحولت تلك الجدران المتصدعة والسقوف المتآكلة والأعمدة المترنحة إلى هيكل جميل مطرّز، تتصدره كلمات السيدة العذراء من أنشودتها الخالدة : فهــوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني (لو١: ٤٨).

هكذا بهمة رجال أتقياء تعهدوا العمل والبناء بمثابرة واجتهاد، تعود كنيسة الطاهرة الخارجية إلى سابق عزّها وبهائها وروعتها الروحية، بحلة بهية تبهج القلب (بأعمال يديك أبتهج، مز٩٢: ٤) وتزيد من عمق تأملات من يقصدها ويندبها طالباً العون بشفاعتها.

هب المؤمنون نحوها ولسان حالهم ينطق بنفس واحدة : ما أحلى مساكنك يا رب الجنود (مز٨٤: ١)، وقلوب الكل تهتف من الأعماق بطول العمر لقداسة إمام أحبارنا مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، وحبرنا الجليل مار غريغوريوس صليبا حيث بغيرتهما وتوجيهاتهما تبقى كنائسنا عالية الجدران ورصينة البنيان ودائمة العطاء، تصدح في أرجائها حناجر المرتلين وتنبعث من داخلها الرسائل الروحية بلسماً للمؤمنين، وتتفجر على رائحة بخورها العطر بلاغة الواعظين، وترتفع عاليا تضرعات المصلين، بإيمان ويقين أن لا تقوى عليها أبداً أبواب الجحيم.

النهضة
في أبرشية الموصل

للنهضة الروحية والعلمية في أبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية العامرة تاريخ طويل ومجيد، واكبت خلاله هذه الأبرشية الحضارة الإنسانية وتابعت خطواتها وسارت إلى جانبها بل أضفت على الفكر الإنساني من ينابيعها الدينية مفرداتٍ رائعة أغنتها سحراً وجمالاً.

وقد أسهم في ذلك رجالٌ هم بحق رجال، بين لاهوتي ومفسّر ومترجمٍ وواعظٍ ومؤلفٍ وكاتبٍ ... وإلى آخر القائمة من مسميات، شارك فيها الجميع وكل بنصيبه، لتبقى راية الكنيسة عالية خفاقة في سماء العلم والمعرفة والتطور على مر العصور، وتبقى مكانتها في المجتمع مميّزة يشار إليها بالبنان.

ويضيق بي الوقت، إن أخبرت عن كل أولئك الأفذاذ، ولكن لابد من أن نذكر البعض منهم في هذه العجالة لإغناء الموضوع : فهذا مار سيويريوس موسى بن كيفا، مطران الموصل في القرن التاسع الميلادي، عالم وفيلسوفٌ ولاهوتي وملفان كبير بمصنفاته الدينية والعلمية؛ ومار غريغوريوس يوحنا ابن العبري مفريان المشرق (والموصل كانت ضمن رعايته المفريانية) الملقب بدائرة معارف القرن الثالث عشر بما دبّج من مقالات وما ألّف من كتب ومخطوطاتٍ في مختلف نواحي العلوم الإنسانية والدينية؛ والمفريان مار باسيليوس بهنام الرابع، أحد أعلام الوعظ والتفسير في القرن التاسع عشر الميلادي، والذي تفتخر كاتدرائية مار توما الرسول في الموصل باحتضانها مثواه الأخير بين جدرانها.

ومع مطلع القرن العشرين ينطلق من عرين الأرثوذكسية في الموصل، أشبالٌ ما لبثوا أن أصبحوا أعلاماً في مختلف ميادين الثقافة والعلوم، بينهم إكليروسٌ وعلمانيّون، أغنوا المكتبة المسيحية والمجتمع بمؤلفاتٍ ومصنفاتٍ ومقالاتٍ جليلة، فوضعوا بين أيدي المؤمنين والباحثين والمهتمين بالتراث والعلوم والثقافة كنوزاً ثمينة باللغتين السريانية والعربية، إضافة إلى كفاحهم وجهادهم المميّز روحياً واجتماعياً في حقل الكنيسة والمجتمع؛ كالبطريرك العلامة مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم، ابن الموصل البار وهبة الله للكنيسة والدرة النفيسة في تاج الكفاح العلمي والثقافي فيها؛ والأرخدياقون نعمة الله دنو، العمود الأساس في هيكل العلوم الدينية والسريانية والتاريخية لأبرشية الموصل؛ والملفان مار غريغوريوس بولس بهنام، مطران الموصل، والقطب المميّز في الأدب والفلسفة والوعظ، الذي لم تعرف له المنابر والمنتديات العلمية مثيلاً.

واليوم يحق لأبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية أن تفتخر بما وصلت إليه وهي تعيش العصر الذهبي لنهضتها الروحية والعلمية والإجتماعية، بعد أن نسج الأحفاد على منوال الأجداد، ونهضوا وأكملوا المشوار الذي خطّه أولئك، يتقدمهم قداسة الحبر ألعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص (ومنذ كان مطراناً على الموصل)، والحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون مطران الموصل الهمام، ومن خلال مركز التربية الدينية الذي يضم العشرات من الغيورين إكليروسَ وعلمانيين، رجالاً ونساء، شباباً وشابات، يعملون جميعاً بروح واحدةٍ نحو هدفٍ واحدٍ هو الشهادة ليسوع ونقل نوره إلى العالم، وهمّهم الأول هو استمرار دوران عجلة النهضة الروحية والثقافية والعلمية في الكنيسة، وبالشكل اللائق والمطلوب لتبقى مكانة الكنيسة مميّزة واضحة، ورايتها عالية خفاقة.

وتفتخر الموصل باحتضانها (ولمدة خمس عشرة سنة) الينبوع العذب الذي أنعش الكنيسة بمياهٍ روحية أعني به المدرسة الإكليريكية الأفرامية، التي خرّجت أبرز قادة الكنيسة اليوم، ثم احتضانها حديثاً للدير الكهنوتي الذي يرفد الكنيسة اليوم بجيل جديد من الخدّام الشباب، والذي يتصدّر التعليم فيه نخبة غيورة من المدرسين القديرين، يعملون بتفانٍ منقطع النظير على ديمومة مسيرة هذا الصرح الخطير وبأكمل صورة .

وهكذا أيها الأحباء تتوالى الأنشطة وتبتكر الفعاليات الثقافية المختلفة، فيقام الموسم الثقافي السنوي لأبرشية الموصل وابتداءً بصيف سنة ١٩٩٢، ثم الموسم الثقافي المشترك للطوائف المسيحية صيف ١٩٩٣م، فاليوبيل الأسقفي الفضيّ لنيافة راعي الأبرشية الجليل في خريف سنة ١٩٩٤م، فموسم افتتاح كنيسة الطاهرة الخارجية بعد تجديدها في صيف سنة ١٩٩٥م، ثم الذكرى المئوية على إنشاء كنيسة الطاهرة الداخلية في خريف سنة١٩٩٦م، والإحتفال بإكمال المرحلة الأولى من إعادة إعمار دير السريان في قرة قوش (دير مار يوحنا الديلمي) في ربيع سنة ١٩٩٧م، ثم احتفالات يوبيل الألفين لولادة الرب يسوع بالجسد بفعالياتها المختلفة.

وهكذا تغدو الموصل جنينة فواحة، بل خلية نحل نشيطة تنتج العسل الروحي الذي ينعش نفوس المؤمنين، بعون الله وعمل الروح القدس فيها، الذي يعطي الهمة والنشاط والغيرة لكل العاملين المؤمنين.

بارك الله بجهود الجميع، وأدام الرب همة الآباء الميامين، لتبقى أبرشية الموصل ينبوعاً عذباً لا ينضب، وسراجاً منيراً لا ينطفئ، محروسة ومصانة بعطف الرب وحنانه، لتبقى عروس أبرشيّات الشرق، آمين.

الدير الكهنوتي في الموصل

ما لا يقبل الجدل أيها الأحباء، أن المدارس الدينية والكليات اللاهوتية، كانت وعلى مر العصور، النبراس الذي يشعّ نور الإنجيل للمؤمنين، والمصنع المقدس الذي يصقل " أعمدة رخامية مميّزة " يقع عليها الثقل الأكبر في بناء الكنيسة الشامخ؛ وهكذا نلمس الإهتمام الكبير الذي أولاه آباء الكنيسة لهذه المدارس والمعاهد، والجهد العظيم الذي بذلوه في سبيل تطوّرها وازدهارها.

وتلمع في تاريخ الكنيسة الطويل، أسماء مدارس دينية كأنطاكية وقنسرين ونصيبين والرها وغيرها، قدّمت للكنيسة علماءً أفذاذاً ولاهوتيين كباراً، بل عباقرةً في كل مجالات العلوم، عملوا دائماً على دفع عجلة التقدم والإزدهار في مسيرة الكنيسة إلى الأمام جيلاً بعد جيل.

وحيثما ازدهرت تلك القلاع العلمية، انتعشت الكنيسة، وهذا ما حصل في القرن العشرين، يوم أسس الطيّب الذكر مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم المدرسة الأكليريكية الأفرامية في زحلة، ثم نقلها إلى الموصل الحدباء، فازدهرت في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، بهمة الطيب الذكر الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام، الذي رعاها بنجاح مذهلٍ، وغذاها من روحه الطاهرة، وسقاها من عرق جبينه، وسهر الليالي الطوال، ليجعلها صرحاً خالداً وشجرة وارفة الظلال، لا تزال الكنيسة المقدسة تتغذى من ثمارها الشهية، فها هم تلامذة الملفان بولس بهنام، يقودون دفة الكنيسة السريانية الأرثوذكسية اليوم، ويسهرون على مسيرتها وروحانياتها العطرة في كل مكان، ويحذون حذو معلمهم في رعاية النهضة الدينية والعلمية فيها.

وبنفس الروحية وعلى نفس المنوال ينسج أحبار الكنيسة المقدسة اليوم، فيأمر سيدنا قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، بافتتاح الدير الكهنوتي في الموصل (إضافة إلى رعايته كلية مار أفرام اللاهوتية في مقر البطريركية العامرة في معرة صيدنايا قرب دمشق)، وهو واثقٌ ومتأكدٌ من أنّ من عهد إليهم رعاية هذا الصرح العلمي، سوف لن يكونوا أقلّ حرصاً أو غيرةً من استاذهم الملفان بولس بهنام، في سهرهم على مسيرة هذا الدير ونجاح رسالته.

وأتأمل شاكراً الرب على الحكمة التي وهبها لهذا العقل المدبّر، بطريرك أنطاكية العظيم، الذي شاء أن يكمل السيمفونية العذبة لنهضة أبرشية الموصل العامرة، بما يميّزها من لحن خالدٍ، وأن يرصّع تاج العطاء في هذه الأبرشية الغيورة بأبنائها، بدرّةٍ فريدة تضفي عليها جمالاً خالصاً، وان يروي ظمأ المؤمنين المباركين في هذه الأبرشية بما يجري في عروقهم ومع دمائهم من محبة للعلوم الدينية وغيرة وقادة على مستقبل

الكنيسة، فيأمر قداسته بعد التشاور مع أعضاء المجمع المقدس بافتتاح الدير الكهنوتي في الموصل، ليكون ينبوعاً عذباً يمد الكنيسة بمياه حيةٍ تروي تربتها المقدسة في كل أنحاء العالم،إذ لهذه المؤسسة العلمية الدينية الجليلة مكانة خاصة في القلوب، لأنها تمثل في نفوسنا شخص الحبر الأعظم الأنطاكي بالذات، نكرّمها ونخدمها ونرعاها ونعتز بها عربوناً لخضوعنا واعتزازنا بالكرسي الرسولي الأنطاكي متمثلاً بشخص البطريرك المعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، أبن الموصل البار ، والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية الأنطاكية في العالم.

ونحمد الله، فقد غرست هذه البذرة المباركة في أرضٍ خصبة، وإلى جوار مياه عذبة، وغدت كرمة أنبتت فروعاً، وأفرخت أغصاناً وبراعم يانعة خضراء، وحملت ثماراً شهيةً قدّمتها هدية محبّة للكنيسة.

أقول هذا أيها الأحباء، ونحن نعيش هذه الأيام احتفالات روحية متلاحقة تخص هذه المؤسسة الكنسية المثمرة، ففي شهر آيار ١٩٩٦م، احتفل نيافة راعي الأبرشية الجليل مار غريغوريوس صليبا شمعون، برسامة ستة من خريجي الدير الكهنوتي في الموصل شمامسة إنجيليين، وفي شهر حزيران ١٩٩٦م، تمّت رسامة ثلاثة منهم كهنة لأبرشية الموصل السريانية بوضع يد نيافته أيضاً، بينما اختار الآخرون طريق الرهبانية المقدسة في خدمة الرب؛ وهكذا وبسرعة، يصبح الدير الكهنوتي في الموصل كرمة رائعة الجمال والعطاء، تنبئُ بديمومةٍ موفقةٍ لمسيرة الكنيسة عبر العقود القادمة، إنه مفخرة سريانية حقاً.

بارك الله بجهود كل من يسعى ويعمل ويخدم بإخلاصٍ، على استمرار عطاء هذا الدير وازدهاره، من المسؤولين الروحيين والإداريين والأساتذة المحاضرين والعاملين ، ولا ننسى أن مسؤولية دعم مسيرة الدير الكهنوتي، إنما تقع على عاتق المؤمنين جميعاً، والله الموفق.

المواسم الثقافية
في أبرشية الموصل السريانية

الموسم الثقافي السنوي الذي يقيمه مركز التربية الدينية في أبرشية الموصل وابتداءً بسنة ١٩٩٢م. هو أحد الأنشطة المميزة والتي من خلالها تقدم الكنيسة للمؤمن غذاءً روحيا يتمثل بثقافة دينية وعلمية واجتماعية لتواكب ما توصل إليه الفكر الإنساني من رقي وتقدم في المجال الديني والعلمي، ولترفع من مستوى أبنائها الثقافي كي يكونوا مؤهلين بحق لحمل المسؤولية على عاتقهم، وإيصال وديعة الإيمان المستقيم نقية خالصة للأجيال اللاحقة.

ويعمل مركز التربية الدينية من خلال الموسم الثقافي على خدمة المؤمن دينيا واجتماعيا، حيث تطرح فيه مواضيع دينية لاهوتية واجتماعية وعلمية للمناقشة تخص حياة المؤمن التي يعيشها وما يحيط به من مستجدات علمية ومعضلات اجتماعية يريد ان يعرف لها حلولا وان يسمع وجهة نظر الكنيسة بشأنها، ليعي جيدا كيف يتعامل مع المجتمع الذي يعيش فيه اليوم، وفي نفس الوقت يبقى محافظا على كيانه كمسيحي مؤمن ونافع في كنيسة المسيح، وكمواطن صالح في المجتمع، إذ لا يجوز أن يبقى المؤمن متخلفا في مجتمعه، لأنه بذلك سوف لن يستطيع أن يؤدي رسالته في هذا المجتمع، ألا وهي أن يقدم نور يسوع للعالم وبالشكل الصحيح.

وعلى المسيحي أن يجتهد دينيا وعلميا ويتقدم اجتماعيا ليواكب ما وصل إليه العلم من تقدم، والفكر الانساني من رقي، كي يسمو بكافة المعارف التي يحصل عليها ليبلغ أقصى ما يمكن من مستوى في سلم الرقي، ويقدم بواسطته الرب يسوع إلى العالم، ليعم الخير ويسود السلام.

والكنيسة تريد من الفرد المؤمن - كل فرد - أن يكون عضوا نافعا فيها وبحسب الإمكانات التي وهبها له الله، وهي تشجع المؤمن على الإنخراط في أنشطتها المختلفة ليأخذ مكانه المناسب في حقل الرب ويكون نقطة مضيئة في المجتمع، ويقدم خدمات مميزة تفيد وتثمر في دفع المجتمع نحو الأحسن دائما ومن خلال المذاق المسيحي الطيب الذي يتركه المؤمن الواعي بين الناس.

ومن خلال الموسم الثقافي تظهر حياة الجماعة والشركة في الكنيسة والتي تعيد إلى الأذهان حياة الجماعة المسيحية الأولى التي كانت تعمل " بنفس واحدة " يوم حل الروح القدس عليها في العلية، وعملت ما عملت في نشر بشرى الخلاص في أرجاء العالم، فمركز التربية الدينية يعمل في كل المجالات لاستكمال متطلبات الموسم، البعض ينشغل ويجتهد في إعداد المحاضرات والندوات والمادة الدينية والعلمية التي تطرح خلال الموسم، وآخرون يعدّون التراتيل الروحية والتأملات والأشعار والخواطر والكلمات المناسبة لموضوع الموسم، بينما يجتهد آخرون في تحقيق الأمور التنظيمية

والمستلزمات الإعلامية والشؤون المالية والتشريفات، وينخرط آخرون في عمل مسرحي ديني تاريخي رائع، ويقومون بإعداد وإخراج هذا العمل بشكل ممتاز يبهر من يشاهده ويحقق الغاية من عرضه، وهكذا يؤدي الجميع أدوارهم وكأنهم يعيشون الأحداث لحظة بلحظة، وتلكم هي ثمرة جهود باذلة تستمر عدة أشهر من التدريب والتفاني لتحقيق هذا النجاح، بينما يتحمل آخرون عناءً من نوع آخر، فيقومون بزيارة البيوت والمعامل والمصانع كي يرفدوا الأسواق الخيرية التي ترافق الموسم بالمواد الغذائية والعينية والعطايا المالية التي تخصص لدعم المشاريع الخيرية في الكنيسة.

وكل هذا بالتأكيد يحتاج إلى سهر وعناء وتحمل وطيبة قلب وتسامح في التعامل، ينبع عن شعور بالمسؤولية وشعور بالإنتماء إلى الكنيسة، وهكذا تنتعش الحياة الروحية والاجتماعية بين المؤمنين، وهكذا يطمئن الجميع إلى أن كنيستنا بخير، والمؤمنين بحفظ الرب، فترتفع الأصوات وترنم الحناجر الشكر والتعظيم والتمجيد لاسم الثالوث الأقدس المجيد .

المسيح الواحد – نداء محبة

أعلن بكل فخرٍ وثقة واعتزاز، وأصرّح بكل ما استطيع من جرأة، وليسمعني كل محبٍ للمسيح وفي كل مكان، أنّ المسيحية بخير، نعم بألف خير، والروح القدس يعمل ، نعم يعمل في نفوس المؤمنين، والفادي يسوع لم ولن ينسى أغنامه الناطقة ووعده للكنيسة حين قال له المجد : (وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، مت١٦: ١٨).

أيها المؤمنون الأحباء، أيا عباد الله :

إن ما جرى في كنيسة الموصل خلال الأيام القليلة الماضية، كان مهرجاناً دينياً وحدوياً، بل عرساً روحياً بهيجاً، وتفاعلاً مسيحياً أيجابياً جاذّاً، أعاد للأذهان وحدة الكنيسة وصفاءَها أيام العصر الرسولي، فقد شهدنا يوم الجمعة ٢١ آذار ١٩٩٧م، عرساً سريانياً رائعاً في احتفالات إكمال المرحلة الأولى من إعادة إعمار دير السريان (دير مار يوحنا الديلمي) للسريان الأرثوذكس في قرة قوش، كما شهدنا يوم الجمعة ١١ نيسان ١٩٩٧م، عرساً وحدوياً مسيحياً جامعاً في دير مار بهنام وضمن الاحتفالات بيوبيل الألفين لميلاد رب المجد يسوع المسيح بالجسد في بيت لحم؛ وخلال العرسين كليهما كانت القلوب تنبض بالحبّ والحنان والإشتياق والتطلع نحو وحدة الكنيسة ولم شمل أبنائها واتحادهم في جسد يسوع الطاهر (١كو١٢: ١٣).

وما كان واضحاً من خلال هذه الاحتفالات الروحية، أن الوحدة المسيحية هي حقيقة قائمة فعلاً على مستوى المؤمنين البسطاء، وهي أمنية ورغبة ملحّة على مستوى المؤمنين المثقفين والمهتمين بغيرة بالكنيسة، وهي شعارٌ مرفوعٌ وكلمات منمقة ومختارة بعناية على أفواه الآباء والرعاة المسؤولين والمشتركين في المؤتمرات والندوات المسيحية، لكنها ومع الأسف مجرد موضوع يستحق الدراسة لكنّه مؤجل دائماً على مستوى صانعي القرار في الطوائف المسيحية المختلفة.

أيها الأحباء : نحن نمرّ في هذه الأيام بظروف صعبة ومصيرية تجعلنا أمام منعطفٍ مقدس، فيه يجب على كل مسؤول في الكنيسة ومهما كانت مرتبته في الهيكلية الكنسية، ومهما كان انتماؤه الطائفي، أن يردد من الأعماق وبإيمان صادقٍ مع الرسول بولس : فمن هو بولس ومن هو أبلّوس ؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الربّ لكلّ منهما (١كو٣: ٥)، وأن يؤمن بيقين صادقٍ أيضاً أن الله هو الذي ينمي وليس الإنسان (١كو٣: ٧)، والله هو الذي يرشد ويوجّه ويقود (مز٣٢: ٨)، وهو الذي يسدد خطى المؤمنين في طريق الحق نحو حياة أفضل (يو٤: ١٦)، ليكون الجميع واحداً في المسيح يسوع (١كو١٢: ٢٧).

وكعربون لوحدة الكنيسة، ينظر السواد الأعظم من المؤمنين إلى موضوع توحيد الأعياد نظرة جادة لا يعرقلها إلاّ التطرّف والتزمّت غير المسؤول.

وبهذه المناسبة، ومن على منبر " صدى المحبة " المحب، والذي أردناه دائماً منبراً مسيحياً وحدوياً شمولياً، أناشد كل رؤساء الطوائف المسيحية في الشرق الأوسط، أن يعملوا على توحيد الأعياد واعتماداً على مبدأ بسيط جداً ينادي : (لا غالب ولا مغلوب.. كلنا واحدٌ بالمسيح المصلوب)، وبمحبة مسيحية باذلة ومن خلال اعتماد صيغة موحدة مسيحية مقبولة لجميع الأطراف مع عدم التزمت بالرأي الخاص أو التقويم الخاص بهذه الكنيسة أو تلك، ما فيه إرضاء كل الأطراف، كي لا يشعر أحدٌ بالغبن، ولا يضيف ذلك " يوماً ثالثا " جديداً من التمزق، وليتوحد الجميع في يوم واحد فقط لعيد الميلاد أياً كان، ويوم واحد فقط لعيد القيامة وأياً كان أيضاً، ويمكن أن يشمل ذلك كل كنائس الشرق الأوسط.

اللهم أفض مواهبك السماوية على قلوب صانعي القرار في الكنيسة، لكي تتحقق وحدة الكنيسة من خلال المحبة الباذلة ونبذ الأنا ، والإبتعاد عن محبة الذات والجاه والتعالي التي يجب أن لا تكون في قاموس المسيحية الطاهر.

اللهم أبعد عنا كل دسّ وأفكارٍ دخيلة ومكايد تعمل على عرقلة مساعي التقارب والتآخي بين الطوائف المختلفة في كنيسة المسيح الجامعة الواحدة.

اللهم اجعل أن تكون " الكراسي " متساوية في الإرتفاع والشكل، ومصنوعة من مادة واحدة، خشباً كانت أم قماشاً أم ذهباً ..، ومصبوغة بلون واحد هادئ، كي لا تبقى عائقاً في طريق وحدة الكنيسة، اللهم استجب برحمتك، آمين.

الموسم الثقافي الخاص
بألقاب الرب ذات المدلولات اللاهوتية

كان الموسم الثقافي الخاص بالقاب السيد المسيح ذات المدلولات اللاهوتية، والذي عقد في أبرشية الموصل السريانية الأرثوذكسية، للفترة من الثامن والعشرين من آب ولغاية الخامس من ايلول سنة ١٩٩٧م، خير معبّر عن المكانة المرموقة التي بلغتها الثقافة الدينية في هذه الأبرشية العامرة.

وثمة نقاط مهمة تميّز بها هذا الموسم، وبرزت بشكل ملحوظ وملفت للانتباه بل أثارت الإعجاب، وهي :

١- تميّز هذا الموسم باتخاذه محوراً لاهوتياً محدداً يخص شخص السيد المسيح، حيث دارت المحاضرات والندوات والنقاشات حول ألقاب الرب يسوع ذات المدلولات اللاهوتية، كما تميّز بالمادة اللاهوتية الغنية والتي قدمت للمؤمنين الحاضرين بشكل يتناسب ومستوياتهم الثقافية المختلفة.

٢- وكان موضع افتخارنا واعتزازنا، المستوى الثقافي الديني الرفيع الذي وصل إليه شبابنا وشابّاتنا منتسبو دورات الدراسات اللاهوتية، وهم يشتركون في تقديم الندوات اللاهوتية ويتابعون النقاشات ويجيبون على التساؤلات والاستفسارات باقتدار وثقة عالية.

٣- وما أثار الإعجاب، هو الزخم الهائل من المؤمنين الذين كانوا يحضرون يوميّاً فعاليات الموسم، ويتابعون بشغفٍ النقاشات، يساعدهم في ذلك المستوى التنظيمي الرفيع الذي كان عليه الموسم، حيث بذلت جهودٌ جبارةٌ خلاله، وكانت أحد الأسباب المهمة لنجاحه بهذا الشكل الفريد والمميّز.

ونحن إذ نذكر هذه النقاط، نطمح دائماً أن نقدم الأحسن والأصلح والأكثر فائدة، خاصة وأن مركز التربية الدينية قد عقد العزم على تنظيم موسم ثقافي سنوي دعماً لمسيرة الكنيسة ونجاحها، ليكون ذلك محفزاً لأبناء الأبرشية على التسابق في الدراسات الدينية وتقديم ما لديهم من نتاجات في مختلف العلوم والفنون.

و ما نريد قوله في نهاية أعمال هذه التظاهرة الكبيرة، هو أن نشكر الرب :

شكراً للرب أولاً، الذي منح مواهبه وعطاياه الغزيرة للمؤمنين، ليعملوا معاً بمحبة وتضحية، فيكون النتاج مميّزاً ومتكاملاً وجذّاباً؛ وشكراً للرب الذي وهبنا راعياً أميناً يقود مسيرة الأبرشية بتواضعٍ ومحبة وبذل، في طريق النهوض والتقدم والعطاء؛ وشكراً للرب الذي هيّأ للأبرشية عاملين غيورين ومخلصين، اكليروسَ وعلمانيين،

يعملون ببذلٍ في حقل الرب كشهود ليسوع له المجد، وغايتهم أن يتمجّد اسم الرب القدوس.

وشكراً لكل الذين ساهموا وعملوا على إنجاح هذا العرس السرياني الرائع، نقول شكراً للجميع لأننا لا نستطيع أن نذكر الجميع بالاسم، شكراً على الحضور، وشكراً على الهدوء، وشكراً على الالتزام وعلى الابداع وعلى المساهمة بأي شكل كان.

ومرحى لكنيستنا السريانية الأنطاكية الأرثوذكسية، مرحى لرئيس أحبارنا المعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، ولمطراننا المحبوب مار غريغوريوس صليبا شمعون، ولكل الأحبار الأجلاء والكهنة والشمامسة والشماسات، مرحى لكل من يمتلك روح الخدمة ويوظف ذلك في حقل الرب بأمانة، وإلى لقاء في موسم قادم بعون الله.

زيارة
راهبات مار يعقوب البرادعي

عاش المؤمنون المباركون في أبرشيات العراق السريانية خلال شهر آذار المنصرم (٢٠٠١م) أجواء فرحة روحية عارمة، أججتها زيارة راهبات كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية المنتسبات لدير مار يعقوب البرادعي، المجاهد الأرثوذكسي العظيم، تتقدمهم الأم الحنونة (حنينة هابيل) رئيسة هذه الرهبانية ومنذ تأسيسها بهمة ورعاية قداسة سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص سنة ١٩٩٠م.

وكان لهذه الزيارة الروحية أثر عظيم في النفوس، حيث ارتسمت في مخيلة المؤمنين أمجاد الكنيسة المقدسة وبالذات تاريخ الخدمة الرهبانية بشكل عام والرهبانية النسوية بشكل خاص ومنذ فجر المسيحية.

وتأملت وأنا أتابع الراهبات المباركات وهن يُحِطنَ بالأم الجليلة والمربية الفاضلة حنينة التي تهبهن كل العطف والحنان والمحبة، فتؤجج في دواخلهن غيرة عارمة واندفاعاً لخدمة أمنا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، وعزماً على المضي قدماً في طريق هذه الخدمة الجليلة، طريق القداسة والعفاف، وكأنهن خلية نحل دؤوبة تعمل بكل اجتهاد على إنتاج العسل الروحي الذي يغذي المؤمنين.

رأيتهنّ كجنينة جميلة تزهر وتثمر، يرعاها ويعضدها ويغذيها روحياً بكل حكمة وحنكة ودهاء سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص الجالس سعيداً على السدة البطرسية الأنطاكية المقدسة، وبهذه الرؤية انتصب أمام عيني طيف النسوة والعذارى الفاضلات والقديسات الجليلات اللاتي كن يجتمعن للصلاة مع الرسل بنفس واحدة، تتقدمهنّ العذراء الطاهرة مريم والدة الإله، في الكنيسة الأولى بعد صعود الرب يسوع الى السماء (اع ١: ١٤) .

وفي طلعة كل راهبة، استذكرت إحدى القديسات اللاتي عملن في حقل الكنيسة خلال العصر الرسولي وبعده، كبنات الشماس فيلبس الأربع العذارى اللاتي كن يتنبأن ويبشرن في كنيسة قيصرية (اع ٢١: ٨و٩)، مروراً بالقديسة جوليا في كنيسة روما (رو ١٦: ١٥)، ونساء فيلبي اللائي كن يجتمعن مع الرسول بولس للصلاة (اع ١٦: ١٣)، وفيبي خادمة كنيسة كنحزيا وصاحبة الأيادي البيضاء في الخدمة (رو ١٦: ١و٢)، وليدية بائعة الأرجوان المتعبدة للرب في مدينة تياتيرا (اع ١٦: ١٤)، وبريسكلا المؤمنة الغيورة (اع ١٨: ٢)، وتقلا القديسة المجاهدة (القرن الاول الميلادي)، وبربارة البتول الشهيدة (٣٠٣ م+)، والشهيدة يوليطي أم مار قرياقوس (٣٠٤ م+)، وراهبات دير السريان في قرة قوش خلال القرن الثالث عشر الميلادي،

وغيرهن المئات من القديسات الفاضلات والمجاهدات الشهيدات في حقل الخدمة لتمجيد اسم الرب.

وحين شنفت تراتيل الراهبات السريانية العذبة آذاننا، استذكرت حمامات الكنيسة السريانية الرهاويات، مرتلات مار أفرام السرياني العظيم اللاتي كن ينشدن تراتيله وألحانه الخالدة والتي تناقلتها الكنيسة وعلى مر العصور؛ وحين تنحني هامات الراهبات الورعات سجوداً أثناء الصلاة، ترتسم في القلوب المؤمنة عظمة التواضع المسيحي، وأمجاد الرهبانية الحقّة التي كانت ولا تزال الينبوع العذب الذي يغذي الحياة الروحية للكنيسة ويسمو بها لتمجيد اسم الرب يسوع.

وفي تأملاتي هذه، ارتسمت لوحة فنية رائعة لحمامات وديعات يرفرفن حول برج عالٍ لقلعة منيعة ترتفع على قمة جبل شامخ، فالحمامات هن الراهبات، والبرج العالي هو قداسة سيدنا البطريرك زكا الأول عيواص، والقلعة المنيعة هي أمنا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، والجبل الشامخ هو صخرة الإيمان التي أعلنها الروح القدس على لسان مار بطرس في قيصرية فيلبس حين قال للرب يسوع : انت المسيح ابن الله الحي، فاجابه الرب قائلاً : على هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها (مت ١٦: ١٣-١٨) .

وسعادتنا اليوم أيها الأحباء هي فرحة كل مؤمن مسيحي سرياني غيور يصرخ من أعماقه قائلاً: الحمد لله فأن كنيستنا بخير، الكنيسة بخير مادام الرب يسوع معها، وهو يحرسها كل الأيام إلى انقضاء الدهر(مت ٢٨: ٢٠)، والقبطان الحكيم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص يقود دفتها بإلهام الروح القدس، وأساقفة الكنيسة الكرام يخدمون الرعية بكل تواضع، كل في كرسي أبرشيته، ويعملون بمحبة وعطاء باذل، محافظين على وديعة الإيمان لينقلوها بكل أمانة إلى الأجيال اللاحقة، ويديرون عجلة الخدمة في الكنيسة نحو التطور والرقي ومواكبة المسيرة الجهادية الحقّة، وصولا إلى ميناء السلام في أكناف الرب يسوع ملك السلام .

الحمد لله كنيستنا بخير مع انتعاش هذه البذرة المباركة، الرهبانية النسوية، والتي تقودها الأم حنينة بتوجيه سيدنا صاحب القداسة ورعايته المباشرة والمستمرة، لتسير نحو الذرى وتواكب الأمجاد السريانية المتتابعة عبر العصور، فتنهض بكنيسة المسيح نحو أمجاد أعظم .

وأخيراً، نصرخ من الأعماق : شكراً لله ، شكراً لله الذي يقود الكنيسة ويرعاها ، ومرحى للكنيسة المقدسة التي سوف لن تقوى عليها أبداً قوات الجحيم.

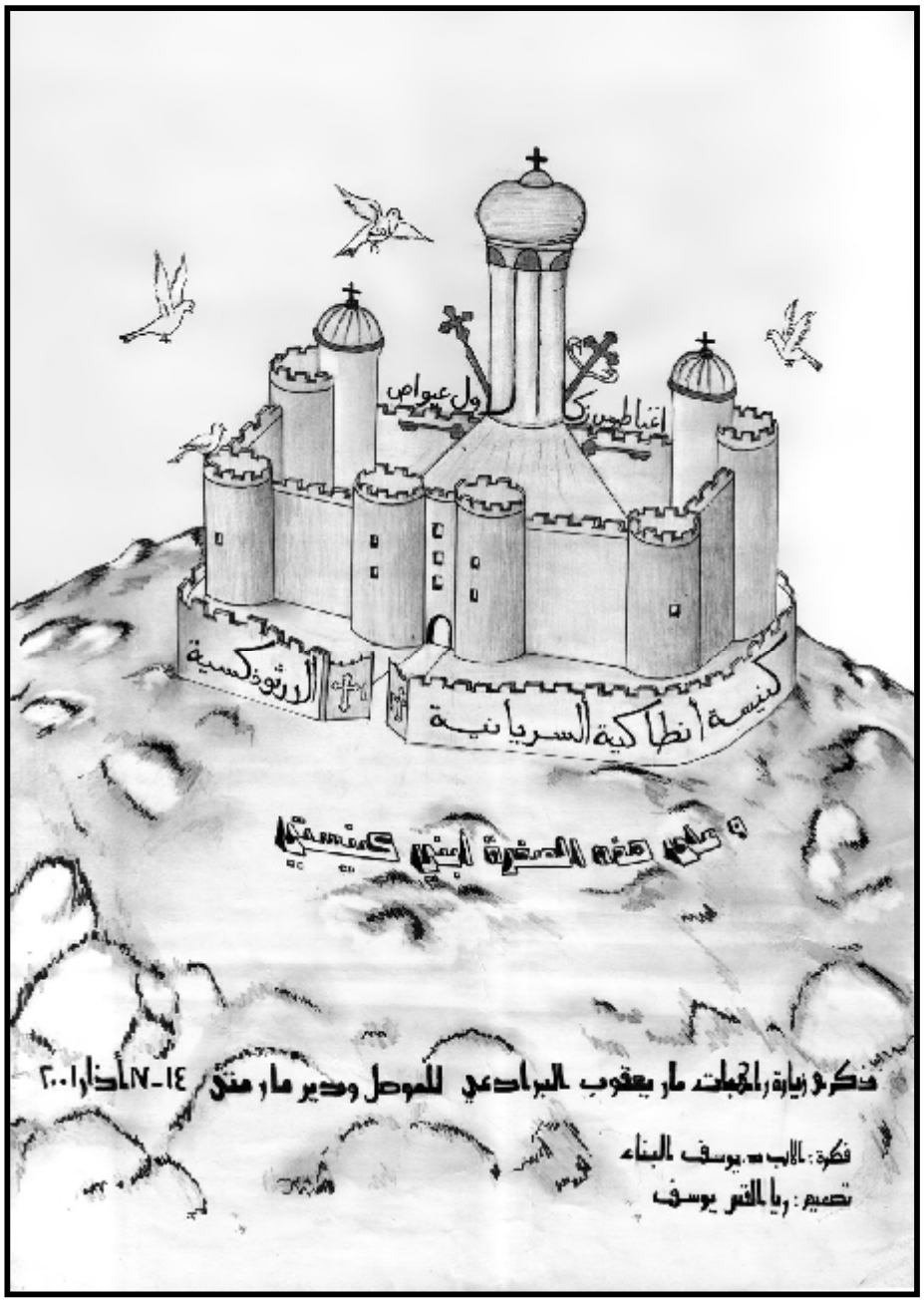

اغناطيوس زكا الأول عيواص
كنيسة انطاكية السريانية الأرثوذكسية
على هذه الصخرة أبني كنيستي
ذكرى زيارة راهبات مار يعقوب البرادعي للموصل ودير مار متى ١٤-١٧ أذار ٢٠٠١
فكرة: الاب د. يوسف البناء
تصميم: ريا القس يوسف

تخرج
دورة الدراسات اللاهوتية

احتفلت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في الموصل مساء يوم الخميس المصادف ٢٠٠٢/٦/٢٠م. وعلى قاعة كاتدرائية مار أفرام بتخرج طلاب المرحلة الأولى من دورة الدراسات اللاهوتية الكتابية التي وسمت باسم " دورة مار سويريوس موسى بن كيفا " واستمرت لأكثر من سنتين، حيث افتتحت في يوم ٢٠٠٢/٢/١٦م.

خرجت من هذا الاحتفال الرائع كغيري من المؤمنين الغيورين على مسيرة الكنيسة وازدهارها، وأنا في حالة نشوة روحية عارمة وفي دواخلي فرحة لا توصف، إذ ظهر جلياً عمل الروح القدس في المؤمنين من خلال هذه الدورة ومنذ اليوم الأول لافتتاحها وحتى إنتهاء حفلة التخرج هذه، فالروح القدس يعمل في كنيسة العهد الجديد وبكل النعم والمواهب التي يمنحها للمؤمنين على اختلاف مستوياتهم الثقافية والإجتماعية كما أعلن الرسول بولس قائلاً: (حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما، ١كو١: ٧)، فكل المواهب الروحية متاحة لأعضاء جسد الكنيسة الطاهر أي المؤمنين وما عليهم إلاّ الإهتمام بما يملكون من مواهب وتنميتها واستغلالها بحرارة إيمانية لتظهر ثمار الروح القدس فيهم، وهذا ما حصل من خلال هذه الدورة وبدا واضحاً في النقاط التالية :-

١- أصدق تعبير عن مشاعر الفرح والإعتزاز بهذه الدورة هو الوصف الذي قدمه نيافة الحبر الجليل مار غريغوريوس صليبا في كلمته أثناء احتفال التخرج، حيث قال أن المقياس الذي اعتمده لدواعي الفرح والنجاح في هذه الدورة هو الإندفاع الكبير والتجاوب العظيم الذي صدر عن أبنائنا الأعزاء فور الإعلان عن فتح الدورة، والذي يعبر عن العطش الروحي وحب الروحانيات الذي يتمتع به بشكل مميّز المؤمنون في أبرشية الموصل العامرة.

٢- منذ اليوم الأول الذي انتظمت فيه هذه الكوكبة المباركة من أبناء الكنيسة في الدورة، ظهرت الغيرة الإيمانية التي يمتلكونها بأسمى معانيها وهم يتحملون خلال أكثر من سنتين متواصلتين مشاق ومشاكل النقل والتقلبات الجوية من حر وبرد وعواصف وأمطار، ويُوَفّقون بنجاح بين متطلبات بيوتهم وأعمالهم والتزاماتهم المختلفة والملحّة، ليستمروا رغم كل شيء بفرح روحي ويتابعو بشوق صادق المحاضرات والمناهج المخصصة؛ ورغم أن أعمار العديد منهم تجاوزت السن التي كانوا يجلسون فيها على مقاعد الدراسة، لكنهم بصبر وجلد مميز عادوا طلاباً وجلسوا على مقاعد كنيسة الطاهرة الخارجية ليستمعوا في أكناف أمنا العذراء مريم بشغف إلى المادة العلمية الدينية واللاهوتية والتاريخية التي كانت تقدم لهم.

٣- وقد أعجبت شخصياً بالمستوى المميز في الأداء الذي وصل إليه غالبية منتسبي هذه الدورة، كيف لا ومعظمهم أصبح لديه القابلية على المناقشة في المحاضرات التي يحضرونها ضمن أنشطة الكنيسة المختلفة، كما أصبحوا يميّزون الصحيح والحسن في ما يسمعون ، ويتمعنون بحذر بما هو محشورٌ بين السطور لكل ما ينشر أو يلقى على المؤمنين في المواعظ والمهرجانات والتجمعات الثقافية الدينية، ويؤشرون حتى بعض الهفوات التي قد تطرح في الأحاديث واللقاءات.

وفي مادة التاريخ الكنسي بالذات، التي هي من المواد الصعبة جداً لما تحويه من أرقام لسنين وأعوام وأحداث متنوعة وتسلسل زمني وربط للأحداث ...إلخ، فقد امتلك منتسبو هذه الدورة قدرة عجيبة على تقبل هذه المعطيات بدقة متناهية وبكل طلاقة وثقة.

٤- وكان لحفل التخرج ذاته وقع خاص وتأثير كبير في نفوس الذين حضروه، ليس فقط لحسن التنظيم وتتابع الفقرات والمعلومات التي قدمت عن الدورة، بل أيضاً للروحية التي خلقها الحفل في نفوسهم ، إذ أقبل العديد من المؤمنين الذين حضروا الإحتفال أو سمعوا تفاصيله لاحقاً يرومون الانضمام إلى الدورة الجديدة ويسجلون أسماءهم للأنتساب إليها.

إنه الروح القدس أيها الأحباء، يعمل في الكنيسة والمؤمنين، وهو الموجه الأول والمرشد لمسيرة الكنيسة والمشجع والمؤازر لكل عمل روحي ونشاط يخدم الكنيسة، والذي بقوته وعضده تتكاتف وتتظافر الجهود والمواهب والطاقات معاً للاستمرار في الخدمة والعطاء نحو مستقبل زاهر لكنيسة المسيح بعونه تعالى.

تكريم
البروفيسور سمير عيواص

خلال تاريخ البشرية الطويل، برزَ أعلام في معركة العلم والبناء الصعبة، وتلألأت نجوم في سماء الإنسانية العالمة، لتنهض بالمجتمع وصولاً إلى مستويات تفوق حدود المعقول وما يتحمله العقل البشري، من معطيات ومفردات علمية جاءت في طفرات نوعية وفي مختلف الإختصاصات.

واليوم أيها الأحباء، الخميس ٢٠٠٢/١٠/٢٤م، نقف هنا في أرجاء كاتدرائية مار أفرام، وفي رحاب الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، وعلى أرض عروس الأبرشيات – الموصل، في بلاد مهد الحضارات ومنابع العلوم – وادي الرافدين، عراقنا الحبيب، لنحتفي بالتفاتة كريمة مباركة جاءت من لدن قداسة الحبر الأعظم مار اغناطيوس زكا الأول عيواص ، في تكريم عالم جليل من أبناء الكنيسة في الموصل، احتل مكانة مرموقة في حقل الكيمياء الواسع، ونال لقب (عالم من الدرجة الأولى) في هذا المجال، هو البروفيسور سمير عبد الرحيم عيواص، بتقليده وسام مار أفرام السرياني.

لم يصل هذا العالم الجليل إلى هذه المكانة، ولم يحقق الإنجازات الكبيرة التي حققها بجدارة، إلاّ بعد جهود مضنية قام خلالها بتناول المادة العلمية بحثاً ودرساً وتمحيصاً خلال أكثر من أربعين سنة اختلط فيها سواد الليل ببياض النهار، وحر الصيف بقرّ الشتاء بكل فرح وقناعة وسعادة .

أتأمل حياة الأستاذ د. سمير عبد الرحيم عيواص، كغواصٍ ماهرٍ بارع، في بحر العلوم الواسع، يركب الأمواج المتلاطمة، ليغوص متحدياً المخاطر، فيخرج درراً ولآلئ كيمياوية، يصنع منها قلادة فاخرة ثمينة، يقدمها هدية يفتخر بها، تزيّن واجهة الأسطورة الحضارية المميزة في الإبداع العلمي لرجال كنيستنا المقدسة ولمجاهدي بلدنا الحبيب ووطننا الغالي، العراق.

نفتخر نحن أبناء الكنيسة السريانية في الموصل بما حصل عليه البروفيسور سمير عيواص من مكانة علمية متميزة في حقل الكيمياء، وتكريم مميز من لدن سيدنا صاحب القداسة الحبر الأعظم، ونعتبر هذا العالم الجليل قدوة لجيل الشباب المثابر، من أجل رفع اسم الكنيسة والوطن عالياً ، وديمومة المسيرة بخطوات واثقة، في المكانة المميزة اللائقة، في عالم يندفع بطفرات علمية متلاحقة نحو الأمام، والشكر لله.

كلمة في كتاب

بين أيدينا درّة فريدة بل لؤلؤة نادرة طرّزت تاج الثقافة الكنسية الشرقية، التي كانت تفتقر لهذا النهج الإبداعي الثقافي في التعامل بحقٍّ مع الآخر، وما أشدّ وقع قول الحقّ كما يقول الصابر أيوب (أي٦: ٢٥)، خاصة ونحن نلج الألفية الثالثة للميلاد وكرة الأرض تغلي بدوامات خانقة صعبة وأحداث وتجارب قاسية، تجعل من " كلمة الحق" المخرج الوحيد لتنقية النفوس وصقل الأفكار وإملاء الدروس والسموّ بالمجتمع المسيحي فوق التيارات المتلاطمة والأمواج العاتية التي تكاد تغرق النفس البشرية في متاهاتها.

الله حق (إر ١٠: ١٠) والذين يعبدونه يسلكون بحسب الحق (٣ يو ٣)، وهو يريد من خدّامه أن يعلموا الناس طريقه في الحق مقتدين في ذلك بالربّ يسوع (مت٢٢: ١٦)، وهكذا وبكل صراحة وشفافية، وبعيداً عن كل أنواع المجاملة والمباهاة والمحاباة والتملق والمداجاة والمؤاربة، خرج سيدنا مار غريغوريوس صليبا شمعون على المجتمع المسيحي بكلماتِ حقٍّ جمعها في كتاب فريد بعنوان (**مئة كلمة وكلمة**) ، صدر عن دار ماردين للنشر في حلب لسنة ٢٠٠٦م، وقد قدّم نيافته هذه " الكلمات " هدية لكل من يؤمن بالحقيقة ويتعشقها ويتمسك بها، ولكل من يحيا للمسيح بعيداً عن الأنانية والتعالي والكبرياء، وكل من يتخذ الصبر مفتاحاً لديمومة الأيمان والسعادة الروحية في هذه الحياة الدنيا، مقاوماً كل تيارات الشرّ واللاّ حق.

ومن خلال هذه " الكلمات " يسبر سيدنا صليبا غور أهم المفردات الروحية والإجتماعية والإنسانية، والتي أبرزها للمجتمع بما تحتاج من إيضاح أو دعمٍ أو تشجيعٍ أو إدانةٍ أو انتقادٍ، وبشجاعة نادرة وجرأة قلّما طرقها رجل دين في السابق، بل قلّما أقدم على تناولها بهذه الصراحة.

ويكفي أن تقرأ " الكلمة الأولى " من هذا الكتاب النفيس لتعي أهداف الكاتب الجليلة وما سعى إليه من خلال كتابه هذا، الذي فيه الكثير من الدروس والعبر الروحية والإجتماعية والإنسانية، والتي تروي فعلاً المتعطشين للحياة الحقة في رحاب الله، وتغني نفوسهم بكنوزٍ لا تبلى، تصل بهم إلى الطريق الحق نحو الله.

وفي رحاب الروحانيات، يدخل المؤلف معركة الحياة الإنسانية الشرسة، والتي تختلف أسلحتها (الروحية) عن الأسلحة التقليدية التي يستخدمها تجار الحروب ومروجو الفتن والخلافات في العالم، فمن يدخل معركة الحياة هذه ليغلب وينتصر فينال الخلاص، عليه أن يعي قول الربّ له المجد : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان (مت٤: ٤) بل بالبر والسلام والفرح الروحي والأيمان الصادق بالربّ، وأن قوام الحياة الحقة هو المحبة - محبة الله والقريب – النابعة من الله، إذ أن الله محبة (١يو٤: ٨)، والمشعل

الذي ينير للمؤمن في المعركة هو الكتاب المقدس، ومن لا يتمسك به يسقط صريعاً في ظلمة ظلال الموت، فيكون وقودا لنار المعركة.

واليقظة الروحية اساس لديمومة الإنتصار والغلبة في هذه الحياة، حين يعي الإنسان كيف يعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت٢٢: ٢١)، ويشعر بوجوده في المجتمع كإنسان الله حين يكون سعيداً بعطائه (٢كو٩: ٧) ويسلك الطريق الصحيحة حاملاً الصليب ليتبع المسيح يسوع (من١٠: ٣٨) الذي علّمنا بتنازله من علياء مجده وولادته من العذراء مريم في مذود بسيط للحيوانات، معاني المحبة والسلام والحق والقوة النابعة من الله، ليعمل " البعد الآخر" في انسان الله عمله رغم كل الفساد الذي استشرى بين البشر، وتظهر بكل صفاءٍ ووضوح ملامحه في الإنتصار للمظلوم، وإغاثة الملهوف، ومسح الدموع المنسكبة عن المآقي المتألمة، وإكساء جسد البائس الشقي، وعيادة المريض، وزيارة المسجون، وحمل قطرة ماء لمدنف محتضر، تبعد عنه شبح الموت... وغسل الضمير وتنقية القلب عن كل ما علق به من حسد وكراهية وكبرياء وحب انتقام.

ويتصدى حبرنا الجليل بشجاعة فريدة وشفافية خالصة، لظواهر مدانة في مجتمع اليوم، ليكسر أولاً عنجهية الذات – هذا المعبود الغاشم والعريق بالعبادة، الذي اتخذه الإنسان إلهاً من دون الله – يكسره بمطرقة التواضع السماوية متمثلة بالقدوة يسوع المسيح، ربّ التواضع ؛ وينتقل بعد ذلك نيافته في جولة طويلة مضنية يمر خلالها بأصنام وأوثان المجتمع التي تشوة إنسانية البشر هذه الأيام، من انعدام المحبة في القلوب والإنجراف في متاهات الخيانة بأنواعها وتغليب إرادة الشرّ على الخير وسبات الضمير والغرور والعنصرية والتعصب وعدم الأمانة والعشرة الرديئة ...إلخ من قائمة طويلة من المفردات التي تجعل ممن يتنفسون الهواء ويسيرون في الطرقات أمواتاً في عالم الأحياء، كونهم غرباء تماماً عن المباديء السامية التي تحملها الإنسانية الحقة في مفهوم السماء.

وفي جولته الصعبة هذه، يخرج منتصراً حين يزعزع أركان كل تلك الأصنام ويعري أساساتها، ويهز الضمير الإنساني بصرخات مؤثرة ليجعله يصحو من سكرته بعبارات كالسيف البتّار والألسنة النارية تقول : أنبقى أطفالاً ؟ أما آن الأوان أن ننضج روحيا مستعينين بالروح القدس الذي يرشد إلى جميع الحق ؟ وإلى متى نبقى نستخدم الأقنعة الزائفة مشوهين طلعتنا البهية بها؟ ولماذا نتناسى قول الربّ أن ليس خفيّ إلا ويظهر ؟ لماذا لا نعيش بشفافية وصراحة ووضوح كما علّمنا له المجد ؟، ليصل أخيراً إلى مسك الختام وميناء السلام في محصلة هادئة وخلاصة وديعة مفهومها هو: إعمل يا أخي الإنسان أن تكون لك شراكة حية مع الله، لتبقى على تلك الصورة الجميلة الناصعة والنقية التي أرادها لك الله يوم خلقت.

وبتواضعه المعهود، عرّج سيدنا صليبا في هذا الكتاب على شخصيات ثلاث من تاريخ الكنيسة (هم مار يعقوب البرادعي ومار ميخائيل الكبير وقداسة سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص) ليطرّز بمآثرهم الروحية والإجتماعية والإنسانية ما أراده في خلاصته من علاقة شركة روحية مع الله، صحيحة وسليمة.

ولا أنسى أن أذكر في الختام أن هذا المؤلف الرائع هو مفخرة لأبناء أبرشية الموصل السريانية التي يرعاها نيافة حبرنا الجليل مار غريغوريوس صليبا، وبالذات

لشباب وشابات الأبرشية وكل العاملين المنخرطين تحت لواء مركز التربية الدينية ودورات الدراسات اللاهوتية، كيف لا وأن معظم مواضيع هذا الكتاب قد زيّنت صفحات إصدارية **صدى المحبّة** الخاصة بالأبرشية بتصدّرها أعدادها من خلال ركن **صوت الراعي** الخاص بسيدنا صليبا.

نصلي لنيافة حبرنا الجليل، أن يمده الله بالصحة والعافية ويعضده باستمرار الروح الشبابية والنشاط المعهود الذي منّ به عليه، وإلى مزيد من العطاء والإصدارات بعونه تعالى.

وهـج المشاعـر

استقامة قلبي كلامي
أي٣٣: ٣

رسامتي كاهنا

(**تهيأ للرسامة في نهاية تموز**)، قالها سيدي صاحب النيافة مار غريغوريوس صليبا بحزمٍ ظهيرة أحد أيام شهر حزيران من عام ١٩٩٤م، وهو يدعوني لخدمة الكهنوت الشريف في أبرشية الموصل السريانية؛ وأجبتُ : أمركم يا صاحب النيافة، وتأملت : ترى لماذا خص سيدي صليبا الوقت بنهاية تموز؟

الإجابات على هذا السؤال متعددة، منها ما يتعلق بارتباطات صاحب النيافة خارج الأبرشية، ومنها ما يتعلق بفترة التدريب على طقوس الخدمة الكهنوتية وإتقانها، لكني أدركت الإجابة المهمة على هذا الأمر، والمغزى الحقيقي له حين تطلعت إلى تقويم الكنيسة السريانية الأرثوذكسية لأقرأ أن يوم الأحد الأخير من شهر تموز ١٩٩٤م. والذي فيه تمّت رسامتي كاهنا بوضع يد سيدي مار غريغوريوس صليبا في كاتدرائية مار أفرام في الموصل، هو تذكار المجاهد الكبير مار يعقوب البرادعي، أسقف الرها وسوريا وآسيا، هذا القديس الفذ الذي جاهد الجهاد الحسن من أجل تثبيت الأيمان الأرثوذكسي، جال أرض الرافدين يرشد ويشجع ويثبت المؤمنين خلال أقسى الظروف وأشرس الإضطهادات التي مرّت بها الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، عاش حياته متعباً ومضطهداً ومطارداً، وكان عصامياً وزاهداً، لم يكن يعرف السكون والراحة، ولا عرف الحقد والضغينة، بل كان يضطرم غيرة كالنار، ويعمل دائماً من أجل سلام الكنيسة، محتملاً الشدائد والصعاب والأخطار، فكتب بأعماله أنصع صفحة في تاريخ الجهاد المسيحي، وغدا علماً من أعلام الأرثوذكسية الأفذاذ؛ وهكذا أدركت أن سيدي المطران صليبا قد دعاني إلى العمل الكهنوتي في حقل الكنيسة وأرادني أن أعمل بمواصفات خاصة هي همة مار يعقوب البرادعي وغيرته الوقادة على الأيمان القويم المقدس.

إغرورقت عيناي بالدموع وأنا أصل إلى هذا التفسير الروحي لنداء صاحب النيافة، وعاهدت أن أعمل كما أرادني سيدي، بذات الهمة والغيرة ، ومهما كانت الظروف المحيطة، كيف لا ، ونيافته ينبهنا دائماً أن طريق الخدمة محفوف بالمخاطر والمطبات، ومزروعٌ بالأشواك ومملوءٌ عثرات، وعلينا أن نحتمل ذلك بكل صبرٍ وطول أناة، كي نكون فعلاً خداماً لأمنا الكنيسة وشهوداً للرب يسوع حتى الممات.

وعكتي الصحية

لا شيء أعظم من أن يشعر الإنسان بل يلمس أن الفادي يسوع هو معه في كل لحظة يعيشها على الأرض، يقويه ويسنده ويجنبه المخاطر والأمراض، فيكتشف يوماً بعد يوم عمق هذه الحقيقة المعزية وتأثيرها الواضح في حياته.

في الأسبوع الثاني من شهر كانون الثاني سنة ١٩٩٦م، مررت بتجربة قاسية جداً، أذهلتني كما أذهلت غيري من الأطباء الإختصاصيين في أمراض القلب، حيث أصبت باحتشاءٍ حاد ومنتشر للعضلة القلبية وأنا منهمكٌ ومستمرٌ في القيام بواجباتي من أعمال مجهدةٍ والتي من شأنها أن تؤدي لا محالة إلى الموت المحقق في مثل هذه الحالة؛ فالمصاب بهكذا مرض يلزمه الطبيب الفراش في غرفة العناية المركزة، ويبعد عنه أدنى المؤثرات النفسية والجسدية، وخاصة خلال الثماني والأربعين ساعة الأولى للإصابة، وفي تلك الفترة الحرجة والخطرة جداً كنتُ أتحرك بنشاط وألقي المحاضرات وأخدم القداس الإلهي وأحضر مراسيم دينية أخرى بشكل مكثف، ما كان كافياً جداً لأن ينهي حياتي على الأرض في مفهوم الطب وفي لحظة في طرفة عين.

هنا ظهرت عظمة الخالق وعنايته بخائفيه، وهنا بدا واضحاً أن غاية التدبير الإلهي هي أعظم من مفاهيم البشر وما توصلت إليه عقولهم من حقائق، فيقيناً وبحسب التدبير الإلهي أن مشيئة الرب تريدني أن أستمر في خدمة المجتمع في مجالي الكهنوت والطب على هذه الإرض، وأن مسؤولياتي تجاه القريب لم تنته بعد، وأن عليّ أن أكون قوياً بالنعمة (٢تيمو٢: ١)، فالمسيحي لا تعيقه الأمراض ولا تحد من نشاطه الضيقات ولا تثبط من عزيمته العثرات.

وكل ما أتمناه هو أن أكون الآن وفي كل حين جريئاً في العمل بكل كياني لمجد المسيح سواء عشتُ أو متُّ (في١: ٢٠) كالنحلة التي تنتج ما هو حلو ولذيذ للإنسان رغم قصر عمرها.

رسالة إلى
رهبان الكنيسة في اليونان

بسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد آمين

الأب الفاضل والأخ الحبيب الربان بولس جورج توزة الجزيل الإحترام.[٧]
الأباء الأكارم والإخوة الأحباء رهبان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدّسة في اليونان، الجزيلي الإحترام :

أشكر الربّ كل حين، الذي اختاركم لتكونوا خداماً لكنيسته ورعاةً للمؤمنين باسمه، متضرّعا إلى الربّ لأجلكم أجمعين أن تزدادوا نعمةً ومواهب روحية (مثمرين بكل عمل صالح، ونامين في معرفة الله، ومتقوّين بكل قوّة، كو١: ١٠ و ١١)، لما فيه خير أمّنا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدّسة وخلاص المؤمنين أبناءها.

أخي الحبيب الراهب بولس المحروس بالرب :

أشكر عواطفكم النبيلة بإرسالكم البطاقة الجميلة التي وصلتني منكم، وأشكر شعوركم النبيل تجاهي، كما أصلّي إلى الربّ أن يبعد عنكم كل مرض لأو مكروه، وأن تكونوا متسربلين بثوب الصحة والسعادة والسلام بالربّ يسوع على الدوام.

كنت قد أصبت باحتشاء العضلة القلبية الحاد (أي جلطة قلبية حادة وشديدة جدا)، ودخلت الإنعاش في المستشفى يوم الأحد المصادف الرابع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٩٦م. وكان ذلك اليوم هو تذكار السيّدة العذراء لبركة الزروع؛ وضاق بي الأمر جدا (١صم٢٨: ١٥)، وشعرت أن حبائل الموت اكتنفتني (مز١٨: ٥)، وفي يوم ضيقي التمست السيّد الربّ (مز٧٧: ٢)، وإلى الربّ صرخت في ضيقي فاستجاب لي (مز١١٨: ٥)، وشعرت يقيناً بقرب الربّ من المؤمنين ومساعدته لي، كما شعرت بقوة الصلاة التي رفعها المؤمنون للرب من أجلي، فالكل كان يصلّي (فإن صلاة الإيمان تخلص المريض والربّ ينهضه، يع٥: ١٥)، كما أن الربّ يسمع صلاة الصدّيقين (أم١٥: ٢٩)، فالمؤمنون كانوا يصلّون بحرارة، وصعدت صلاتهم إلى مسكن قدسه في السماء (٢أخ٣٠: ٢٧)، وتذكّرتُ صلاة الكنيسة الأولى من أجل الرسول بطرس، وكيف خلّصه الربّ من السجن والموت (الإصحاح الثاني عشر من سفر الأعمال)، فالربّ عوناً وُجد في الضيقات (مز٤٦: ١)، وهو ينجينا من الضيقات التي نمرّ بها (مز٣٢: ٧)، وعينه ترعانا (مز٣٢: ٨)، وهو عالمٌ دائماً بضيقاتنا (رؤ٢: ٩).

---

[7] رسالة أرسلتها لأخوة من رهبان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدّسة كانوا يدرسون في اليونان سنة ١٩٩٦م جوابا لكارت اطمئنان على صحتي كانوا أرسلوه لي بعد إصابتي بالنوبة القلبية.

وهكذا شاء التدبير الإلهي أن لا تنتهي مهمتي في خدمة الكنيسة على هذه الأرض، وأن هناك واجبات تنتظرني، وعليّ أن أقوم بها تجاه المؤمنين وخدمتهم، وأحمده تعالى إني أتعافى الآن وبدأت أعود إلى النشاطات التي كنت أقوم بها في حقل الطب والكنيسة، وبشكل خاص في دورة اللاهوت ونشرة صدى المحبة (وأعتقد أنها تصلكم شهريّاً، وآمل أن تشاركوا فيها بمقالات قصيرة في مواضيع روحية وثقافية ودينية متنوعة)، وكل الشكر للربّ.

أحبائي في المسيح :

أغتنم هذه الفرصة لأسأل عن دراستكم واجتهادكم في اكتناز كل ما تستطيعون من علوم روحية ودينية، تصبح زوّادة لكم في الطريق الذي سلكتموه وبإرشاد الربّ ونعمته (أعلّمك وأرشدك الطريق التي تسلكها، انصحك، عيني عليك، مز٣٢: ٨)، وما أكتبه لكم إخوتي، نابعٌ من الأعماق وبحسب الرؤيا الغيورة التي أريدها لكنيستنا المقدسة، فنحن نعيش زماناً أحوج ما تكون فيه الكنيسة إلى خدّامٍ يعملون بهمّة وغيرة ونشاط ووعي إيماني في مختلف جوانب فعالياتها، فالحصاد كثيرٌ ولكن الفعلة قليلون كما قال الربّ (مت٩: ٣٦)، والخدمة هي رسالة يؤديها المفرز بالروح القدس، ليعمل وتكون غايته بناء المؤمنين والنهوض بهم نحو حياة فضلى وكما يحق لإنجيل المسيح، فالمهمة المطلوبة من خدام الرب هي بناء النفس قبل تلقين المعرفة، وهذه فرصة لكم أن تطّلعوا على كل ما تستطيعون الوصول إليه في الأمور الروحية والدينية والإجتماعية التي تختص بتهذيب الفكر ليتشبّع بأسلوب ومعطيات الإنجيل، وتدريب الملكات في الوعظ واللغة والحوار والتأمل، وخزن المعلومات في مختلف المجالات المتاحة، ما يبني شخصية الخادم ويصقل قدراته ليكون شاهداً حقاً للمسيح يسوع؛ وهذا يسير جنباً إلى جنب مع وعظ النفس وتحرير ضمير الخادم من عبودية الأهواء والنزوات الدنيوية، والتنازل عن (الذات والأنا)، والخشوع والتقوى كمبدأ للحياة في تقبّل نعمة الله، وبلوغ حالة من الصدق مع النفس في السلوك تجاه الناس، والأمانة في المجتمع، وعندها ينطبق على الخادم وصف " إنسان الله" وكما جاء في الكتاب المقدس، ليسمو بحياة البرّ وسبيل القداسة (والبارُّ بايمانه يحيا، حب٢: ٤)، فيؤتي ثماراً حسنة كما أراد له المجد حين قال : أنا اخترتكم، وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمرٍ، ويدوم ثمرُكم (يو٥: ١٦).

والكنيسة بانتظاركم أيها الأحباء للتمتع بالثمار التي تثمرونها بعون الربّ في حقل الخدمة، وإني أرفع أكف الدعاء طالباً من الباري تعالى أن يجعلني أتمتع برؤيتكم أعمدة شامخة في بناء الكنيسة المقدس، ومصابيح منيرة في سمائها، ومباركٌ كل من يعمل في حقل الربّ.

ختاماً سلام بالرب يسوع لكم جميعاً، ومحبتي وتقديري لجميعكم بالرب يسوع، أذكروني بصلواتكم، ونعمة ربّنا يسوع المسيح معكم أجمعين، آمين.

أخوكم خادم الربّ
القس د. يوسف اسطيفان البناء
١٢ آذار ١٩٩٦م.

جولتي خلال سنة ٢٠٠٢م

ألزمتني ظروف خاصة لصديق عزيز أن أقوم بسفرة مستعجلة إلى مدينة القامشلي، مع أني لست من هواة السفر، وفجأة ودون سابق تخطيط وجدت نفسي في جولة كنسية روحية دامت ثلاثة أسابيع بالضبط (من الرابع عشر من شباط وحتى السابع من آذار ٢٠٠٢م) لمرابع الأمجاد السريانية متمثلة بمقر الكرسي الرسولي البطرسي الأنطاكي في باب توما – دمشق، والصرح البطريركي العظيم (دير مار أفرام السرياني في معرة صيدنايا)، القلب النابض بالمحبة والحكمة والعبقرية والأمجاد؛ وأبرشيات كنيسة أنطاكية السريانية الأرثوذكسية العامرة التي مررت بها، وهي كل من أبرشية الجزيرة والفرات (حيث البناء الروحي والعمراني والامتداد، والاجتهاد على خطى الأجداد)، وأبرشية حلب (حيث عبقرية الجد والعطاء، وتماسك التنظيم والأداء، والسموّ في مسكونية الآباء)، وأبرشية حمص وحماة (حيث الروح الشبابية والمحبة والتواصل باقتدار، على خطى باني الأمجاد - شيخ العلم مار إغناطيوس أفرام - ورهبة الزنار)، وأبرشية جبل لبنان (كخلية نحل في النشاط والمحبة والهمة، وكنز تراثي غني وأصالة سريانية ونعمة)، وكنيسة عمان (حيث التضحية الباذلة في الخدمة والعطاء ، والغيرة الفياضة وبالفادي اقتداء) .

وبعد عودتي بسلام إلى أبرشية الموصل المحبوبة – مسقط رأسي ومربيتي الروحية، شكرت من الأعماق ربي وفادي يسوع الذي شعرت بمرافقته ورعايته ومساعدته لي في كل خطوة وعمل قمت به، وتكلل بالنجاح والتوفيق خلال هذه الجولة، فجلست ألملِم الذكريات وأتأمل المعطيات وأربط الأحداث بالمسميات، لأصل إلى خلاصة لمحصلة هذه الجولة ومغزاها، وفائدتها ومعناها، وإذا بي أكتشف أن جولتي هذه كانت قد تهيأت وترتبت بإرادة ربانية ومنذ زمن هو بطول عمر خدمتي في الكنيسة، فالتحضير لها والمراسلات بشأنها والإعداد لبرامجها وإن لم يكن قد تم بما هو متعارف عليه اليوم، إنما كان قد ترتّب في القلوب مباشرة، إبتداءً بشخص أعلى سلطة كنسية في العالم، سيدي ومعلمي ومرشدي في حقل الرب، قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، الجالس سعيداً على السدة البطرسية الأنطاكية المقدسة، ومروراً بقلوب عامرة بالمحبة والحنان، هم سادتي أصحاب النيافة الاجلاء من أعضاء المجمع المقدس، الذين زرت أبرشياتهم العامرة، أو كان لي شرف اللقاء بهم خلال هذه الجولة، والآباء والخدام والمؤمنون في تلك الأبرشيات.

وكانت النتيجة تخيلاً روحياً مبهجاً يصوّرني وأنا أصعد جبلاً شامخاً عظيماً دائم الخضرة يمثل الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة، ترصّعه قلاع حصينة دؤوبة، احتضنتني بكل محبة وغمرتني بالكرم وغاية المودة، يعمل كل من فيها بهمة ونشاط لا

تعرف الكلل أو الملل، ويرعى كلاً منها مقدام غيور ملؤه العزم والعطاء والمحبة والتفاني والدهاء، تمثل هذه القلاع أبرشيات الكنيسة السريانية العامرة التي مررت بها وأصحاب النيافة الأجلاء المطارنة الذين احتضنوني وغمروني بمحبة وحنان وإكرام لا أستحقه، وصولاً إلى قمة هذا الجبل الشامخ حيث تربض قلعة القلاع، وينبوع الحكمة والحنكة والعطاء، ومنارة العلم والدهاء، ومصنع الرجال الأوفياء، أي الصرح البطريركي السرياني الأنطاكي العظيم، الذي يجلس متربعاً على عرشه بكل شموخ وتواضع قداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة في العالم، تحيط به كوكبة من الخادمات الجليلات الموقرات من منتسبات رهبنة مار يعقوب البرادعي التي أبدعها الروح القدس بشخص قداسة الحبر الأعظم وهمته ورعايته وإرشاده، تتقدمهم الأم الفاضلة والمربية الحنون " الأم حنينة " ؛ و شباب من الخدام الغيورين والجنود المخلصين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الرب، الآباء الرهبان والشمامسة من أساتذة وطلاب، الذين يحتضنهم الصرح البطريركي الموقر وكلية مار أفرام اللاهوتية ومقر البطريركية الموقرة في باب توما - دمشق، وقد اختارهم جميعاً سيدنا صاحب القداسة – أدام الرب بقاءه – بحكمة وحنكة مميزة، وهو يسهر بروح أبوية وقلب وديع على راحتهم وحسن إدائهم وصقل مواهبهم وتطوير قدراتهم، إذ يكمّل كل منهم الآخر بما يملك من مواهب وقدرات وقابليات، يعملون بها بكل تواضع وتفانٍ وطاعة، ويوظفونها للبنيان في خدمة أمنا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة.

وخلال هذه الفترة القصيرة التي عايشت خلالها نمط الحياة الروحية السامية المعطاء التي توفرت بهمة وحكمة سيدنا الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، ومساندة وغيرة أعضاء المجمع السرياني الأرثوذكسي المقدس في أنحاء العالم، إنتابني شعور بالزهو الروحي لما وصلت إليه كنيستنا السريانية الأنطاكية المقدسة من تقدم روحي وعلمي واجتماعي ومسكوني مميّز، إذ أنها تعيش عصر السريان الذهبي اليوم، مع تخطيط مستقبلي حكيم للسير قدماً بخطوات ثابتة نحو الأمام، واستوقفتني في هذه الفترة محطات ومواقف لا يمكن أن تنسى أبداً.

ومع أن هذه كانت المرة الأولى التي أقوم فيها بهكذا جولة، إذ لم يسبق لي زيارة هذه الأبرشيات والكنائس من قبل، لكني شعرت وكأني أعيش بين رعاة وآباء وإخوة مؤمنين أعرفهم ويعرفوني منذ سنين، أحبهم من الأعماق ويحبوني كأقرب المقربين، رعاة وآباء أحترمهم بكل جوانحي وأتعهد بالبقاء خادماً مخلصاً للمبادئ الإيمانية المقدسة التي يحملونها بكل طاعة ويقين، لما لمسته منهم من رعاية وحنان كابنٍ مدلل وأخٍ محبوب كان غائباً وعاد بعد حين، إذ غمروني بمحبة تمتد جذورها لمئات بل آلاف السنين، قوامها الإنتماء السرياني المقدس، والغيرة على الكنيسة وأرثوذكسية مسيرتها، والتفاني في سبيل نهضتها وازدهارها وسموها، وعضد وتشجيع خدامها ورجالها العاملين بصدق وأمانة، لتأخذ مكانها اللائق في العالم الذي يتطور ليس بخطوات بل بطفرات علمية وثقافية واجتماعية متسارعة كل يوم وكل ساعة.

رسالة إلى المؤرخ
يوسف القس جبرائيل الآزخي

بسم الآب والأبن والروح القدس، الإله الواحد آمين

إلى العم الفاضل والأديب المرموق والمؤرخ الفذ والآزخي البطل
الشماس الأستاذ يوسف القس جبرائيل جمعة الجزيل الإحترام :

محبة أيمانية دافقة، وتحية آزخية صادقة، وقبلات حارة من القلب منبثقة ، نبعثها لكم من الموصل التي سعدت لأيام معدوداتٍ بوجودكم ، فشنفتم الآذان في البيعة بصوتكم العذب ولحنكم الحنون الذي يطرب، وأبهجتم المسامع بكلماتكم وأحاديثكم التي ولجت مباشرة إلى القلب، وزينتم المجالس واللقاءات بمعطيات الرجولة والحنان والأيمان والحب ، فتركتم أثراً في النفوس عظيماً، ونشرتم " الأحداث والرجال " تاريخاً كريماً، وعرّفتم بمار دودو مجاهداً وناسكاً نحريراً، فعملتم شاهداً حقاً بصفاء الشهد، وأديتم الرسالة بكل حكمة وشجاعة وجد، بعون الخالق الأعظم الممجّد، يسندكم المسيح له المجد، ويعمل فيكم الروح القدس له الحمد، وشفيعتكم " عزرت آزخ " التي تستجيب لنادبيها ومؤمناً لا ترد.

وهذا عهدنا بكم، وهكذا كان دائماً رجال آزخ الصناديد، يدافعون عن دينهم وعِرضهم بقلوب مؤمنة وسواعد من حديد، لا يهابون الموت في سبيل الأيمان والشرف والخُلق الجيد، ويعشقون الشهادة من أجل اسم يسوع ويقدمون الدماء الطاهرة رخيصة تمتزج بزغاريد النساء والدموع، ويبذلون كل غالٍ ونفيس كي تبقى راية الأيمان خفاقة في الربوع، ويبقى اسم المسيح منارة تنير الدرب للجموع، ويبقى النداء : " عزرت آزخ هواري ليكي " صرخة أيمان وآصرة حب وصلاة خشوع.

الأستاذ الفاضل والعم المحبوب :

سأحاول أن أرسل لكم مع هذه الرسالة، مذكرات خاصة بالعم الفاضل حنا يشوع نور الدين، من مواليد أزخ ١٨٨٤م، من عشيرة النوردونكية، جاء إلى الموصل وتبع المذهب الروماني (الكاثوليكي) وأصبح من المتحمسين له لأسباب اجتماعية واقتصادية، ودرس في السمينير في الموصل، ثم عاد إلى آزخ خلال الحرب العالمية الأولى وشهد فترة حصار آزخ وسجل الأحداث يوماً بيوم، واشترك في الدفاع عن آزخ في تلك الفترة، ثم عاد إلى الموصل سنة ١٩١٩م ومنها رحل إلى بغداد حيث سكن هناك وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٨٠م في بغداد، وفي هذه المذكرات أيضاً أحداث أخرى عن أزخ

والغزوات والضيقات وقدوم " ميرا كورا " إلى آزخ وسبي النساء وبيع بعضِهِنَّ في بغداد..إلخ من أحداث قد تستفيدون منها في تدوين التاريخ.

أرسل لكم أيضاً التصاوير التي جمعتنا خلال تواجدكم في الموصل وغطاء الرأس لقرينتكم الفاضلة والتي كنا نشتاق أن تكون معكم في زيارتكم، فهي لابد أيضاً بطلة وأم فاضلة ومربية كريمة وزوجة مباركة، سندت وعضدت زوجها في الأفراح والأتراح، وكانت خير سند في الملمات، فانطبق عليها القول " وراء كل عظيم امرأة " الذي أخذه الأدباء عن قول صاحب الأمثال في وصف المرأة الفاضلة : (بها يثق قلب زوجها ... تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها. أم ٣١: ١١ و١٢).

سلام وأشواق وقبلات أولاً لشخصكم الكريم المحبوب، الذي يحمل في داخله كل السمات والصفات الأيمانية الشريفة التي ميزت أهل آزخ على مر العصور إضافة إلى محبة العلم والمعرفة والثقافة الجادة التي لمستها في شخصكم الكريم، وسلام لأفراد العائلة أجمعين، وللأب الفاضل شمعون وبقية الكهنة الموقرين في المالكية والقامشلي، ولكل سرياني غيور ومؤمن مجاهد في سبيل الأيمان المستقيم.

سلام خاص واحترام وتحيات للعم الفاضل رزوق كبرو مراد، الذي أحمل له ولعائلته الكريمة محبة مميزة، وكنت أتمنى أن أجلس واستمع لأحاديثه الشيقة مدة أطول لكني كنت على عجل يوم التقيته وأنا عائد إلى الموصل، إنه رجل مؤمن مبارك وأزخيّ غيور.

سلام من القلب لبيت العم عامو صليبا الذين احتضنوني في حلب وشعرت بينهم أني في آزخ بالذات مع أني لم أرها، رجال كرم وغيرة وأيمان وعمل، يحملون العبقرية الأزخية في دمائهم مقرونة بالكفاح والجهاد المثمر دائماً بعون الرب.

وأخيراً شفاعة أمنا " عزرت آزخ " والقديس مار كوركيس، ومار دودو وكل القديسين تكون مع جميعكم، تسندكم وتعضدكم في كل خطواتكم؛ وأفراد العائلة جميعاً يهدونكم أجمل التحيات والسلام، ودمتم محروسين بالرب، آمين.

المحب بالرب
القس د. يوسف أسطيفان البناء
كاهن كاتدرائية مار أفرام في الموصل
١١ / تموز / ٢٠٠٢م

إلى روح المأسوف على شبابه
المرحوم خالد شمعون كبرو

لمناسبة مرور أربعين يوماً على رحيله

بسم الآب والأبن والروح القدس الإله الواحد آمين

تباعا وتكراراً ، تسقط أغصانٌ يافعة خضراء، من شجرة الحياة الدنيا، وكثيراً ما يطفأ سراجٌ وهو لا يزال في أشد حالات توهجه، وفيه الكثير من الزيت، وهكذا اعتدنا نحن سكان الأرض، أن نودع بين الحين والآخر عزيزاً على القلوب، وفي ريعان الشباب، لنصل اليوم إلى انطلاقٍ جديد لنفس مُحبّةٍ أفلتت من جسدها الكثيف بما امتلكت من نشاطٍ وحيوية كانت حقاً مميزة، واستطاعت أن تختصر الطريق وتغلب الآخرين في خلع المنزل الأرضي وترك عالم الأحزان والألم، إلى عالم الأبدية، حيث ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال أحد ما أعده الله لخائفيه المؤمنين.

هكذا لُطمنا بفقدنا فجأة وقبل أربعين يوماً، أخاً عزيزاً من "أبناء عمومتنا المحبوبين"، وصديقاً حميماً لكل من يعرفه، المأسوف على شبابه وحسن خلقه وطلعته الضحوكة المبهجة، المرحوم خالد شمعون كبرو، الذي وافته المنية يوم الاثنين المصادف ٢٠٠٤/٦/٢١م، بحادث اصطدام مأساوي ومفجع، على طريق حلب-القامشلي في سوريا، ليبكيه الكبير والصغير، القريب والبعيد من عارفيه في مجتمع الموصل الحدباء، ويوارى الثرى بين زغاريد النساء ودموع الأهل والأصدقاء المتحسرين على فقده، وكلمات التأبين المعبرة والمعزية ، والتي اختلطت بالدموع وهي تتسابق خارجة من فم نيافة راعي الأبرشية الحنون، مار غريغوريوس صليبا شمعون.

نم قرير العين يا عزيزي خالد، فبعد أن طالك سلطان الموت الجسدي، الذي لابد أن ينال من كل مولود من امرأة، إنتقلتَ إلى حياةٍ لا سلطان للموت عليها، حيث الله سبحانه وتعالى، قد نفخ فينا نسمة الحياة الخالدة التي لا تفنى ولا تخضع إلاّ لسلطان الله.

نم قرير العين يا أخي خالد، لأنك عملت بكل اجتهادٍ من أجل عائلتك وأقربائك وأصدقائك بل كل عارفيك بتفانٍ ومحبة صادقة وهدوء، وتسارعت كي تغلب في الذوبان كالشموع لتنير أشد ما يكون، وليبقى ذكرك خالداً يا خالد في الربوع، وتبقى الطريق سالكة بعدك لكل من كنت تحب وتخدم، والنور فيها هو يسوع.

رحمك الله يا أبا مريم، فقد عملت بمبدأ إنجيليّ رائعٍ يقول : من يحب الله عليه أن يحب أخيه الإنسان كائناً من كان، فهو القريب الذي أوصى به ربنا الفادي الديّان.

نم قرير العين يا خالد، لأن والدتك الثكلى، الشماسة أنطوانيت داؤد ملكي مليحة، كانت بحق مدرسة، علمتنا معاني الأيمان والتعزية والصبر بأبهى حللها، وهي تمر بأقسى تجربة في حياتها، حين فقدتك أنت ابنها الوحيد ومعيل بيتها الشاب النشيط، علمتنا تلك المعاني بالصلوات والتراتيل والمدائح والمزامير التي كانت ترددها، وأنت بعد مسجى في البيت قبل تشييعك، وحتى هذا اليوم.

رحمك الله يا خالد، وطوباك، لأنك تركت زوجة مباركة تعي دورها كأمٍ شابة مسيحية مؤمنة، بصبرها وتمسكها بالرب وعزمها الأكيد على تربية ابنتها "مريم" والتعاون مع والديك واختك، لتسير أمور البيت بمحبة مسيحية ككنيسة، وتماماً كما لو كنت موجوداً معهم، وبالشكل الأيماني المبهج الذي كنت تريده.

نم قرير العين يا أخي خالد، فأن جميع أفراد العائلة بما فيهم العزيز والدك، وهم يمرون بهذه المرحلة المؤلمة والصعبة جداً بعد أن رحلت عنهم إلى الأبدية، تصرفوا بشكل أعطانا درساً في معنى الثبات في الأيمان، ولسان حالهم يقول مع الصابر أيوب : (فتبقى لي تعزية وبهجة أنني في خضم آلآمي لم أجحد كلام القدوس. أي٦: ١٠).

وأخيراً فكل الكلام يقصُرُ، ولا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل (جا١: ٨)، فإلى رحمة الله يا عزيزي خالد، أسكنك الرب فسيح جناته، صحبة الأبرار والصالحين، وألهم أهلك وعارفيك الصبر والسلوان ، وإلى لقاء حول مائدة السماء في حضرة الفادي، آمين.

ابن عمك

القس د. يوسف اسطيفان البناء

رسالة محبة
إلى نيافة مار طيموثاوس موسى

بسم الآب والإبن والروح القدس، الإله الواحد آمين

سيدي الحبر الجليل مار طيموثاوس موسى الشماني
مطران أبرشية دير مار متى وتوابعها للسريان الأرثوذكس،الجزيل الإحترام.

بعد لثم يمينكم المباركة أقول :

في حياة كل إنسان محطات مميزة، تستوقفه بين الحين والآخر، ليراجع محصلة ما هو عليه في مفردات الحياة ومكانته اللائقة بين أبناء جنسه من العباد.

وخادم الرب تستوقفه عادة مفردات روحية تتكون منها محصلة علاقته بالرب وبالقريب بالمفهوم الإنجيلي المقدس، وأذكر في هذا المجال الكلمات الخالدة لعبقري القرن العشرين في كنيستنا السريانية الأرثوذكسية المقدسة، وأعني به المثلث الرحمات الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام، الذي قال يوماً : آلاف الناس يغادرون هذا العالم دون أن يشعر بهم أحد، أي دون أن يقدموا شيئاً يذكر لفائدة مجتمعهم وأبناء جلدتهم؛ والقلائل القلائل هم الذين يغادرون العالم وقد تركوه بحال أفضل من يوم دخولهم إليه، أي أنهم قدموا خدمات جليلة أضفت جمالاً وأبدعت عطاءً وسمت بمستوى المجتمع الذي عاشت فيه، أولئك هم رجال الله القديسون.

ويوم الخميس المصادف ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٥م، كان محطة كبيرة ويوماً مميزاً في تاريخ أبرشية دير مار متى، وبالذات الدير نفسه، حيث وصلتم من مقر البطريركية العامرة في دمشق بعد نيلكم رتبة الأسقفية المكرمة لتستلموا المهمة الجسيمة التي وضعت على عاتقكم في خدمة هذه الأبرشية السريانية العريقة، بعد أن نلتم ثقة سيدنا صاحب القداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص الجالس سعيداً على السدة البطرسية الأنطاكية السريانية المقدسة بحفظ الرب وعنايته، كما نلتم دعم وتأييد صاحبي النيافة : سيدنا مار ديوسقورس لوقا شعيا مطران أبرشية دير مار متى المتقاعد الجزيل الوقار، وسيدنا مار غريغوريوس صليبا شمعون مطران الموصل الفائق الوقار، الذين بمحبة كانا إلى جانبكم في هذا اليوم التاريخي، كما كانت أيضاً كل الرهبانية السريانية في العالم مشتركة بهذه المناسبة المباركة متمثلة بشخص الأب الربان داود متي شرف والأب الربان برنابا الشماني الذين رافقاكم من مقر البطريركية العامرة إلى مقر كرسيكم في الدير؛ كما ونلتم ثقة ومحبة الإكليروس والشعب السرياني

في كنائس أبرشية دير مار متى وأبرشية الموصل أيضاً، وما هذا إلاّ بفضل الرب الذي عاهدتم على خدمة كنيسته بكل أمانة وإيمان.

وطقس التجليس في الدير عصر ذلك اليوم كان روعة بالبساطة والروحانية والمحبة الصادقة والتي بدت واضحة من تلقائية التصرف المبهج والذي أظهرته وعبّرت عنه مظاهر الإستقبال ونحن بعد في أسفل الجبل قبل الوصول إلى الدير، متمثلة بزغاريد مؤمنات قرية ميركي المباركة ورشقات أسلحة رجالها المحبوبين؛ ما يدل على صدق محبة وإرشاد ووداعة كاهنهم الموقر الأب زاكاي رعاه الله، ومختار القرية ورجالاتها المحروسين بالرب، والذين كانوا وسيبقون الخدام الأمناء للدير ومطرانه ورهبانه وزائريه، باركهم الرب جميعاً.

ولا يمكن للكلمات أن تعبر بصدق مهما نسّقت عن روعة الإستقبال وروحانيته خارج الدير وصولاً إلى كنيسة الدير، حيث أبرشية الموصل متمثلة براعيها الجليل وكهنتها الأفاضل وبعض المومنين، تشارك بهذه الفرحة؛ والجوق الموسيقي لكنيسة بحزاني وبهمة الأبوين الفاضلين الخوري أفرام والأب عبد الله أضفت جمالاً وروعة وبهجة في النفوس، والجمع السرياني المبارك بهتافاتهم وتراتيلهم وزغاريدهم، من بحزاني، ومن بعشيقة بهمة الأب عبد الله، وبرطلة بهمة الآباء قرياقوس وداود وألياس، وقرقوش بهمة الأب اسحق، والمجالس الملية المباركة في كل هذه الكنائس، إضافة إلى أعمال الترميم والتجديد المتواصلة داخل الدير وداخل الكنيسة بالذات، إنما جعل المشهد روحانيا، وجعلني أشعر وكأني في أزقة أورشليم يوم دخول الرب يسوع إليها.

وداخل الكنيسة كان المشهد روحياً ومعبراً عن روح المحبة التي تغمر السريان في كل مكان والتي هي القوة الفاعلة بعون الله ورعايته لأبناء الكنيسة في مسيرتهم الأيمانية : وأنتم تجلسون على كرسي المطرانية أمام المذبح، يقف إلى جانبكم معلمكم ومحبكم بالرب سيدنا مار غريغوريوس صليبا وكأني به يقول لكم : نحن إلى جانبكم أيها الحبر الجليل في مهام خدمتكم هذه، فستنالون كل دعمنا ومحبتنا لكم في هذه المسيرة المباركة؛ وفي الجانب الآخر كان يقف الأب الربان أدى وكأني به يقول لكم : يا سيدي الجليل، نحن خدام الدير وقد كرّسنا حياتنا لخدمة الرب في هذا المكان المقدس، ها نحن اليوم نقف إلى جانبكم ونسير بكل محبة وأمانة معكم وأنتم تستلمون رئاسة كرسي أبرشية دير مار متى العريقة المحبوبة، فاهنأ برهبانك يا سيدنا مار طيموثاوس، وسر يا حبرنا الجليل فيد الله معك في خدمة هذا الدير المقدس، وما نحن إلاّ خدام لمجد الرب في هذا المكان.

وهكذا شدّتني هذه الأجواء الروحية والأخوية المسيحية الحقة، فما كان مني إلاّ أن أطلب مشاركة متواضعة بالإحتفال لأعبّر عما في دواخلي تجاه دير مار متى وتجاه شخصكم المحبوب سيدي الحبر الجليل وتجاه الإخوة الرهبان والكهنة الخادمين معكم في هذه الأبرشية السريانية العريقة والعظيمة؛ ومع أني لست شاعراً، عبّرت بكلمات انسابت من الأعماق قائلاً :

أحقاً عاد (طيما [٨]) للربوع؟ فديرنا جذلٌ يمجّد يسوع
يستلهم عهداً فتقطر الدموع للقوم كانٍ منارة وينبوع
ينشر زهداً بأرواح سمت وغدت بحبٍّ للعالمين شموع
وقلوبٍ مؤمنةٍ تعشق الأقدا سَ وكلٌّ في صومعته قنوع
ديدنهم محبة الفادي وبذل الذات والتفاني والخشوع
بمحبة الله والقريب سمو سهدهم تقوى وصيامٌ وركوع
كذا سابقوا ففاح عطرهم منتشراً بين الأجناس والجموع
نور المسيح نقلوا إلى العباد وألهموا النفس في هذي الربوع
فاهنأ بحبرٍ ديرنا مستبشراً بوداعةٍ وهبها الفادي يسوع
قدوته في السلف من بذلَ دماه طراً[٩] وذرف مرّ الدموع
شعاره حبّ المسيح وغيرةٌ ومخافةٌ أركانها بين الضلوع
يجدّد العهدَ لكَ مسابقاً بإخوةٍ[١٠] ما عرفوا يوماً خنوع
يد الجماعة تعمل بفرحٍ فلا مكان للأنا ولا حسبَ أو فقوع[١١]
بحفظ الربّ طيموثاوس حبرنا وشفاعة (متى[١٢]) والسيّدة أم يسوع

سيدي الحبر الجليل :

وأنا أراجع تاريخ أبرشية دير مار متى، وقفت عند تاريخ ثلاثة أحبار أجلاء خدموا هذه الأبرشية العامرة وهم :

١- **مار طيموثاوس عيسى (١٧٤٣م+)**، وكان شيخاً فاضلاً وهماماً، وتغنى بشفاعة أمنا العذراء مريم التي عضدت مؤمني الموصل يوم استباح طهماسب الفارسي منطقتنا هذه ودمّر المدن والقرى والأديرة والكنائس، فنظم هذا الحبر الجليل الزجلية المشهورة : (مريم العذراء كسّرت الأعجام وانهزم منها عسكر طهمسخان).

٢- **مار أوسطاثوس موسى اللشي (١٨٢٨م+)**، الذي كان بسيطاً جداً في مظهره، وورعاً ومتواضعاً، وفي نفس الوقت كان أرثوذكسياً متحمساً ومجادلاً عنيداً وشجاعاً يفحم مجادليه بالحجة المقنعة، وكلفه ذلك أن يسجن مع البطريرك لفترة من الزمن.

٣- **مار طيموثاوس يعقوب موصلية (١٩٦٦م+)** الذي كانة شعلة وقادة بالهمة والنشاط في حقل الخدمة المدنية والدينية والعمرانية والإدارية، فقد تعين مديراً لمدرسة الطاهرة ومدرسة مار توما في الموصل، وكان ملماً بالطباعة، وترأس دير مار متى عدة مرات وهو بعد راهبٌ، وأنشِئَت أولى كنائس بغداد بهمته،

---

[٨] طيما = طيموثاوس. حيث جلس على كرسي أبرشية مار متى ثلاثة مطارنة باسم طيموثاوس، كان آخرهم المثلث الرحمات مار طيموثاوس يعقوب موصلية.

[٩] دماه طراً = بذل كل دمائه من أجل اسم يسوع.

[١٠] هم الإخوة الرهبان والكهنة العاملين في كنائس الأبرشية العامرة.

[١١] الفقوع = التشقق.

[١٢] أي القديس الجليل الشيخ مار متى ورفاقه الرهبان الأجلاء.

واهتم بإنشاء كنيسة البصرة، وأنشأ كنيسة مار يعقوب الرسول في قرية مغارة، كما أعاد افتتاح المدرسة الاكليريكية في دير مار متى، واهتم كثيراً بإعمار الدير وبمشروع سحب الماء من الجنينة للدير، ويشهد معاصروه كيف كان يساعد العاملين في الإعمار يداً بيد أثناء العمل.

وهذا بالحقيقة ما نتوسمه فيكم سيدي مار طيموثاوس موسى، أنكم على خطى أولئك سالكون : ورعاً وتواضعاً ووداعةً ومحبةً إنجيلية في التعامل، وحزماً وتحمساً وغيرة وإصراراً في الايمان الأرثوذكسي والتراث الطقسي السرياني العظيم، وهمة وقادة وحكمة مسيحية في البناء والتعليم والإدارة الكنسية، وإنعاشاً ونهوضاً بالحياة الروحانية التي تسمو بديرنا المقدس ليكون حقاً منبراً عالياً يبعث إشعاعاته الايمانية في كل اتجاه وصوب، وصرحاً دينياً مميزاً برهبانيته واكليريكيته وأجوائه العبادية ورهبته الدينية، ليتمجّد في كل ذلك اسم الفادي يسوع.

وأخيراً سيدي الحبر الجليل، نصلي إلى الفادي يسوع، بشفاعة أمنا العذراء، والقديس الجليل مار متى وسائر الرسل والشهداء والقديسين الأبرار، أن يعضد أسقفيتكم ويسدد خطواتكم ويمنحكم الصحة والعافية، ويوفقكم في كل الجهود التي تبذلونها في خدمة أمنّا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية المقدسة وبشكل خاص أبرشية دير مار متى السريانية العريقة، واشملونا ببركتكم ودعائكم، آمين.

خادم الرب
القس د. يوسف اسطيفان البناء
فجر يوم الأحد/ عيد الميلاد المجيد
الموصل ٢٥ / ١٢ / ٢٠٠٥م.

رسالة الى
خادم مكرس جديد[١٣]

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين

الأب الفاضل والأخ المحبوب ، خادم الرب الجديد، الجزيل الاحترام :

تحية سلام بالرب يسوع، وقبلات أخوية، وبعد :

أما وقد كرّست لخدمة الكهنوت الشريف بوضع يد الأسقف الموقر، لتبارك وتشجع وتحل وتشفع وتمسح وتعزي وترفق وتسامح وتداوي وتخفف وتزرع وتثبت وتصافح وتتحمل وتكابد وتعاني وتتالم ... إلى غير ذلك من مصطلحات الأبجدية المسيحية اللا محدودة في حقل الخدمة، تذكر انك الآن شخص مختلف وعضو مكرس مفرز في كنيسة المسيح، يعمل فيك الروح القدس بقدرات جبارة تفوق قابلياتك الذاتية ومهاراتك الشخصية، وما عليك إلا أن تكون على استعداد للتجاوب مع ما تمليه عليك روح الخدمة الحقة، اقتداء بالرسل الأطهار والآباء الأبرار، الذين ضحوا بكل شيء، نعم كل شيء في هذه الحياة، واعتبروه نفاية أمام معرفتهم للرب يسوع وشهادتهم له في المجتمع.

وكنيستنا السريانية الأرثوذكسية المقدسة هي اليوم أحوج ما تكون لخدام مثقفين لا يضعون نصب أعينهم إلا الخدمة والتفاني وبذل الذات من أجل أن تحفظ الوديعة الإيمانية الأرثوذكسية نقية صافية طاهرة لتنقل إلى الأجيال اللاحقة بكل أمانة وثقة .

أبي الفاضل وأخي المحبوب بالرب :

عندما تشعر بالتعب أو الملل أو ثقل صليب الخدمة في نهاية كل يوم تتحمل فيه مشقة وعبء النهار، ومقاومة مغريات ودسائس إبليس وجنوده التي تحاول دائما الإيقاع بخدام الرب وجرفهم في تيار عبودية الذات والتملك الدنيوي الزائل، وما إلى ذلك مما يبعد الخادم عن سيره الأرثذوكسي القويم، أدخل مخدعك واركع أمام ربك وتأمل بفرح مكانتك، شاكرا الرب على مساعدته لك، وتذكر أنك كاهن الرب المفرز بالروح القدس لإداء الخدمة المنوطة بك في حقل الكنيسة وكما تمليه عليك العناية الإلهية، وهذه قمة سعادتك، حين تكمل المهمات بأمانة واجتهاد، لأنك تعمل لحساب السيد المسيح فقط الذي جال الأرض يوما، وشاء أن يمتلك عيونا ولسانا وأيدي بشرية، بها يعلّم ويعِظ ويرشد ويوبخ ويؤنب ويرعى ..الخ من معطيات إلهية؛ واليوم ، فأنت أيها الكاهن الورع، أنت عينا يسوع ولسانه ويداه التي تنظر وتتكلم وتعمل على أنغام الله وقيثارته السماوية، ويا

[13] أرسلها لكل كاهن في يوم اقتباله لسر الكهنوت.

لها من أعضاء يريدها الله أن تكون مقدسة، فما أعظم المهمة التي تؤديها هذه الأعضاء البشرية الضعيفة، إنها أعضاء جسد المسيح الطاهر في المجتمع، وبدل أن تضعف أو تكل أو تتهاون أو ترتعش، عليها أن تبقى نشيطة وفعالة وقوية ومجاهدة لتأتي بثلاثين وستين ومئة ضعف.

فافرح يا أخى كلما شعرت بالتعب وابتهج كلما تصادمت الأمواج حولك وتمسك أكثر بالرب الذي يرشدك الطريق التي تسلك .. وعيناه ترعاك (مز ٨: ٣٢)، وتذكر أن طريق الخدمة محفوفة دائماً بالأشواك والمخاطر والمطبات التي لا يمكن تجاوزها إلاّ بمعونة الرب والسلوك كما يحق لإنجيل المسيح، وهكذا يكون إنسان الله، هكذا يكون خادم الرب، هكذا يكون الكاهن الذي يعي مكانته وحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه.

أخى بالرب :

الكهنوت عمل يهدى البشر إلى التشبه بالله، وهو الخصب باحتوائه كل الخيرات والغنى لمن يقوى على اقتباله، إنه الخدمة الحقة والطاعة والعطاء السخي والبذل الذي فيه يعطى الكاهن كل ما عنده للمجتمع، ويذوب كالشمعة لينير للآخرين، ويسلم ذاته للرب كليا ليكون أداة ووسيطاً لمجد الرب يسوع بين الناس، وهذا ما أرجوه منك يا أخي وأتوسمه فيك.

أرجوك : متى فكرت أن تفكر بالله، وإن أحببت فمن أجله تحب، ومهما تكلمت وعملت وسمعت وتأملت وتبصرت وتعبت وفرحت وحزنت، فافعل ذلك من أجل أن يتمجد اسم الرب؛ كن يا أخى قيثارةً يعزف الآخرون عليها ألحان السماء، ولا يصدر عنها إلاّ أطيب وأطرب الألحان، بأى شكل نُقرت وبأنامل كائنٍ من كان.

وفقك الرب في خدمتك، واذكرني في صلواتك، ورافقتك العناية الإلهية على مر الأزمان، آمين.

أخوك في حقل الخدمة
القس د. يوسف اسطيفان البناء

المصادر الانكليزية :-

1-A BIBLE ATLAS; J.L.HURLBUT, D.D; RAND McNALLY & COMPANY; U.S.A; 1943.
2-ANTICHRIST; E. RENAN; BOSTON – USA; 1897.
3-A SUMMERY OF CHRISTIAN DOCTRINE; L. BERKHOF; LONDON; 1968.
4-INTRODUCING CHURCH HISTORY; G.W.KIRBY; LONDON BIBLE COLLEGE.
5-OLD TESTAMENT INTRODUCTION; J.H.RAVEN; NEW YORK; 1906.
6-SEARCH THE SCRIPTURES; (THREE YEARS BIBLE STUDY COURSE); A.M.STIBB; LONDON; 1949.
7-THE ABINGDON BIBLE COMMENTARY; F. EISELEN, E.LEWIS, D.DOWNEY; LONDON; 1929.
8-THE CAMBRIDGE COMPANION OF THE BIBLE; LONDON; 1893.
9-THE GOOD NEWS OF THE WORLD TOMORROW; AUGUST 1987.
10-THE RELEVANCE OF CHRISTIANITY; F.R.BARRY; LONDON 1932.
11-THE STORY OF OUR RELIGION; VOLUME 1; E.A.GARDINER; LONDON 1937.

المصادر العربية :-

١- الكتاب المقدّس (الطبعة اليسوعية)، دار المشرق ،بيروت، ١٩٨٩.
٢- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميديا، القاهرة ١٩٩٧.
٣- سلسلة بحوث تاريخية لاهوتية روحية، تلاتة أجزاء، لقداسة الحبر الأعظم مار إغناطيوس زكا الأول عيواص، (١٩٩٨ - ٢٠٠٠م).
٤ - الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة؛ مار إغناطيوس أفرام الأول برصوم؛ حمص،١٩٤٠.
٥- تاريخ العلم، جورج سارتون، ترجمة، دار المعارف، القاهرة، ستة أجزاء.
٦- تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري؛ ترجمة القمص مرقص داؤد؛ ١٩٧٩.
٧- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة، بيروت، ثلاثة أجزاء.
٨- قاموس الكتاب المقدّس، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١.
٩- مائدة أنطاكية، المطران جورج صليبا، بيروت ١٩٩٢.
١٠- السريان أيمان وحضارة؛ مار سويريوس إسحق ساكا؛ خمسة أجزاء (١٩٨٣ – ١٩٨٦م).
١١- السريان أصالة وجذور، غريغوريوس جرجس شاهين، دار ماردين، ١٩٩٧.
١٢- البدع والهرطقات خلال عشرين قرناً – ج١– القس ابراهيم عبد السيّد، ١٩٨٧.
١٣- شرح سفر أعمال الرسل، الأب متى المسكين،١٩٩٥.
١٤- الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.
١٥- المجلة البطريركية؛ مقالات مختلفة.
١٦- مجلة المجمع العلمي العراقي؛ مقالات مختلفة.

المحتويات

الموضوع	ص
الإهداء	٣
شكر وتقدير	٤
تقديم لنيافة مار غريغوريوس صليبا شمعون.	٥
تمهيد	٨
الباب الأول : أبو الآباء قداسة الحبر الأعظم:	٩
" زكا " وضعفي .	١١
زيارة سيدنا صاحب القداسة إلى العراق.	١٣
لقاء سيدي الحبر الأعظم.	١٥
همة سيدنا صاحب القداسة.	١٧
زكا وصليبا.	١٩
اليوبيل البطريركي الفضّي.	٢١
لتطب نفسكم سيدي.	٢٢
الباب الثاني : تأملات في الميلاد المجيد :	٢٥
ميلاد الرب.	٢٧
الميلاد عيد وشهادة.	٢٩
الميلاد رسالة محبة وسلام.	٣١
الميلاد والهرطقات.	٣٣
جولة مع طقس الميلاد.	٣٥
سلام بيت لحم.	٣٧
نحن والميلاد.	٣٩
هدايا الميلاد.	٤٠
الباب الثالث : شذرات روحية وعلمية واجتماعية في الحياة المسيحية :	٤١
ألق الولادة.	٤٣
إرضاء الآخرين.	٤٤
الإستنسال.	٤٦
الأطفال بذور الحياة.	٤٩
أعضاء جسد المسيح.	٥١
الله مع الكنيسة.	٥٣
الإنسان الحق.	٥٥
الأيدز.	٥٧
الأيمان غلبة وانتصار.	٥٩
الأيمان والثقافات المحيطة.	٦١
باب الحياة الحقّة.	٦٣
بيت المؤمن كنيسة.	٦٥

التواضع طريق الكرامة.	٦٧
التعليم المسيحي والأطفال.	٦٩
جمال المؤمنة حشمتها.	٧٠
حفظ اللسان.	٧٢
الحقيقة.	٧٤
حياة الصراحة.	٧٥
الخادم المؤمن وتموز.	٧٧
الرهبانية مفخرة الكنيسة.	٧٩
سمو الصليب.	٨١
الشباب والرب.	٨٣
شهداء الكنيسة اليوم.	٨٤
صداقة الله.	٨٦
الصليب محبّة.	٨٧
الصمود والسهر.	٨٩
صن مكانتك أيها المؤمن.	٩١
الصوم سلاح النصر.	٩٣
الطب في المسيحية.	٩٤
طلبات الأيمان.	٩٦
قرض الله.	٩٧
القريب الوطن.	٩٩
قصّة الأيمان.	١٠١
القيامة.	١٠٣
كيف نشهد ليسوع.	١٠٥
لا أعلم.	١٠٧
للربّ نحن.	١٠٨
محبّة الذات.	١٠٩
المحبة طريق الملكوت.	١١١
مخالفة الأيمان الحق.	١١٣
المعاناة والغلبة.	١١٥
ممارسات شبابية سلبية.	١١٧
المنهجية بين العلم والدين.	١١٩
المؤمن والعولمة.	١٢١
نعمل للبنيان.	١٢٣
الباب الرابع : شخصيّات خالدة :	١٢٥
أنت ويونان.	١٢٧
بين عيسو وهيرودس.	١٢٩

السيّدة العذراء.	١٣١
المعمدان.	١٣٤
بين المكابية والكنعانية والأم المسيحية.	١٣٦
مار يعقوب البرادعي والتقية تيودورة.	١٣٨
مار ميخائيل الكبير.	١٤٠
الأرخدياقون نعمة الله دنّو.	١٤١
الدكتور عبد الأحد عبد النور.	١٤٢
الأب بشارة نعمان نوّارة.	١٤٤
الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام.	١٤٧
الملفان مار غريغوريوس بولس بهنام والألم.	١٤٨
الراهب حنا داود القس.	١٤٩
الست قدّوسة.	١٥١
شهيد الكنيسة الأب بولس اسكندر.	١٥٣
الباب الخامس : شهدُ العطاء في أنشطة سواعد الوفاء :	١٥٥
إعمار كنيسة الطاهرة الخارجية.	١٥٧
النهضة في أبرشية الموصل.	١٥٨
الدير الكهنوتي في الموصل.	١٦٠
المواسم الثقافية في أبرشية الموصل السريانية.	١٦٢
المسيح الواحد – نداء محبّة.	١٦٤
الموسم الثقافي الخاص بألقاب الرب اللاهوتية.	١٦٦
زيارة راهبات مار يعقوب البرادعي.	١٦٨
تخرج دورة الدراسات اللاهوتية ٢٠٠٢م.	١٧١
تكريم البروفيسور سمير عيواص.	١٧٣
كلمة في كتاب.	١٧٤
الباب السادس : وهج المشاعر :	١٧٧
رسامتي كاهناً.	١٧٩
وعكتي الصحيّة.	١٨٠
رسالة إلى رهبان الكنيسة في اليونان.	١٨١
جولتي في ٢٠٠٢م.	١٨٣
رسالة إلى المؤرخ يوسف القس جبرائيل الآزخي.	١٨٥
إلى روح المأسوف على شبابه المرحوم خالد شمعون كبرو.	١٨٧
رسالة محبّة إلى نيافة مار طيموثاوس موسى.	١٨٩
رسالة إلى خادم مكرّس جديد.	١٩٣
المصادر.	١٩٥
المحتويات.	١٩٦